

نقد الشعر

لأبي الفرج قدامة بن جعفر

تحقيق وتعليق
الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

نفت الشعر لابي الفرج وتادمه بن جعفر

تحقيق وتعليق

الدكتور

محمد عبد المنعم خفاجي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المدخل إلى الكتاب

تقديم

هذا هو « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر (٢٦٠ - ٨٣٢٧ : ٨٧٢ - ٩٤٨ م) ، الذي يعد أول أثر نقدي علمي مشهور في الأدب العربي .

أقدمه للباحثين في صورة جديدة ، من التحقيق العلمي ، معتزاً بالكتاب ، وبعملي فيه ، سائلاً الله عز وجل أن يفيد به القراء والدارسين والباحثين ، وأن يجعله ضوءاً هادياً في طريق البحث النقدي والأدبي .

وما توفيقي إلا بالله .

المحقق

طباعات الكتاب

- ١ - نقد الشعر لقدامة - نشر س ١٠ بونياك - مطبعة بريل -
لیدن ١٩٥٦ .
- ٢ - نقد الشعر لقدامة - طبع الجواثب ١٣٠٢ هـ .
- ٣ - نقد الشعر لقدامة - تحقيق محمد عيسى منون ١٣٥٢ هـ ، ١٩٣٤ م .
- ٤ - نقد الشعر لقدامة - تحقيق محمد كمال مصطفى ونشر مكتبة
الحاجي - القاهرة .

كتب مفقودة

- ١ - تبين غلط قدامة للآمدي (٨/٣ معجم الأدباء نشر مرجليوث)
- ٢ - تزييف نقد قدامة لابن رشيقي كما ذكره ابن أبي الأصبع في
مقدمه كتابه « بديع القرآن » ويبدو أنه ليس صحيح النسبة لابن رشيقي .
- ٣ - شرح نقد الشعر لقدامة ، لعبد اللطيف البغدادي (- ٦٢٩ هـ) :
راجع ترجمته في فوات الوفيات .
- ٤ - كشف الظلامه عن قدامة - للبغدادي نفسه أيضاً .

تصدير الكتاب

(١)

قدامة بن جعفر [٢٦٠ أو ٢٧٦ - ٣٣٧ هـ : ٨٨٩ - ٩٤٨ م] أشهر النقاد العرب الذين أثروا حركة النقد الأدبي في اللغة العربية ، ودفعوا بها إلى الأمام دفعات قوية ، ووجهوا النقد والنقاد وجهة جديدة استمر صداها على طول العصور .. وكتابه « نقد الشعر » صار أصلاً لجميع الدراسات النقدية العربية ، لأنه استحدث مذهباً جديداً فيها صار قدامة صاحبه ، وله فضل الكشف عنه .

وكان لآراء قدامة في كتابه صدى كبير عند النقاد القلماء ، بل لقد أحدث ضجة كبيرة في وسطهم :

— فالأمدي (- ٣٧١ هـ) ألف كتاباً في « تبين غلط قدامة » في كتابه « نقد الشعر » ^(١) .

— وعبد اللطيف البغدادي (- ٦٢٩ هـ) له كتاب في شرح « نقد الشعر » لقدامة ^(٢) ، وكتاب بعنوان « كشف الظلامة عن قدامة » ^(٣) .

— وابن رشيق له كتاب « تزييف نقد قدامة » فيما ذكره ابن أبي الاصبغ المصري في كتابه « تحرير التحبير » .

وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء ، والفلاسفة الفضلاء ، كما يقول مؤرخوه ^(٤) . ونسب إليه كتاب « نقد النثر » ، الذي حققه الدكتوران : طه حسين وعبد الحميد العبادي . وقد وجدت نسخة خطية كاملة من الكتاب نفسه في مكتبة تشستر بيتي برقم ٧٦٧ تحت عنوان كتاب « البرهان في وجوه البيان » لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب

الكاتب ، فصحت نسبة الكتاب لابن وهب المعاصر لقدامة ، بعدما ثار جدل كبير حول نسبته لقدامة . وكان الذي نشر منه ، اعتماداً على نسخة الأسكوريال^(٥) باسم « نقد النثر » بتحقيق الدكتور طه حسين والعبادي هو نحو ثلث الكتاب وقد نشر الدكتور أحمد مظلوم في بغداد الكتاب كاملاً أخيراً .

ولقدامة كتب كثيرة ، منها : سر البلاغة في الكتابة ، وصنعة الكتابة والألفاظ ، والخراج ، وله كتاب آخر أشار إليه ياقوت في « معجم الأدباء » وهو الرد على ابن المعتز فيما عاب فيه أبا تمام^(٦) .

(٢)

وقدامة يرى في مقدمة « نقد الشعر »^(٧) أن كتابه أول كتاب يؤلف في النقد ، فيقول : « ولما وجدت الأمر على ذلك ، وتبينت أن الكلام في هذا الأمر - أي النقد - أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخرى ، وأن الناس قد قصرُوا في وضع كتاب فيه ، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع » .

وهو يغفل جهود العلماء السابقين في تأصيل قواعد للنقد ، كالأصمعي في « فحولة الشعراء » وابن سلام في « طبقات الشعراء »^(٨) ، والجاحظ فيما كتبه في النقد في كتابيه « البيان والتبيين » ، و « الحيوان » وغيرهما وابن قتيبة في « الشعر والشعراء » ، والمبرد في كتابه في « قواعد الشعر » وثعلب في كتاب له بعنوان « قواعد الشعر » أيضاً ، الذي حققته ونشر عام ١٩٤٨ ، وابن المعتز في كتابه « البديع » وسوى هؤلاء الأعلام الخالدين في تراثنا العربي التقدي .

وقد فصل قدامة في كتابه مذهبه في النقد ، فقسم الشعر إلى عناصره الأولى المفردة : اللفظ والمعنى والوزن والقافية ، وإلى عناصر أربعة أخرى مركبة من هذه العناصر . ويذكر أن الشعر قد يكون جيداً ، أو رديئاً ، أو بين الأمرين ، وأنه صنعة ككل الصناعات يقصد إلى طرفها الأعلى^(٩) ، ويقول : إنه يذكر صفات الشعر التي تبلغ به غاية الجودة ،

فإن وجد بضد هذه الحال كان شعراً في غاية الرداءة ، وإلا فهو بين بين ، أي بين طرفي الجودة والرداءة بحسب مدى قربه من أي الطرفين أو توسطه بينهما .

ومن صفات المعنى الجيد عنده ، الوفاء بالغرض المقصود ؛ أما الغلو في المعنى فيؤثره قدامة على الاقتصار على الحد الوسط . ويقول : إنه عنده أجود المذهبين ، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وحديثاً ، حتى قال بعضهم «أعذب الشعر أكذبه» ، وهو كذلك مذهب فلاسفة اليونان في الشعر على لغتهم ويقصد بهم أرسطو صاحب أول مدرسة نقدية في التراث النقدي الأوربي ويؤكد قدامة أن الغلو يعد من باب الخروج عن الموجد والدخول في باب المعلوم ، فالمراد به المثل وبلوغ النهاية في النعت ولما كانت المعاني عند قدامة لا نهاية لها فقد عدد نعوت الشعر في أغراض الشعراء من مدح وهجاء وفخر ورتاء ووصف الخ ..

ومن أغراض الشعر عنده المدح والهجاء ، والمدح الجيد عنده نغته هو الصدق وأن يكون بالصفات الأربع : العفة والشجاعة والعدل والعقل أو ببعضها . وقد يصف الشاعر الممدوحين ببلوغ الغاية في هذه الصفات من باب الغلو والمبالغة .

والهجاء ضد المدح في رأيه ، وصفاته مضادة لصفات المدح ، وليس بين المدحة والمرثية فرق عنده إلا في اللفظ دون المعنى ، وهذا خطأ ما بعده من خطأ ، لأن التجربة الشعرية في المدح غيرها في الهجاء ، ولعل عبد الصمد بن المعدل [٥٢٣٠ هـ] هو أول من قال بهذا الرأي حيث روى عنه ابن رشيقي في العمدة (١ : ١٠٣) أنه قال : « الشعر كله في ثلاث لفظات : إذا مدحت قلت : أنت ، وإذا هجوت قلت : لست ، وإذا رثيت قلت : كنت » ونحن لا نوافقه على ذلك كله .

(٣)

إن هذا المنهج العقلي المحض في النقد الذي سار عليه قدامة ، صار حديث النقاد في عصره وبعد عصره .

ولقد تأثر قدامة فيه بالثقافات العقلية التي كانت سائدة في عصره ،
والتي تتلمذ عليها ، وأخذ منها ، ففي البصرة وفي القرن الثالث الهجري ،
التقت الثقافات المختلفة التقاء فكرياً على نحو رائع ، وانشأت طبقة من
المثقفين الذين تثقفوا على هذا الفكر الانساني ، وكان في مقدمتهم المعتزلة
الذين رجعوا إلى المنطق اليوناني ، وقرأوا فلسفة أرسطو وغيره من
فلاسفة اليونان ، وترجموا آراء الأمم الأخرى في البيان ومناهجه ،
كما ترجموا كتابي الخطابة والشعر لأرسطو إلى العربية فالشعر ترجمه
مختصراً الكندي (- ٨٢٥٣) ، والخطابة ترجمه إسحاق بن حنين
(- ٨٢٩٨) .

وأخذت هذه الطبقة تؤلف في « صناعة الشعر » ، والكندي -
أول الفلاسفة العرب - رسالة في صناعة الشعر^(١١) ، ولأبي زيد الباهي
كتاب بهذا العنوان أيضاً^(١٢) ، وكذلك لأبي هفان المهزومي راوية شعر
أبي نواس^(١٣) .

وكان متكلمو المعتزلة ، بتضلعمهم من الفلسفة اليونانية ، أصحاب
آراء كثيرة في النقد والبيان .

ومن البدهي أن يقرأ قدامة ابن البصرة كل هذه الثقافات ، وأن
يتأثر بها وقد أفاد ناقدنا قدامة من كتابي أرسطو في الخطابة والشعر ،
وإن كان الدكتور طه حسين يرى أنه كان يجهل كتاب الشعر^(١٤) .

وعلى أية حال فإن قدامة بمنهجه العقلي في النقد يباين مناهج النقاد
العرب الأصلاء ، من مثل : الأصمعي ، ابن الأعرابي ، ابن سلام ،
الجاحظ ، ابن قتيبة ، ابن المعتز ، وغيرهم ، وإن هذا المنهج الذي
وضع قدامة أساسه يعد أكبر وأجراً خطوة نحو تدوين البلاغة العربية
وأصول البيان والنقد . وحسبنا أن ثلاثة من كبار النقاد العرب قد أولوا
منهجه عناية خاصة ، وتأثروا به تأثراً عميقاً ، وهم :

١ - أبو هلال العسكري في كتابه « الصنائع » .

٢ - ابن رشيق القيرواني في كتابه « العمدة » .

٣- ابن سنان الخفاجي في كتابه « سر الفصاحة » .

كما تأثر علماء البلاغة والبدیع تأثراً شديداً بقدامة وآرائه في « نقد الشعر » .

ومن البدهي أن يستفيد قدامة من ابن المعتز (- ٥٢٩٦) وكتابته « البدیع » فائدة كبيرة ، فكثير من أسباب الجودة عند قدامة هي مما ذكره ابن المعتز في كتابته البدیع على أنها من صنعة الشعر ومحسناته الفنية .
إن منهج قدامة النقدي في كتابه « نقد الشعر » يعتبر ثورة فكرية عميقة ظهر صداها في تراثنا النقدي ، وصار قدامة حديث العلماء والنقاد من بعده ولا يزال صدها وصدى فكره النقدي قوياً وسائداً في تراثنا حتى اليوم .

المراجع

(١) ١٢٥ الموازنة طبعة صبيح ، معجم الادباء لياقوت في ترجمة
الأمدي .

(٢) ٧/٢ قوات الوفيات لابن شاکر ، ولعبد اللطيف البغدادي كتاب
« قوانین البلاغة » ، واختصر كتاب « الصناعتین » للمسکري (٨/٢ قوات)
ویروي صاحب کشف الظنون أن للبغدادی کتابا اسمه تکملة الصلة في
شرح « نقد الشعر » ٢٤٦/١ ، وکتابا آخر اسمه « کشف الظلّامة عن قدّامة »
(٤٠٠/٢ کشف الظنون) . ولعلّ الكتاب الاول هو الاسم الكامل لشرح
البغدادی لنقد الشعر . وينسب لابن رشيق القيرواني کتاب بعنوان « تزيف
نقد قدّامة » (٨٨ تحرير التحبير لابن ابي الاصبع) ، ويرجع انه ليس لابن
رشيق صاحب العمدة .

(٣) ٤٠٠/٢ کشف الظنون .

(٤) ٢٠٢/٦ - ٢٠٥ معجم الادباء لياقوت ، ١٨٨ الفهرست ، ٢٤/٢
کشف الظنون ، تاريخ بغداد في ترجمة قدّامة بن جعفر - والنقد الادبي
للدكتور بدوي طبانة ، وکتاب قدّامة للدكتور طبانة .

(٥) تحت رقم ٢٤٣ .

(٦) ٢٠٤/٦ معجم الادباء .

(٧) طبع طبعات عديدة : فقد نشره س . ابو نيباكر بمطبعة بريل في
ليدن عام ١٩٥٦ - ومن قبل طبع في الجواثب عام ١٣٠٢ ، وطبع في القاهرة
طبعة أخرى عام ١٩٣٤ بتحقيق محمد عيسى منون ، وبشرح آخر لکمال
مصطفى .

(٨) ١٢ نقد الشعر ط . القاهرة ١٩٣٤ .

(٩) يرى الكثير من الباحثين أن طبقات الشعراء لابن سلام هو اول
مؤلف عربي في النقد (راجع النقد المنهجي عند العرب لندور ، ٧٤ تاريخ

النقد الادبي عند العرب لطله ابراهيم ، ١٠٨/٢ تاريخ آداب اللغة العربية
لجورجي زيدان) .

• نقد الشعر (١٠)

• (١١) ٢٥٩ الفهرست لابن النديم

• (١٢) ١٩٨ المرجع نفسه

• (١٣) ٢٠٧ المرجع نفسه

(١٤) ص ٧ مقدمة نقد الشعر • وقدامة في رأي كثير من المستشرقين
استفاد من كتاب « الخطابة » لارسطو لا من كتاب « الشعر » له • وفي رأي
• د ابراهيم انه استفاد منهما معا - وكان قدامة من اسرة مسيحية اقامت
بالبصرة وأسلم في عهد المكتفى بالله العباسي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ : ٩٠٢ -
٩٠٨ م) وتولى في آخر حياته منصب صاحب البريد •

تمهيد

(١)

١ - استعملت اللغة العربية لفظ النقد لمعان مختلفة :

الأول : تمييز الجيد من الرديء ، قالوا : نقدت الدراهم وانتقدتها : أخرجت منها الزيف وميزت جيدها من رديئها ، ومنه : الت نقاد والانتقاد وهو تمييز الدراهم وإخراج الزائف منها .

والثاني : العيب والانتقاص ، قالت العرب : نقدته الحية إذا لدغته ، ونقدت رأسه بأصبعي إذا ضربته ، ونقدت الجوزة أنقدها إذا ضربتها . وفي حديث أبي الدرداء : إن نقدت الناس نقدوك ، ومعناه : إن عبتهم وجرحتهم قابلك بمثل صنعك .

واستعمل الأدباء العرب كلمة النقد^(١) بالاستعمالين لنقد الكلام شعره ونثره على السواء ، وبدأ ظهور ذلك في القرن الثالث الهجري على وجه التقريب يقول البحري عن أبي العباس ثعلب : ما رأيت ناقداً للشعر ولا مميّزاً للألفاظ ، ورد عليه آخر فقال أما نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى ولكنه أعرف الناس بإعرابه وغريبه^(٢) ، وألف قدامة كتابيه : نقد الشعر ، ونقد النثر ، وألف ابن رشيق « العمدة في صناعة الشعر ونقده » .

وسار النقاد العرب في تقديمهم على كل من الاستعمالين :

١ - استعملوه في القديم وفي الحديث على معنى التحليل والشرح

(١) الجاحظ رسالة في نقد الكندي (٤٢ الجاحظ لردم) .

(٢) ١٩٥ دلائل الإمعان .

والتمييز والحكم ، فالنقد عندهم دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة ، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها ، وأكثر الذين كتبوا في النقد العربي مشوا على هذا المعنى^(١) .

٢ - واستعملوه كذلك بمعنى العيب والمؤاخذة والتخطيء ، فألف المرزباني كتابه « الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء » ، ويريد بالعلماء النقاد ، ولا يزال النقد مستعملاً بهذا المعنى حتى اليوم عند بعض النقاد المعاصرين ، ويقابله التقريظ وهو المدح والإعجاب من قرظ الجلد إذا دبغه ، وذلك إنما يكون للتحسين والترزين^(٢) .

(٢)

ويعرف المحدثون النقد - بناء على المعنى الأول في الاستعمال اللغوي - فيقولون : إنه التقدير الصحيح لأي أثر فني وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه^(٣) ، فكلمة النقد تعني في مفهومها الدقيق الحكم ، وهو مفهوم نلاحظه في كل استعمالات الكلمة حتى في أشدها عموماً^(٤) ، والنقد الأدبي في أدق معانيه هو فن دراسة الأساليب وتمييزها على أن نفهم لفظة الأسلوب بمعناها الواسع وهو منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء^(٥) .

فللنقد مهمتان مختلفتان ، مهمة التفسير ، ومهمة الحكم ، أي إصدار الأحكام الأدبية في قضايا الأدب ومشكلاته .

(٣)

ومن الضروري أن نعرف أن النقد بدأ منذ استمع الإنسان إلى الأدب - شعراً ونثراً - بأحكام عامة مقتضية موجزة لا تحمل تعليلاً ، ولا

(١) ١١٤ و ١١٥ أصول النقد الادبي للشايب .

(٢) من ١١٤ المرجع السابق .

(٣) من ١١٦ نفس المرجع .

(٤) ١٧٢ النقد الادبي لاحمد امين ١٩٦٣ .

(٥) ٦ في الادب والنقد المنصور .

تستصحب أسبابها .. شأن الأحكام العامة التي يرشد إليها الذوق ، ويكون
للفطرة الأدبية مدخل فيها ، دون أن تتأثر بتزعة علمية ، أو منهج عقلي ،
أو أسس موضوعية .

كذلك كان شأنه في الأدب في العصر الجاهلي ، حكم دون تعليل ،
لأن أحكام الذوق والفطرة التي لم تسترشد بمنهج أو أصول موضوعية
لا بد أن تكون كذلك . ثم أخذ يرتقي العقل ، وينضج الحس الأدبي
ويرتفع مستوى الملكات ، وبدأ العقل لا يقنع بأن يرسل إرسالاً دون
أن يوضحه توضيحاً ، فأخذ يوميء من بعيد وعلى سبيل الرمز والتلويح
إلى السبب وبعد أن بدأ تدوين العلوم والثقافات ، وأخذ العقل العربي
يضع أصولاً للبيان والنقد ، بدأت أحكام النقد تصطبغ ببصغة علمية
موضوعية ، فالحكم بجانبه السبب والعلة ! والنقد يحمل معه طابع التوجيه
والتعليل للوصول إلى أحكام موضوعية .

وجملة الأمر أن النقد الأدبي هو الحكم الذي تصدره على الشعر
والنثر ، وأنه عند المحدثين تقدير النص الأدبي تقديرًا صحيحاً وبيان
قيمته ودرجته الأدبية^(١) .. هو تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها ،
وبيان قيمتها العامة ، والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار ..
وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم ، والغرض منه دراسة الأساليب
أو الكتاب أو الآراء والأفكار^(٢) .

والخطابة والشعر لأرسطو هما المرجع الأول لكل الدراسات في
النقد. والبلاغة^(٣) ، فأرسطو أول من كتب في النقد الأدبي ، ووضع
في كتابه « فن الشعر » قواعد للبلاغة بنى عليها طريقته في النقد^(٤) .

-
- (١) أصول النقد الأدبي للشايب .
 - (٢) ص ٩٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .
 - (٣) أصول النقد الأدبي .
 - (٤) ١٠٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .

وعلى أساس مذهب أرسطو في النقد قامت مدارس النقد الحديث في أوروبا ، وعلى رأسها : سانت بوف (١٨٠٤ - ١٨٩٦) ، وتين (١٨٢٨ - ١٨٩٣) وبرونتيير (١٨٤٩ - ١٩٠٧) ، وجول ليمتر^(١) (توفي عام ١٩١٧) .

والنقد في الآداب العربية هو « شرح الشعر تقرير طريقة الشعر الجاهلي لتكون منهجاً للشعراء ، لا حركة العقول والأفكار^(٢) » وأكبر مظاهره عندهم هو علم البلاغة^(٣) .

وهكذا نجد أن أصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم ، وأن الغرض منه كما يقول بعض النقاد دراسة الأساليب أو نفوس الكتاب أو دراسة الآراء والأفكار .

على أن النقد ذو صلة وثيقة بالذوق ، وليس هو مطلق الذوق ، بل ذوق ذوي الثقافات الأدبية العالية . والنقد عند كثير من النقاد فن وليس بعلم ، فليس عندهم قاعدة ثابتة .

(٤)

١ - وإذا كانت كلمة النقد تعني في مفهومها الدقيق (الحكم) ، وكان « النقد الأدبي » هو إصدار حكم على الآثار الأدبية ، فإن الأدب الإنشائي يخالف الأدب النقدي الذي هو من الأدب الوصفي ، فالإنشائي هو تفسير للحياة في صور مختلفة من الفن الأدبي ، والأدب النقدي هو تفسير لهذا التفسير ولصور الفن التي يوضع فيها ، وكما يأخذ الأدب من الطبيعة والحياة فإن النقد كذلك يأخذ منهما عن طريق غير مباشر ، ولذلك يقول الناقد ولیم و طسون عن الشعراء « وقد اعتبرت هؤلاء كجزء من عظمة الطبيعة » .

(١) راجع مقدمة لدراسة بلاغة العرب وأصول النقد الادبي للشايب ، ٤٥ - ٥٠ الادب الجاهلي .
(٢) ١٥٩ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .
(٣) ٦٩ المرجع نفسه .

وإذا كان في الإمكان الرجوع إلى المصدر الأول وهو الطبيعة دون الرجوع إلى النقد ، فإن النقد يوحى ويشجع وينير السبيل ، ويلهم الأدباء أنفسهم اتجاهات جديدة ، وللققد قيمته الذاتية في أنه تعبير عن الناقد نفسه ، عن شخصيته وفكره ومذهبه ومنهجه .

٢ - إن وظيفة النقد الأدبي هي في تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية وبيان قيمته الموضوعية وقيمته التعبيرية والشعورية ، وتوضيح منزلته وآثاره في الأدب ..

يرى سانت بيغ أن وظيفة النقد الأدبي هي النفاذ إلى ذات المؤلف ، لتستشف روحه من وراء عبارته بحيث يفهمه قراءه ، وفي ذلك يضع الناقد نفسه موضع الكاتب . فالنقد على حد تعبيره يعلم الآخرين كيف يقرأون ، ولذلك كان على النقد أن يتجاوز القيم الجمالية العامة إلى بيان روح العصر من خلال نفسية المؤلف ، فوظيفة النقد هي تفسير العمل الأدبي للقارئ لمساعدته على فهمه وتنوقه ، وذلك عن طريق فحص طبيعته وعرض ما فيه من قيم^(١) .

ويحمل وردزورث على النقد ويعدّه عبثاً ، لأن المقدرة على النقد أحط من المقدرة على الإنشاء ، ومن قبل حمل أفلاطون على الشعر وعابه بأنه تقليد للتقليد .

ولا شك أن ذلك أمر لا يوافق عليه ناقد آخر ، فإن النقد يوجه ويثري الأدب ، ويعلي من منزلته في الحياة ، ولا غنى للحياة ولا للأدب ولا للأدباء عنه ، وهو الذي يخلق المناهج والمذاهب الأدبية ، ويقوم أعمال الأدباء ، ويوصي باختيار النماذج الجيدة من الأدب ومحاكاتها ، ويغرم حب الجيد منه في نفوس الدارسين والناشئين ويعودهم على مثل هذا الجيد منه .

(١) راجع ٥٢ - ٩٦ الآداب وفنونه لعز الدين اسماعيل .

والنقد الادبي يتنوع إلى :

١ - **النقد الذاتي أو التأثيري** : وهو الذي يقوم على الذوق الخاص ، ويعتمد على التجربة الشخصية ، ويعتمد عن المنهج الموضوعي العلمي .

٢ - **النقد الموضوعي** : وهو الذي يركن إلى أصول مرعية وقواعد عقلية مقررّة ، يعتمد عليها في الحكم ، كطريقة قدامة في كتابه « نقد الشعر » .

٣ - **النقد الاعتقادي** : وهو النقد الذي تتحكم فيه عقائد وآراء خاصة عند الناقد . وهو يحمل في طياته معنى التعصب والميل إلى نزعة خاصة ، وكلما تحرر الناقد في نقده وآرائه ومعتقداته الشخصية كان نقده عادلاً وأكثر إنصافاً وصدقاً وتحريراً للحقيقة ، إذ أن تجرد الناقد من هواه وآرائه شرط أساسي لسلامة أحكامه النقدية من الجور .

٤ - **النقد التاريخي** : وهو النقد الذي يحاول تفسير الظواهر الأدبية والمؤلفات وشخصيات الكتاب ، فهو يعني بالفهم والتفهم أكثر من عنايته بالحكم والمفاضلة وتفسير الظواهر الأدبية أو المؤلفات أو شخصيات الكتاب يتطلب معرفة بالماضي السابق لهم ، ومعرفة بالحاضر الذي أثر فيهم .

٥ - **النقد اللغوي** : وهو الذي يحكم فيه على أساس اللغة وقواعدها الأسلوبية واللغوية المقررة .

وفي النقد الموضوعي والذاتي يقول السحرتي^(١) : النقد الموضوعي هو النقد الذي يتناول العمل الأدبي من نصوصه ، ويكشف عما فيها من حقائق ، وما يرقد وراءها ، وعن مميزات ، والمادة الجديدة أو المطروقة التي تنطوي عليها . فهو نقد كاشف لجوهر الموضوع وروحه

(١) مجلة قافلة الزيت عدد ذي الحجة ١٣٨٤ هـ .

في تجرد وإنصاف وحيدة . والناقد الموضوعي في كشفه واندماجه في العمل المنقود أقرب شبيهاً بالنحلة التي تحوم حول الزهر ، فتقع عليه وتمتنص رحيقه ، وتخرجه عسلًا فيه من الزهر لونه وعطره ونكهته .

وعلى العكس من هذا ، النقد الذاتي ، فهو نقد ذو طابع غير مقنع ، لأنه لا يهتم بالنصوص ، بل كل اهتمامه بأثرها على نفسه ، ومقياس الناقد فيه هو شعوره وذوقه ، وعواطفه وأهواؤه ، وهو ليس نقداً في الحقيقة ، إنما هو تعبير عن سمات الناقد ، وترجمة ذاتية لما يجري في عقله الغافي ، أو عقله الواعي ، ومثل هذا النقد قد يكون مقالاً لذيذاً ، أو نقاشاً ذكياً عن موضوع يتناوله الكتاب المنقود ، ولكنه بعيد عما تناوله الكتاب المنقود ، فالناقد يكشف به عن معرفته بالموضوع ، وزكائه ، أو يبرز فيه انفعالاته نحو الكتاب ، والناقد في سلوكه هذا أقرب ما يكون شبيهاً بالطاووس الذي يعجب بريشه المزركش المونق ، ولا يعجب بما حوله ، إلا إعجاباً عابراً .

ومثل هذا النقد لا جدوى من ورائه ، فهو لا يضر ولا ينفع ، بل قد يضر في كثير من الأحيان ، إذا كان الناقد من ذوي الطبائع المنحرفة . أو كان بينه وبين المنقود خصومة فيتخذ من قلمه حيلًا ليشق المؤلف به ، كما يقولون .

والنقد الموضوعي يقوم على ركنين جوهريين : أولهما اهتمام الناقد بموضوع العمل الأدبي المنقود ، وجهه لفنه ، وثانيهما طبيعة الناقد وخلقه القوي ، الذي يكبح جماح عواطفه الشرود ، أو انفعالاته النازلة . فالاهتمام هو الركن الركين الذي يجعل الناقد يفتح قلبه وعقله للعمل ، المنقود ، ويقوده لاحتضانه والاستغراق في مادته ، في مودة واحترام ، حتى إذا ما بلغ من غايته ، وقف من العمل الأدبي موقف الحياء ، وتوضيحه ، وبيان حسناته وهفواته .

فعملية النقد الموضوعي تمثل الاهتمام ، أو الشغف بالموضوع .

وهذا الاهتمام هو في البداية ، نزاعة ذاتية ، ولكن الاستمرار في ارتياد مجالات العمل الأدبي تنقل الناقد إلى النظر في العمل المنقود نظرة واقعية ، تسود نقده فيما بعد .

وهذه النظرة تستلزم من الناقد أن يكون ذا طبيعة قوية سوية ، وبدون هذه الطبيعة السوية التي تتجرد من عواطفها وانفعالاتها لا يقوم الركن الثاني للنقد الموضوعي .

وتوضيحاً لهذه الحقيقة . نقول : إن الناقد الذي يقحم نفسه في نقد الشعر دون ما شغف به واهتمام وممارسة ، لن ينفذ إلى جوهره وروحه . ولن يستطيع التغلغل في جماله ومضمونه . ونقده عندئذ لن يكون إلا نقداً سطحياً هزلياً . أو عابراً طائراً محوياً حومان الفرفر على الأزهار . فإذا كان الناقد من ذوي الطباع المنحرفة المريضة ، فنقده يكون مؤذياً أشبه بالعنكبوت الذي يترك آثاره السامة في الحديقة .

ونبادر فنقول : إن النقد الموضوعي قد لا يكون نقداً شاملاً لعناصر المنقود من الناحيتين الجمالية ، والمضمونية . فقد يلقي النقد بؤرة اهتمامه على زاوية من زوايا العمل الأدبي . بأن يتناول محتواه ومضمونه ، أو يتناول البيئة التي نما فيها العمل الأدبي وازدهر . أو ينظر إلى شخصية الكاتب التي أثمرت هذا العمل . أو بمعنى آخر . قد يكون النقد داخلياً ، أو خارجياً . حسب اتجاه الناقد ومذهبه النقدي . وتناول هذه الزوايا يدخل في النطاق الموضوعي إذا ظهر إخلاص الناقد في نقده ، وإذا وضع نصب عينيه النص الذي يفسره أو يقدره أو يحكم عليه ، في حياد وبلا إسراف .

فكل نقد مخلص شريف متصل بالنص . سواء ألقى أضواء جانبية . أو أضواء غامرة على النص . هو نقد موضوعي ما دامت غايته خدمة الأدب ، ولفت الأبصار إلى الموهوبين .

وإذا أبحنا للناقد الاهتمام بزاوية نقدية . أو منطقة نقدية محدودة

يتناولها فليس معنى هذا أنه يتخذ منها وحدها المعيار النهائي لحكمه ،
بل إن اهتمامه ينبغي أن يتحول إلى العناصر الأخرى ، والنظر إليها
نظرة كلية وإلا خرج على الموضوعية .

فالنقاد الذي يصب كل اهتمامه على الناحية الجمالية ، دون أي
اعتبار للمضمون ، فيرفع العمل الأدبي أو يهوى به إلى الحضيض بالنظر
إلى جماليته ، يجانف بعمله هذا ، سبيل الموضوعية ونظيره هذا الناقد
الذي يغرم بمضمون في العمل الأدبي يتواءم مع هواه فيرفعه إلى القمة ،
دون نظر إلى جمال أدائه ، فمثل هذا الناقد بجانب الموضوعية ،
ولا يصل إلا إلى حكم أبتز على العمل المنقود .

النقد الأدبي عند العرب

النقد في العصر الجاهلي :

نشأ النقد في الجاهلية مرتجلاً ، وكان حيناً يسير ملائماً لروح العصر وللشعر العربي نفسه^(١) ، عربي النشأة كالشعر ، لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ولم يقيم إلا على الذوق العربي السليم^(٢) .

وُجد في أطوار تهذيب الشعر ، وفي اختيار المعلقات وتعليقها في الكعبة^(٣) وفي حكومة أم جندب بين امرئ القيس وعلقمة^(٤) ، وحكومة النابغة بين الشعراء ، « وكان تضرب له قبة حمراء بعكاظ ويأتيه الشعراء فتشده أشعارها »^(٥) ، وفي حكم ربيعة بن حذار الأسدي على الزبرقان والمخبل السعدي وعبدية بن الطبيب وعمرو بن الأهتم^(٦) . ووجد في نقد الشعراء للشعر : فامرؤ القيس يمر بكعب وأخويه الغضبان والققعاق فأنشدوه فقال : إني لأعجب كيف لا تمتلئ عليكم ناراً جودة شعركم فسموا بني النار^(٧) ، ويقول النابغة : اشعر الشعراء من استجيد كذبه وأضحك رديته^(٨) ، وسمي كعب الغنوي كعب الأمثال

(١) ٢٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب .

(٢) ص ٢٥ المرجع .

(٣) راجع ٢٧٩ ج ٣ العقد .

(٤) راجع ١٢٨ ج ٧ الاغانى ، وقد نقد الرافعي هذه الحكومة ورأى أنها جائرة (٢٢٥ - ٢٢٤ ج ٣ آداب العرب للرافعي) . وتابعه في ذلك محمد هاشم (١٨٤ الادب العربي في العصر الجاهلي) ويرتاب باحث في هذه القصة ، ويرى ان امرأ القيس غير مقصّر ويقول : ولعل ذلك ما حمل ابن المعتز على أن ينكر هذه القصيدة فيما أنكره من شعر امرئ القيس (٢١ و ٢٢ تاريخ النقد عند العرب) .

(٥) ١٢٣ الشعر والشعراء .

(٦) تاريخ النقد الأدبي عند العرب .

(٧) ٧٠ من المؤلف للامدي .

(٨) ٢٥٦ سر الفصاحة لابن سنان ، ٥٠ و ٥٧ : ١ العمدة

لكثرة ما في شعره^(١) منها ، وسمي طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها ،
والنمر بن تولب « المحبر » لحسن شعره^(٢) ، وسموا قصيدة سويد
ابن أبي كاهل « بسطت رابعة الخيل لنا » اليتيمة كما سموا بعد
ذلك خطبة لسحبان الشوهاء لحسنها^(٣) ، ويقول زهير ويروي لحسان :

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ورأى لبيد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفه
نفسه^(٤) .. إلى غير ذلك من مظاهر النقد في الجاهلية .

(١) ٢٤١ معجم الشعراء .

(٢) ١٨٤ المؤتلف ، ١١٢ : ٢ العمدة .

(٣) ٢٢٥ : ١ وبيان والتبيين .

(٤) ٢٠ الجمهرة ، ٢٨٠ : ٢ العقد ، ويقول ابن عبد ربه :

وهذا - أي تفضيل شاعر وإبه أشعر الشعراء - مما لا يدرك غايته ولا
يوقف على حد منه ، والشعر لا يفوت به أحد ولا يأتي منه بديع ، إلا ما
أتى ما هو أبعد منه ، ولله در القائل : أشعر الناس من أنت في شعره (٣٨١) :
٣ العقد .

النقد الادبي في القرن الاول

أخذ النقد في القرن الأول الهجري يسير في طريق التضوج والوضوح مع الفطرة الخالصة والذوق السليم ، وكان كثير من الخلفاء والصحابة نقاداً بفطرتهم وذوقهم ، فأبو بكر يقدم النابغة ويقول هو أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً وأبعدهم قعراً^(١) ، وكان عمر يتذوق الشعر وينقده^(٢) وقدم زهيراً ولم يحكم بذلك فحسب بل شرح سبب حكومته ، بأنه كان لا يعاظم في الكلام ، كان يتجنب وحنثي الشعر ولم يمدح أحداً إلا بما فيه^(٣) ، وكان يرى أنه أشعر الناس^(٤) ، وكان يجلس هو وأصحابه فيتذاكرون الشعر والشعراء وأيهم أشعر^(٥) ، وقال لوفد غطفان عن النابغة : إنه أشعر شعرائهم^(٦) .. وكذلك علي بن أبي طالب كان يقدم امرأ القيس على الشعراء لأنه أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة^(٧) وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر ويشيد بذكر شاعرها في الجاهلية زهير وشاعرها في الإسلام ابنه كعب .

وأشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال : هذا من كلام النبوة .

(١) ٧٨ : ١ العمدة .

(٢) راجع : ٧٩ اعجاز القرآن ، ١٦٩ و ١٧٠ : ١ و ٢٢٤ و ٢٢٥ : ٢ البيان والتبيين ٢٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٧٦ : ١ العمدة .

(٣) ١٢٥ الموازنة ، ٨٠ : ١ العمدة ، ٢٢ جمهرة أشعار العرب ، والمعاظلة وتفسيرها في الموازنة وسر الفصاحة وفي ص ١٠٥ نقد الشعر .

(٤) ٢٧٩ : ٢ العقد وما بعدها .

(٥) ٢٢ الجمهرة .

(٦) ٢٤ الجمهرة .

(٧) ٢٧ و ٢٨ : ١ العمدة .

وذكر امرؤ القيس والشعراء عند رسول الله فقال : هو قائدهم
وصاحب لوائهم .

وقال عمر بن الخطاب :

أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجاته ،
يستعطف بها قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم .

وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان : من
الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلب
قالوا : نذبة بني ذبيان ، قال لهم : فمن الذي يقول :

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي على وجل تظن بي القانون
فألقيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : هو النابغة ، قال : هو أشعر شعرائكم ، ولا بدع فعمر
كان يعرف قدر الشعر ويستمتع لأراء الشعراء .

سئل مالك بن أنس : من أين شاطر ابن الخطاب عماله فقال :
أموال كثيرة ظهرت عليهم وأن شاعراً كتب إليه يقول :

إذا التاجر الهندي جاء بقارة من المسك راحت في مفارقهم تجري
فدونك مال الله حيث وجدته سيرضون إن شاطرتهم منك بالشر

قال : فشاطرهم عمر أمواهم .

وقال ابن عباس ، قال عمر بن الخطاب ، أنشدني قول زهير
فأنشدته قوله في هرم ابن سنان حيث يقول :

قوم أبوهم سنان حيث تنسبهم طابوا وطاب من الأفلاذ ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

فقال له عمر : ما كان أحب إلي لو كان هذا الشعر في أهل بيت رسول الله .

ودخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من أنت ؟ قال : أنا ابن هرم ابن سنان قال : صاحب زهير ؟ قال : نعم ، قال : أما إنه كان يقول فيكم فيحسن ، قال : كذلك كنا نعطيه فنجزل ، قال : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

وقيل للحطيئة : من أشعر الناس ، فأخرج لسانه وقال : هذا إذا طمع .

وقيل : بنو هذيل من أشعر قبائل العرب ، وأشعرهم أبو ذؤيب ، وأمير شعره وغرة كلامه قصيدته التي أولها : « أمن المنون وريبها تتوجع ^(١) » .

وكان لعبد الملك مجالس يتناول فيها مع جلسائه نقد الشعر والشعراء وهي كثيرة ^(٢) ، وحكم سليمان بن عبد الملك على جرير والفرزدق والأخطل ^(٣) .

ولكثير من خلفاء بني أمية وخاصة عبد الملك أحكام نقدية على الشعر والشعراء ومنازلهم الأدبية ، وهي كثيرة .

(١) ٨١ خاص الخاص للثعالبي .

(٢) راجع مثلاً ٣٠ : ٣ الأماشي ، ١٥٢ : ١ و ١٥٥ : ٢ ديوان المعاني

(٣) ١٨٩ الشعر والشعراء .

النقد الأدبي في القرن الثاني

بلغ النقد الأدبي في القرن الثاني الهجري مرحلة من مراحل تطوره ، تناسب ما بلغه العرب في هذا العهد من نضج ثقافي وأدبي كبير .

كان الرواة كالأصمعي وخلف وحماد وأبي عبيدة يهتمون برواية الشعر وجمعه ، وكان خلف مكانة في النقد ، « وكان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يحرون مع خلف في حلبة هذه الصناعة - النقد - ولا يشقون له غباراً لنفاذه فيها وحذقه بها ، وإجادته لها »^(١) . وكان يجمع كثيراً من الآداب^(٢) ، وكان عالماً بالغريب والنحو والنسب والأخبار شاعراً كثير الشعر جيدة^(٣) ، وأصلح الأصمعي رواية بيت من شعر جرير ، وقال : أروه كذلك فلقد كانت الرواة قديماً تصلح شعر الأوائل^(٤) ، وأعجب بنقد بشار للشعر^(٥) . وعرض عليه مروان لامبته فضللها على لامية الأعشى^(٦) . وكان أبو عبيدة يرى أن أشعر الناس امرؤ القيس والنابعة وزهير^(٧) وأشعر الإسلاميين الفرزدق وجرير والأخطل لأنهم أعطوا حظاً في الشعر لم يعطه أحد في الإسلام^(٨) ، وكان الأصمعي يعجب بشعر بشار لكثرة فتونه وسعة تصرفه ولطبعه ، وكان يشبهه بالأعشى والنابعة ، ويشبه مروان بزهير والخطيئة^(٩)

(١) ١٩٧ / ١ العمدة .

(٢) راجع ٢٢٤ : ٣ البيان .

(٣) ٣٠٨ الشعر والشعراء .

(٤) ١٣ / ٢ زهر .

(٥) ٤٣ / ٣ الاغاني .

(٦) ٤٠٢ / ٣ العقد .

(٧) ٤٤ الجمهرة .

(٨) ٤٦ المرجع .

(٩) ٣٥ / ٣ الاغاني .

وكان يفضل بشاراً على مروان^(١) ، وكان يقول هو وأبو عبيدة :
عدي في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها^(٢) ،
وعاب بين يدي الرشيد قول النابغة :

نظرت إليك ، بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العود

لذكره السقيم^(٣) . وسئل المفضل عن الراعي وذو الرمة : أيهما
أشعر فصاح صيحة منكورة . أي لا يقاس ذو الرمة بالراعي^(٤) .

وكذلك كان الأدباء ينفدون الشعر بفطرتهم وذوقهم . كان بشار
أجودهم وأدقهم في نقد الشعر ومذهبه ، وكان أبو عبيدة يعجب
من « فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده لأشعر »^(٥) ، وكان
خلف يعجب من نقده ومذهبه^(٦) ، وغضب بشار على سلم لشرقته
معانيه^(٧) ، وكان مروان يعرض شعره عليه^(٨) وكان أبو العتاهية يعتمد
على معاني بشار^(٩) ، وكان أشجع يأخذ عنه ويعظمه^(١٠) وكان
ابن الرومي يقدمه ويزعم أنه أشعر من تقدم وتأخر^(١١) ، وكان

(١) ٢٢٥ ، ٢٥١ الموشح .

(٢) ١٧ / ٢ الاغاني .

(٣) ٢٧٠ العمدة .

(٤) ١٧٩ الموازنة . وكان ذو الرمة راوية للراعي ٢٠٧ طبقات ابن

سلام .

(٥) ٢٣ / ٢ الاغاني .

(٦) راجع ٤٣ / ١ الاغاني ، ٢١٠ الدلائل ، ٧٥ الفتاح ، ١٧ الايضاح .

(٧) ٤٨ / ٢ الاغاني .

(٨) ٥٨ / ٢ الاغاني .

(٩) ١٢٤ : ٣ الاغاني .

(١٠) ١٢٧ / ٢ الاغاني .

(١١) ١٣ : زهر الآداب . وكان بشار يقدم جريراً على الفرزدق

(١٢٩) طبقات ابن سلام) من حيث كان البحتري يفضل الفرزدق (٢٤ صناعتين)

ونقد بشار قول كثير « الا انما ليلي عصا خيزرانة » (٨٠ : ٢ الكامل) .

كثير من الشعراء يجارون بشاراً في هذا الميدان .. وكان أبو نواس بدعوته إلى ترك بدء القصيدة بذكر الأطلال ناقداً خبيراً بتأثير الحضارة في الشعر والأدب .

ولكن جهود علماء اللغة في النقد كانت أقوى وأظهر فوضعوا الجاهليين في طبقات ولم يتركوا شاعراً مشهوراً من الجاهليين إلا رأوا فيه رأياً ، ولا فتاً من فنون الشعر إلا نقدوه ونوهوا بما فيه من جيد ورديء . وهم الذين جمعوا أقوال النقاد قبلهم في الشعر والشعراء ، ووازنوا بين الإسلاميين والمتقدمين ، ونقدوا رواية الشعر وبنيته ومعانيه وغير ذلك من الموضوعات .

وقد كان للعرب في حياتهم الأولى ذوق وفيهم طبع ، كانوا بهما في غنى عن الشرح والتحليل والتوجيه والتعليل لأحكام النقد ولأصول البيان العربي ومذاهبه ، وكذلك كانت أصول النقد بعيدة عن الدراسة والتقرير .

وفي ظلال الحياة الإسلامية اختلطت العناصر وتمازجت الثقافات فلقيت العقول ، وأصابت الألسنة آثار من الالكنة واللعن ، وأخذ أئمة العربية يعملون في صبر وعزيمة في وضع أصول النحو العربي ، وجمع مواد اللغة الغزيرة ، وصحب ذلك وتلاه دراسات أخرى تتناول النقد ، كما تتناول البيان العربي وأصوله ومذاهبه بالبحث والتحليل ، وأخذت تتكون من تلك الدراسات النواة الأولى للنقد والبيان العربي ، وظل التقدم الفكري والنضوج الأدبي والعلمي يسير بهذه البحوث والدراسات نحو الكمال المنشود بخطوات كبيرة .

وكانت الثقافة النقدية البيانية تنمو في القرن الثاني بجهود طبقتين :

١ - الأولى طبقة رواة وعلماء الأدب من البصريين والكوفيين والبغداديين من أمثال : خلف والأصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة ويحيى

ابن نجم وابن كركرة ، وأستاذهم أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالعرب^(١) والعربية ، ومن عامة الرواة الذين لا يقفون إلا على البليغ الساحر من الأساليب كما يقول الجاحظ دون النحويين واللغويين والأخباريين ، الذين لم يتجهوا هذا الاتجاه^(٢) وبحوار هؤلاء الأئمة الشعراء^(٣) وغيرهم من الخطباء ورجال الأدب الذين تتقفوا بالثقافة العربية .

٢ - والثانية طبقة الكتاب الذين لم ير الجاحظ قوماً قط أمثل طريقة في البلاغة منهم ، والذين التمسوا من الألفاظ ما لم يكن وحشياً ولا سوقياً^(٤) ، ورأى الجاحظ البصر بهذا الجوهر من الكلام فيهم أعم^(٥) ، وحكم مذهبهم في النقد^(٦) ، ومثلهم المعتزلة وفرق المتكلمين الذين رأهم الجاحظ فوق أكثر الخطباء وأبلغ من البلغاء^(٧) وكان بعضهم من عناصر عربية وتثقفوا بثقافة أجنبية ، والآخرون من عناصر أجنبية تثقفت بالثقافة العربية ، مما كان له أثره في فهم أصول البيان وفي توجيه دراسته وبحوثه وفي الدعوة إلى آراء في الأدب نوائم ثقافتهم وعقليتهم ، وكان بعضهم يلحن مذاهبه الأدبية العامة للتلاميذ وشدة الأدب ، كما نرى في محاضرة بشر بن المعتمر المعتزلي م ٢١٠هـ في أصول البلاغة^(٨) ،

(١) ٢٠٩ : ١ البيان

(٢) ٢٢٤ : ٣ البيان

(٣) راجع ٥٤ : ١ البيان

(٤) ١٠٥ : ١ البيان

(٥) ٢٢٥ : ١ البيان

(٦) ٢٤٠ : ١ البيان

(٧) ١٠٦ : ١ البيان

(٨) ١٠٤ : ١ وما بعدها البيان ، ١٢٨ وما بعدها صناعتين

والتي يقول الجاحظ عنها إن بشرأمر بإبراهيم بن جبلة بن مخزومة (١) وهو يعلم الفتيان الخطابة فوقف بشر فظن إبراهيم أنه وقف ليستفيد فقال بشر : اضربوا عما قال صفحاً ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميته في أصول البلاغة وعناصر البيان (٢) . ومن رجال هذه الطبقة : أبو العلاء سالم مولى هشام وعبد الحميد الكاتب أو الأكبر كما يقول الجاحظ (٣) وابن المقفع وسهل ابن هرون (٤) والحسن والفضل (٥) ابنا سهل ، ويحيى البرمكي وأخوه (٦) جعفر . وأحمد بن يوسف وعمرو ابن مسعدة وابن الزيات .

-
- (١) بعده الجاحظ من الخطباء الشعراء ٥٥ : ١ البيان .
 (٢) ولبشر كتاب في نظم كلية ودمنة (٥٨ ابن المقفع لمردم) .
 (٣) ١٥١ : ١ البيان .
 (٤) كان سهل يقول : سياسة البلاغة أشد من البلاغة (١٤٤ : ١ البيان .
 ٣٢ : ٣ العقد) .
 (٥) ذكر الحصري كثيراً من بلاغته (١٦ - ١٩ : ٢ زهر) .
 (٦) فوه الجاحظ ببلاغته (٨٥ و ٩١ : ١ البيان ، ٨١ : ٢ زهر الآداب)
 وكان يؤثر الإيجاز (٨١ : ١ البيان ، ١٧٧ : ١ الكامل للمبرد) ، ونسوه
 به سهل بن هارون (١١ : ٢ زهر) .

النقد الادبي في القرن الثالث

(١)

أخذ النقد الأدبي في القرن الثالث الهجري يستقل بالبحث والتأليف على أيدي النقاد وعلماء الأدب وسواهم : كابن سلام (م ٢٣١ هـ) ، والجاحظ م ٢٥٥ هـ ، وابن قتيبة م ٢٧٦ هـ ، وابن المديبر م ٢٧٩ هـ ، والمبرد م ٢٨٥ هـ وثعلب م ٢٩١ هـ ، وابن المعتز م ٢٩٦ هـ وسواهم من الأدباء ، وعلماء اللغة وأصحاب الثقافات الحديثة ، وغيرهم من الذين خاضوا في أصول الموازنات والبلاغة وموازين النقد .

(أ) فمن الأدباء النقاد : أبو تمام م ٢٣١ هـ ، ووضيئة للبحري حول الشعر وفنه ومذهب الشاعر فيه مثال واضح من أمثلة النقد الدقيقة ، وأصل من أصوله الأولى ^(١) . وله آراء أخرى في النقد مفرقة في شتى المصادر ^(٢) ومنهم ابن المعتز ^(٣) وسواه .

وتميل هذه الطبقة إلى العناية بأدب وشعر المحدثين ونقدتهما وخاصة شعر أبي تمام والبحري . ولعلي بن أحمد المنجم رسالة في العباس بن الأحنف والعتابي والموازنة بينهما ^(٤)

(ب) ومن علماء الأدب ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة .

(١) راجع الوصية في : ١٥١ : ١ زهر ، ٢/٢٠٩ المدة ، ١٦٠ حديقة الافراح لليمني ط ١٣٢٠ هـ ، المطالعة التوجيهية .

(٢) راجع مثلاً ص ١٩٢ طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز .

(٣) ويذكر مندور ان ابن المعتز تأثر أرسطو في كتابه البديع ٤٤ - ٤٧ النقد المنهجي لمندور .

(٤) ٩٢ - ٩٤ : ٤ زهر ، وهي في الموشح ٢٩٢ و ٢٩٣ منسوبة لابي احمد يحيى بن علي المنجم .

١ - أما ابن سلام فبصري راوية عالم بالشعر مؤلف في نقده ، عاش في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري والثلث الأول من القرن الثالث ، ودرس وتثقف وأحاط باللغة والآداب والأشعار ، واهتم بالنقد مع تأثر بروح عصره في الاستيعاب والشرح والتحليل ، وله كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب طبقات الشعراء الإسلاميين^(١) وقد أدمجا في بعض وطبعا من عهد قريب باسم ، طبقات الشعراء ، والمقدمة المطبوعة في أوله هي مقدمة كتاب طبقات الإسلاميين ، يرشد إلى ذلك الكثير من مقدمته كقوله : « ورتبت هذا المؤلف على عشر طبقات كل طبقة تجمع أربعة من فحول شعراء الإسلام »^(٢) .

وكتابه أول مؤلف في النقد^(٣) كما يقولون ، والصحيح أنه ألف قبله كتب أخرى في موضوع كتابه نفسه ، وبحوث كتابه تشمل ذكر أئمة العربية واتجاهاتهم العلمية ، وتتناول شرح الشعر العربي وأثره ونشأته وتطوره وتنقله في القبائل وانتحاله ، ثم يذكر طبقات الجاهليين العشر وشعراء المرائي وشعراء القرى العربية ، كما يذكر طبقات الإسلاميين العشر ، جاعلاً في كل طبقة أربعة من الشعراء ، مع الدراسة العميقة والتحليل الدقيق والنقد الممتع لرجال هذه الطبقات وحياتهم ومذاهبهم الفنية في الشعر ، والكتاب من مصادر ثقافتنا الأدبية في النقد ، ولا يكاد يستغنى عنه باحث أو دارس ، وهو ضروري في دراسة النقد وجامع لكثير من الآراء فيه ، وقد رواه عن ابن سلام ابن أخته أبو خليفة الفضل بن الحبيب الجهمي ٣٠٥ هـ ، والذي يشيد الحصري بأدبه وبلاغته^(٤) .

(١) ١٦٥ فهرست .

(٢) ص ١٦ طبقات الشعراء لابن سلام .

(٣) ١٠٨ : ٢ زيدان ، ٧٤ تاريخ النقد الادبي عند العرب .

(٤) ٢٥٢ ج ٣ زهر .

٢ - وأما الجاحظ فعلم من أعلام الأدب والنقد والبيان، وفي كتابه «البيان» وسواه من مؤلفاته ثروة كبيرة في النقد الأدبي، فتجده يحلل في دقة وتفصيل مذهب الطمع والصنعة في الشعر^(١) ويشير إلى سرقات أدبية^(٢) وموازنات أدبية^(٣)، ويستجيد بعض آثار للشعراء فيقول مثلاً: «وكان أبو حية أشعر الناس لقوله الخ^(٤)»، ويقول: «ومن جيد محدث أشعارهم الخ^(٥)»، ويقول: «ومن جيد الشعر قول جرير الخ^(٦)» ويشي على أبي نواس وشعره وخمرياته^(٧)، ويرى أنه ليس هناك مولد إلا وبشار أشعر منه ولا مولد أشعر بعد بشار من أبي نواس^(٨) وأبو نواس عنده أشعر الناس في قوله: «كأن ثيابه أطلعن من أزراره قمرأ»^(٩) ورأى أن بيتي عنبرة «وخلأ الذباب بها الخ» من المعاني العقم^(١٠)، ومثله قول أبي نواس «قرارها كسرى الخ»^(١١) وينقد أبا العتاهية ذاهباً إلى^(١٢) أن شعره أملس المتون ليس له عيون الخ،

(١) ٥٤ و ٥٥ و ٦٠ ج ١ ، ٢١ - ٢٦ ج ٢ البيان والتبيين .

(٢) ٨٩ و ١١٦ و ١٧٩ و ٢٥٥ ج ١ البيان .

(٣) ٢٤٣ ج ١ البيان .

(٤) ١٦٦ ج ٢ و ٢٠٥ و ٢٠٦ ج ٢ البيان .

(٥) ١٧٥ ج ٢ البيان .

(٦) ١٣٣ ج ٢ البيان ، وتجده شرحاً لبيت جرير اللذين ذكرهما الجاحظ في هذا الموضع في ص ٢٠٨ طبقات الشعراء لابن سلام .

(٧) ٤٢ جزء ٤ العقد الفريد .

(٨) ٩١ ج ١ العمدة .

(٩) ١٨٥ ج ٤ زهر .

(١٠) ١٨٤ ج ٢ البيان .

(١١) ١٦٦ ج ٣ زهر . وراجع شرح البيت في العمدة ٢٧٥ ج ١ وكذلك ذهب المبرد في الروضة في بيت أبي نواس ، ونفذهما ابن الأثير في ذهابهما الى ان بيت ابي نواس من المعاني المبتكرة . ورأى أنه من المعاني المعتادة وان فصاحة هذا الشعر هي الموصوفة لا هذا المعنى (١٢٢ المثل السائر) .

(١٢) ٥٢ ج ٣ زهر .

ويعجب بقوله « روائع الجنة في الشباب » إعجاباً كبيراً ^(١) ويذكر حوار إبراهيم بن عبد الله لأبيه في شعر كثير ^(٢) ، وأن الناس كانوا يستحسنون بيت الأعشى « وبات على النار الندي والمخلق » حتى قال الحطيئة :

مضى تأتته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

فسقط بيت الأعشى ^(٣) ، وينقد الكميت لقوله في رسول الله :
لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك اللججاج والصخب

كما ينقده لقوله في رثائه :
لقد غيوا حزماً وعزماً ونائلاً عشية وأراه الصفيح المنصب

لأنه يصلح في عامة الناس ^(٤) ، وقد دافعوا عنه بأنه إنما أراد في البيت الأول آل الرسول لا الرسول فروى عنهم بذكر النبي خوفاً من بني أمية ^(٥) ويذكر مناهج الرواة ^(٦) وتعصب أبي عمرو أن العلاء على الإسلاميين ^(٧) وأن الرواة كانوا ^(٨) يحرصون على نسيب العباس بن الأحنف حتى أورد عليهم خلف نسيب الأعراب فعنوا به وزهدوا في نسيب العباس ، والجاحظ ينكر علو المتعصبين على الشعراء المحدثين ، ويرى أنه لو كان لهم بصر لعرفوا موضع الجيد ممن كان ، وفي أي

(١) ٢٨ ج ٣ الاغانى ، ٢٦٦ ج ٢ عصر المأمون .

(٢) ١٤٦ ج ٢ البيان .

(٣) ٢٦ جزء ٢ البيان .

(٤) ١٧٢ و ١٧٣ ج ٢ البيان ، ١٧٠ ج ٥ الحيوان ط ١٩٤٢ ، ١٤٥ ج ٢

العمدة .

(٥) ٢٠ الموازنة و ١٢٦ ج ٢ العمدة .

(٦) ٢٤٤ ج ٢ البيان و ٤ و ٥ الكشف عن مساوئ المثلي .

(٧) ٢٠٩ ج ١ البيان .

(٨) ٢٢٤ ج ٢ البيان .

زمان كان (١) .. إلى غير ذلك من شتى آرائه في النقد .

٣- وأما ابن قتيبة فهو عالم ملم بالثقافات في عصره ، مجدد في التفكير ولكنه مع ذلك محافظ كل المحافظة في الأدب ، ينمي على الأدباء انصرافهم إلى المنطق وشغفهم به عما سواه من علوم السدين واللغة (٢) ، ويرى وجوب اتباع منهج المتقدمين في نظم القصيدة (٣) ولكنه مع ذلك لا يتعصب للقديم ولا للمحدث تعصباً أعمى ولكن يعطي كلاً حقه من العدالة والإنصاف وكتاب « الشعر والشعراء » وعلى الأخص مقدمته دراسة عميقة للشعر وأقسامه وعناصره وللطبع والصنعة فيه وللخصومة بين القدماء والمحدثين ، ولدواعي الشعر ونظمه وأسباب اختلاف شعر الشاعر .

والكتاب مظهر لثقافة واسعة (٤) ، واطلاع واسع وذوق سليم ، وفيه عرض لنحو مائة وستين شاعراً من الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين وصدور المحدثين ، وقد عني في دراسته لهم ببيان مذاهبهم وخصائصهم واتجاهاتهم وذكر آراء النقاد في شعرهم وسرقاتهم وما يستجاد لهم من حكمة أو تشبيه أو وصف وما سبقوا إليه من معان ، وسرد الشعراء سرداً دون ترتيب لطبقاتهم أولهم بحسب عصورهم بعكس ابن سلام ، وقد اهتم بدراسة لغة الشعراء وأثر البيئة فيها (٥) وتكلم عن بعض النساء الشاعرات كالخنساء (٦) وليلى

(١) ٤٠ ج ٣ الحيوان وذلك مما يردده ابن المعتز الذي حثم عدالة الحكومة الادبية وحثم الا يدفع احسان محسن عدوا كان أو صديقاً (١٣ و ١٤ رسائل ابن المعتز) . وكذلك رأى ابن قتيبة (٧ و ٨ الشعر والشعراء) ، وابن رشيق (٧٤ ج ٢ العمدة) .

(٢) ص ٢ أدب الكاتب .

(٣) ١٤ وما بعدها الشعر والشعراء .

(٤) راجع مثلاً شرحه للمشكل من شعر أبي نواس (٣١٥ و ٣١٦ و ٣٢٠ و ٣٢٥ الشعر والشعراء) وسوى ذلك .

(٥) راجع رأيه في عدى وأمية بن أبي الصلت وأبي دؤاد (٦٣ و ٦٩ و ١٧٦ الشعر والشعراء) ، ١٧ ج ٢ الاغانى مثلاً .

(٦) ١٢٢ للشعر والشعراء .

الأخيلية^(١) ، وهو حريص على ذكر زلات الشعراء من ناحية العقيدة^(٢) ، ويعنى بتحقيق نسبة الشعر لقائله عناية كبيرة .

(ج) وأما طبقة علماء اللغة فآثرهم في النقد واضح جليل يتجلى في آرائهم وكتبهم .

وكان هؤلاء كلهم أو جلهم يؤثرون الشعر القديم ، ومنهم : أبو العميثل المتوفى ٢٤٠ هـ وابن السكيت م ٢٤٤ هـ ، وأبو حاتم السجستاني م ٢٥٥ هـ ، وأبو الفضل الرياشي م ٢٥٧ هـ ، والسكري م ٢٧٥ هـ . والمبرد م ٢٨٥ هـ وثعلب م ٢٩١ هـ^(٣) . وأظهرهم أثراً في ذلك المبرد الذي حفظ « الكامل » كثيراً من آرائه في النقد .

وأهم ما في الكامل للمبرد دراسته للتشبيه وعرضه لكثير من شواهد^(٤) وهذا الباب كله نقد أدبي جيد ، ويذكر المبرد كثيراً من السرقات الأدبية في كتابه ، ويذكر الكثير من آراء القدماء في النقد والموازنة ، ويشيد بآراء مناذر ومرثيته « كل حي لآقي الحمام فمودي^(٥) والمبرد لا يتعصب لتقديم على محدث » ، ويرى أنه « ليس لتقديم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن يعطي كلاماً يستحق »^(٦) ، ولذلك ضمن كتابه كثيراً من شعر المحدثين . وعقد

(١) ١٧٠ المرجع .

(٢) راجع مثلاً : ٢٢١ و ٢٢٢ المرجع .

(٣) ينقد ابن الرومي الاخفش لعدم خبرته بالنقد ، وذلك في أبياته :

قلت لمن قال لي : عرضت على	الاخفش ما قلته فما حمده
قصرت بالشعر حين تعرضه	على مين العمى اذا انتقده
ما قال شعرا ولا رواه فلا	نعلمه كان لا ، ولا اسده
فان يقل انني رويت فكالدة	ترجها بكل ما اعتقده

(٤) الكامل ص ٣٥ - ١٠١ ج ٢ .

(٥) الكامل ص ٢٨٨ ج ٢ .

(٦) الكامل ص ١٨ ج ١ .

بابين لأشعارهم خاصة ^(١) ، ورأى أنها أشكل بالعصر ^(٢) ، ويروي شعراً لأبي تمام ويقول : « وليس بناقصه حظه من الصواب إنه محدث » ^(٣) وذكر مكانة الحسناء وليلى الأخيلية في الشعر ^(٤) ونقد قول الشماخ :

إذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشترقي بدم الوتين ^(٥)

وإجماع النقاد على نقد قول نصيب :

أهيم بدعد ما حيت وإن أمت أوكل بدعد من ييم بها بعدي ^(٦)

ويذكر مجد آل حسان وابن أبي حفصة في الشعر ^(٧) ، كما يذكر بعض المعاني الجديدة في شعر أبي نواس ^(٨) ، ويعيب ^(٩) قوله :
كيف لا يدنيك من أمـل من رسول الله من نقره
ويذكر وجهاً لتخرجه .

وعلى أي حال فثقافة اللغويين في النقد كانت قابلة بالنسبة لأدباء الكتاب وعلماء النقد ^(١٠) ، وسئل البحري عن مسلم وأبي نواس أيهما

(١) الكامل ٢٦٠ ج ٢ ، وص ٢٢٢ - ٢٦١ ج ١ .

(٢) الكامل ٢٢٣ ج ١ .

(٣) الكامل ٢٦٠ ج ٢ ، والمبرد مناقشة أدبية بينه وبين ابن درستويه حول معنى لابي تمام (زهر الآداب ص ٢٢٩ و ٢٤٠ ج ٢) .

(٤) الكامل ص ٢٧٩ ج ٢ .

(٥) الكامل ص ٧٧ ج ١ .

(٦) المرجع نفسه ص ١٠٦ ج ١ ، ويذكر الجاحظ أن صالح بن نيمان قال : أحق الشعراء الذي قال : « أهيم بدعد - البيت » (البيان ص ٢١٧ ج ٢)

(٧) الكامل ص ١٥٤ ج ١ .

(٨) الكامل ص ٩٤ ج ٢ .

(٩) الكامل ص ٤٣ و ٤٤ ج ١ .

(١٠) راجع كلمة الجاحظ في ذلك في ص ٣ و ٥ الكشف عن مساوي شعر المتنبي .

أشعر فقال : مسلم لأنه يتصرف في كل فن ، فقليل له إن ثعلباً لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا من عالم ثعلب وأضرابه ، وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه ^(١) . وقال البحري لصديق له أراد التوجه لأبي العباس ^(٢) ليقراً عليه شيئاً من الشعر : رأيت أبا عباسكم هذا فما رأيته ناقداً للشعر ولا مميّزاً له ورأيتني يستجيد شيئاً وما هو بأفضل الشعر ^(٣) .

(د) وفي هذا القرن نشأت طبقة المفكرين والمثقفين الذين تثقفوا بثقافات أجنبية واسعة ، وتأثروا كل التأثر بآداب الأمم الأخرى ، وترجموا آراءهم في البيان ومناهجه إلى اللغة العربية ، أو ألفوا كتباً تبحث في هذه الاتجاهات ، وهؤلاء قد عاشوا في البيئة الإسلامية ، وأثروا في النقد والأدب والبيان ودراسه وتطوره تأثيراً واضحاً كبيراً ويمكننا أن نذكر شيئاً عن مجهود هذه الطبقة في خدمة البيان .

أهم عمل علمي قامت به هذه الطبقة هو ترجمة كتابي الخطابة والشعر لأرسطو إلى العربية ، فأما الخطابة فهو أصل كبير من أصول البلاغة ودراساتها وقد « أصيب بنقل قديم ونقله إسحاق بن حنين م ٢٩٨ هـ ، وكذلك نقله إبراهيم بن عبدالله وفسره الفارابي م ٣٢٩ هـ » ^(٤) وأما كتاب الشعر فقد اختصره الكندي م ٢٥٣ هـ ، وترجمه إسحاق أيضاً ^(٥) ، ونقله يعقوب بن عدي ومثني بن يونس في القرن الرابع من

(١) دلائل الإعجاز ص ١٩٥ ، والكشف ص ٥ ، واعجاز القرآن ١٠١ ، والعمدة ٩ ج ٢ .

(٢) لعله يريد ثعلباً ، وأبو العباس بن المبرد وثلعب .

(٣) الدلائل ص ١٩٥ .

(٤) ٣٤٩ فهرست والدكتور إبراهيم سلامة حوله كتابان : خطابة أرسطو ، وبلاغة أرسطو بين العرب واليونان .

(٥) راجع ٢٥٠ الفهرست لابن النديم .

السريانية إلى العربية ^(١) . وقد ألفوا في صناعة الشعر ، وللكندي رسالة في صناعة الشعر ^(٢) ، ولأبي زيد البلخي كتاب بعنوان « صناعة الشعر » أيضاً ^(٣) ، وكذلك لأبي هفان ^(٤) . وهناك آراء مأثورة عن هذه الطبقة في النقد وفي البلاغة وفي شتى كتب الأدب ومصادره ويذكر ابن الأثير أن الشعر والخطابة في الأدب العربي لم يتأثرا بثقافة اليونان في الأدب والنقد والبيان ، وينفي أن يكون هو قد تأثر في رسائله وكتابته بما ذكره علماء اليونان في حصر المعاني ، ويذكر أنه اطلع على ما كتبه ابن سينا في الخطابة والشعر فلم يوفق ذوقه ، ورأى أن ما ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئاً ^(٥) .

ويرى باحث محدث أنه كان للبلاغة اليونانية أثر في علم البلاغة العربية ^(٦) ويرى آخر أن أرسطو المعلم الأول للمسلمين في علم البيان ^(٧) وأن الكتاب والتكلمين الذين عاشوا في القرن الثاني وأثروا

(١) ٣٤٩ و ٣٥٠ فهرست ، ونجد تحليلاً كاملاً للكتاب في (٦٤ - ١٣٦ قواعد النقد الأدبي) وهو لم يصل إلينا كاملاً وليس من شك في أن للكتاب جزءاً ثانياً قد فقد (٦٨ المرجع) ونكاد نجزم بأن أرسطو أراد بكتابه هذا أن يكون رداً على أفلاطون في رأيه الذي ذهب إليه ، وهو أن الشعر عمل غير جدير بمقام الذكاء البشري وأنه من أشد بواعث الفساد (٧١ المرجع) ، ويقول أرسطو في أوله : ساتكلم هنا عن فن الشعر وأنواعه المختلفة ووظائف كل نوع وفي البناء الصحيح للمنظومة وعدد أجزائها وخصائص كل منها » (٧٩ المرجع) وترجمة ابن سينا وابن رشد (٢٤ وما بعدها مقدمة نقد النثر) - وهما ترجمتان رديتتان (١٢ فن الادب - المحاكاة لسهير القلماوي) ومن ترجمة متى بن يونس العربية لكتاب الشعر نسخة خطية في مكتبة جامعة القاهرة ، ومن ترجمات كتاب الشعر الحديثة : ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ، وترجمة احسان عباس ، وترجمة خلف الله وعاطف سلام وقد نشرت ترجمة متى لكتاب الشعر محققة .

(٢) ٢٥٩ فهرست .

(٣) ١٩٨ فهرست .

(٤) ٢٠٧ فهرست .

(٥) ٢٠ المثل السائر .

(٦) ٢٧٧ ج ١ ضحى الاسلام .

(٧) ٣١ مقدمة نقد النثر .

في البيان وتطوره جلهم أعاجم ^(١) وأن متكلمي المعتزلة بتضلهم من الفلسفة اليونانية من مؤسسي البيان العربي ، وأنه حتى منتصف القرن الثالث لم يوجد إلا بيان عربي واحد كان في دور الطفولة وكان خصباً جامعاً للروح العربي والفارسي واليوناني ، ثم وجد من ذلك الوقت بيانان : عربي بحث ويوناني يجهر بالأخذ عن أرسطو ^(٢) حتى العربي البحث تأثر باليونان ^(٣) . ويقرر أن عبد القاهر حين وضع في القرن الخامس كتابه « أسرار البلاغة » لم يكن إلا فيلسوفاً يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه ^(٤) .

ترجم كتاب الخطابة لأرسطو في النصف الثاني من القرن الثالث . وجاء فاستفاد من كتاب الخطابة وفهم منه كل ما يمكن أن ينتفع به وطبقه على الشعر العربي ولا سيما القسم الخاص بالأسلوب ، وكان يجهل كتاب الشعر فترجم المأساة بالمديح والمهزلة وبالهجاء ^(٥) . وقد درس قدامة الفلسفة وخاصة المنطق . على أن تشريع الفلسفة للأدب في رأي الدكتور طه حسين يظهر أول مرة في « نقد الشعر » ثم في « نقد النثر » الذي هو مستمد من آراء أرسطو في الجدل والقياس والخطابة ^(٦) ويحتمل أن المشتغلين بالفلسفة اليونانية اشتروا مع الجماعات الأخرى في خدمة البلاغة العربية واستعانوا بطرق اليونانيين ومناهجهم في دراسات البلاغة والتأليف فيها ، وأن للفرس وما ترجم من قواعد

(١) ٦ المرجع .

(٢) ٨ مقدمة نقد النثر

(٣) ص ١١ المرجع .

(٤) ص ١٤ المرجع .

(٥) و (٦) ص ٧ المرجع .

بلاغتهم أثراً ما في البلاغة العربية ^(١) ، كما يؤيده أبو هلال في الصناعتين ودبوان المعاني .

وفي غالب الظن أن في البلاغة العربية عناصر ثلاثة : عنصراً عربياً وعنصراً فارسياً وعنصراً يونانياً ، ولا شك أن البلاغة العربية حينما بدأ واضعوها في تدوينها قد أفادوا من هذه العناصر الثلاثة في هذا التدوين إلى حد كبير .

ومن عجب أن يزعم زاعم أن أرسطو كان أبا النقد في الآداب الأوربية ، وفي الأدب العربي كذلك ^(٢) ، فذلك هو الخطأ الذي ليس بعده خطأ .

(٢)

وإذا كان أبو تمام قد شغل النقد طول القرن الثالث والرابع الهجري حتى ألفوا في سرقاته ونقده ، وصنف فيه الصولي م ٣٣٦ هـ « أخبار أبي تمام » قاصداً بيان فضل الطائي ^(٣) . ووازن الآمدي م ٣٧١ هـ بينه وبين البحتري مع ميل إلى البحتري وتقديم له ، وللحاتمي م ٣٨٨ هـ مناظرة بينه وبين أعرابي متعصباً للبحتري والحاتمي لأبي تمام ^(٤) .

فإن أول من كتب في نقده هو ابن المعتز ، فألف فيه رسالته في محاسن شعره ومساويه ، وقد روى المرزباني جزءاً منها إن لم يكن ما أثبتته في كتابه هو كل الرسالة ؛ وقد نشرناها في كتابنا « رسائل ابن

(١) يقول أبو هلال : وكان عبد الحميد الكاتب قد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها الى اللسان العربي الخ .

(٢) راجع ١٧٤ المدخل في النقد الادبي لهلال .

(٣) ٦ أخبار أبي تمام .

(٤) ٢٠ - ٢٧ / ٣ زهر الآداب .

المعتر « (١) ، ولقدامة كتاب الرد على ابن المعتر فيما عاب فيه أبا تمام (٢) ، وللأمدى كتاب في الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام (٣) .

(٣)

ومن أهم النقاد في القرن الثالث : الناشء الأكبر (٢٩٣ هـ) ، وهو عبدالله بن محمد أبو العباس (ابن شرشير الأنباري البغدادي) ، كان من كبار النقاد في القرن الثالث وقد توفي في مصر وكان قد هاجر إليها وأقام فيها (٤) آخر حياته .

وكان شاعراً كذلك في عداد الشعراء المجيدين ، كما يذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان وابن المعتر في طبقات الشعراء ، وغيرهما .

ويذكر ابن رشيق كتاباً له عنوانه « تفضيل الشعر » (٥) ، ويذكر أبو حيان التوحيدي كتاباً له بعنوان « نقد الشعر » (٦) .

(١) ٣٠٧ - ٣١٩ الموشح ، ١٩ - ٢١ رسائل ابن المعتر .

(٢) ١٨٨ فهرست ، ٢٠٤ / ٦ معجم الادباء نشر مرجليوث .

(٣) ٨٦ معجم الادباء نشر رفاعي .

(٤) ٤١٧ - ٤١٨ طبقات الشعراء لابن المعتر - ٢١٧ الفهرست لابن النديم - ٩٢ / ١٠ تاريخ بغداد - ٢ / ٢٧٧ وفيات الأعيان - ٨٥ مراتب النحويين ١٠١ / ١١ البداية والنهاية - ٥٧ / ٦ المنتظم - ٦١ / ٢ ابو الفداء - ٥٨ - ٥٩ / ٣ النجوم الزاهرة ، ١٢٨ / ٢ انباه الرواة - ١٤٠ / ١ - حسن المحاصرة ٢ / ١ العمدة لابن رشيق (محيي الدين عبد الحميد) - وكان الناشء معزلياً متكلماً .

اما الناشء الاصغر فهو ابو الحسن علي بن عبد الله (٢٧١ - ٣٦٥ هـ) - ١ / ٢٢٢ يتيمة الدهر - ٢٢٦ الفهرست لابن النديم - ٣ / ٥١ وفيات .

(٥) ٢٠١ / ١ العمدة - تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

(٦) البصائر والذخائر ٢ / ٢٧٢ و ٦١٩ - دمشق .

ويروى أن له قصيدة في فنون العلم والكلام في أربعة آلاف بيت ^(١) ويروي له ابن رشيقي قصيدتين في نقد الشعر ^(٢) .

ويقول التوحيدي عنه : ما أصبت أحداً تكلم في نقد الشعر وترصيفه أحسن مما أتى به الناشئ المتكلم ، وإن كلامه ليزيد على كلام قدامة وغيره ^(٣) .

ويتحدث إحسان عباس عن الناشئ في كتابه « تاريخ النقد الأدبي عند العرب » ^(٤) ، وكتب عنه الدكتور يوسف حسين بكار مقالة في مجلة الأديب اللبنانية ^(٥) .

وعلى الجملة فإن تراث الناشئ النقدي لا يزال مجهولاً لم يكشف عنه بعد .

(١) ١٠١ / ١١ البداية والنهاية .

(٢) ٢ / ١١٣ ، العمدة ٢ / ١١٥ أيضا .

(٣) ٢ / ١١٧ البصائر والذخائر التوحيدي .

(٤) راجع ص ٦٦ من الكتاب .

(٥) عدد يونيو ١٩٧٤ .

النقد في القرن الرابع الهجري

اتجه علماء الأدب في مشرق هذا القرن إلى الكتابة في الأدب والنقد ، ثم مزجوا بحوث النقد والأدب بالبيان ، ثم أفادوا من دراسات النقد فائدة جلى انتقلت بهم إلى البحث في مظاهر البيان ومشكلات البلاغة فاتجه تأليفهم في آخر هذا القرن إلى بحوث البيان نفسه

ونقاد الأدب والشعر في القرن الرابع فريقان فريق كتب ونقد ووازن وحكم متأثراً بذوقه الأدبي وطبعه العربي وثقافته الخالصة من شوائب الثقافات الأخرى التي جرت جداول إلى يمين الثقافة الإسلامية الصميعة المتدفقة ، ومن هؤلاء الخاتمي ٣٨٣ هـ « صاحب الرسالة الخاتمية » في نقد شعر المتنبي وبيان سرقاته من حكمة أرسطو الفيلسوف والحسن بن بشر الآمدي ٣٧١ هـ صاحب الموازنة بين الطائيين ، وعلي ابن عبد العزيز الجرجاني ٣٩٢ هـ صاحب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ، وابن وكيع ٣٩٣ هـ صاحب « المنصف » في سرقسات المتنبي وأبو بكر الباقلاني ٤٠٣ هـ مؤلف « إعجاز القرآن » وقبلهم أبو بكر الصولي ٣٣٦ هـ صاحب « أخبار أبي تمام » وأبو الفرج الأصبهاني ٣٥٦ هـ مؤلف كتاب « الأغاني » . وفريق آخر كتب بروح أدبي هذبت فكرته ووسعت أفقه الثقافات الأخرى التي هضمها القرن الرابع وأحالتها غذاء عقلياً لكل من توسع في الدراسة والبحث العميق ، ومن هذا الفريق : جعفر بن قدامة وقدامة بن جعفر ٣٣٧ هـ صاحب (نقد الشعر) وابن العميد ٣٦٠ هـ والصاحب ابن عباد ٣٨٥ هـ صاحب رسالة « الكشف عن مساوئ شعر المتنبي » وأبو هلال العسكري ٣٩٥ هـ صاحب « الصناعتين » و « ديوان المعاني » وهذا الفريق الأخير

يختلف نقده قوة وضعفاً بحسب تمكن الطبع العربي من نفوس رجاله وأعلامه وتتفاوت منازلهم في الإجابة والإحسان بتفاوتهم في الذوق الأدبي الذي يعتد به في الحكومات الأدبية العادلة. ودعنا ممن نقدوا الأدب والشعر بدون تمكن الطبع الأدبي في نفوسهم ، من : النحويين علماء اللغة ، والمعنويين رجال العقل والفلسفة ، الذين جاء حكمهم بعيداً عن الذوق المطبوع والفطرة السليمة. والذين نقدهم الجرجاني في (وساطته) نقداً لا ذعاً، وطرح آراءهم في النقد والبيان فلم يعتد بها ولم يعرها نصيباً من البحث والمناقشة اللهم إلا حيث أراد أن يبرر موقفه منهم فذكر بعض أخطائهم في النقد لتكون حجة له في هذا الإهمال .

ولا شك أن ظهور قدامة في أول هذا القرن ، ورجوعه إلى البيان اليوناني وما فيه من موازين للنقد ومناهج للبيان يلقح بها البيان العربي ويضع بها أسس النقد الأدبي ، جاعلاً لألوان الترف في الأداء التي تمس الفكرة وتسبغ على المعنى حظاً كبيراً في النقد ، كان تطوراً جديداً في بحوث النقد والبيان وكان عقل قدامة المنطقي يغلب ذوقه الأدبي ، فرل أحياناً في نقده من حيث قوم ذوق ابن العميد والصاحب بن عباد وأبي هلال العسكري أحكام عقولهم في النقد والحكومة الأدبية ، وإن تبعوا منهج قدامة ، وجروا في فهم الشعر وتذوقه ونقده مجراه الذي أوضحه في كتابه « نقد الشعر » والذي يرجع إلى البحث في عناصر الشعر الأساسية من : اللفظ والوزن والقافية والمعنى .

وجاء الأمدي فوضع نظرية عمود الشعر في النقد ونقد قدامة في كثير من آرائه ، بل ألف كتاباً بين فيه أخطائه في نقد الشعر ، وأهداه إلى ابن العميد ^(١) وبالرغم من ذلك كله فقد تأثر كرهاً ببعض آراء قدامة ، تأثر به في فهم عناصر ميزان النقد الأدبي التي حللها حين نقد أبا تمام والبحثري فيما يتصل باللفظ وسلامته والمعنى وصحته والغرض

(١) ٢ / ٥٨ معجم الادباء لياقوت - نشر فريد رفاعي .

واستقامته والأسلوب ومواءمته لأسلوب العرب في الأداء والوزن ،
وملاءمته لموسيقى الشعر وأوزانه . وتأثر به في تنسيق بحوثه وموضوعاته
عارضاً للموضوعات التي أثارها ابن المعتز وقدامة: كبحوثه في الجناس
والطباق والاستعارة والتقسيم ، مدلياً برأيه مع رجوعه إلى العربية
وحدها في المناقشة والنقد والحكم .

وجاء بعد الآمدي صاحب بن عباد فصار على ضوء أسناذه ابن
العميد في فهم النقد وعناصره وأصوله . ثم جاء القاضي الجرجاني
فوضع منهجاً متميزاً في النقد .

ومن ثم نجد أن النقد الأدبي في القرن الرابع :

- ١ - قد استحال إلى علم له أصوله وقواعده ومبادئه .
- ٢ - كثرت المؤلفات فيه إلى حد كبير .
- ٣ - كانت الموازنات الأدبية أظهر فروع النقد في هذا القرن ،
وأشهرها الموازنة للآمدي .
- ٤ - كثر النقاد في هذا القرن وتعددت آراؤهم في النقد .
- ٥ - كانت مشكلات النقد تثار غالباً عند الحديث عن مترلة
شاعر أو الموازنة بين شاعر وآخر .
- ٦ - تطور النقد فبحث في إعجاز القرآن وأسراره ، ثم أخذ
يتحدث عن أصول البيان العربي . حتى استحال بعد ذلك إلى علم
البلاغة الذي وضع أصوله عبد القاهر الجرجاني في كتابه : الأسرار
والدلائل ..

قدامة بن جعفر

(١)

ولد قدامة في البصرة نحو عام ٢٦٠ هـ أو عام ٢٧٦ هـ في خلافة المعتمد العباسي .

وقرأ وتعلم وثقف على والده وعلى المبرد وغيره - واجتهد وبرع في البلاغة والحساب ، وقرأ صدرأ صالحاً من المتعلق وهو لائح على ديباجة تصانيفه واشتهر بالبلاغة ونقد الشعر والكتابة .

عاش في خلافة المعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر العباسي ، وأدرك مطلع حكم آل بويه ، وتولى مجلس الزمام لآل الفرات .

وألف كتباً كثيرة منها : نقد الشعر ، وكتاب السياسة ، وكتاب الحراج (ثمانية منازل وأضاف إليه منزلاً تاسعاً) ، وكتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام ، وكتاب صناعة الجدل ، وكتاب زاد المسافر ، وكتاب الرسالة في أبي علي بن مقلة وغيرها .

وتوفي في بغداد في خلافة المطيع العباسي عام ٢٢٧ هـ .

ظهر قدامة بن جعفر في هذا القرن (٢٦٠ هـ أو ٢٧٦ - ٣٣٧ هـ) فكان له آثار كبيرة في النقد .

وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ^(١) والنقاد الأعلام ، وكتابه نقد الشعر ذو أثر كبير في حركة النقد العربي ونهضته .

فصل قدامة في « نقد الشعر » مذهبه في النقد الذي احتذى فيه حذو أرسطو في كتاب الخطابة الذي ترجمه إسحاق بن حنين في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري . ونجد أثر أرسطو واضحاً عند قدامة في كلامه على الصفات النفسية التي جعلها أمهات الفضائل وذكر أن المدح الجيد لا يكون إلا بها ^(٢) .

ويرى قدامة أن الرثاء كالمديح في وقوعه بهذه الصفات ^(٣) ، وأن الهجاء ضد المدح ولا يكون إلا بأضدادها ^(٤) ، وهذا وغيره أثير لثقافة قدامة العقلية التي تزل في مواضع الذوق والإحساس والشعور في النقد وفهم الشعر والأدب ، وعناصر الشعر عند قدامة اللفظ والمعنى والوزن والقافية وما تتركب منها ^(٥) .

ثم يذكر أسباب الجودة التي تلحق بكل عنصر من هذه العناصر

(١) ٢٠٣ - ٢٠٥ : ٦ معجم الادباء لياقوت . ١٨٨ الفهرست . وراجع تاريخ بغداد ٢٤ : ٢ كشف الظنون .

(٢) ٢٩ - ٤١ نقد الشعر بتحقيق « منون » .

(٣) ٥٩ قد الشعر . ١٢٦ الصنائع .

(٤) ٥٥ نقد الشعر . ويقول عبد الصمد بن المعدل ٢٣٠ هـ : الشعر كله في ثلاث لفظات ، فإذا مدحت قلت أنت : وإذا هجوت قلت لست : وإذا رثيت قلت : كنت ١٠٢ : ١ العمدة . وهذا أساس نظرية قدامة . وسار عليها أبو هلال وابن رشيق .

(٥) راجع نقد الشعر ص ١٢ . ومثل ذلك في العمدة ص ٩٩ ج ١ .

في نظم الشعر ويرى أن أضداد هذه الأمور هي أسباب الرداءة في النظم . ويحتم على الشاعر أن ينظم الشعر متبعاً لأسباب الجودة وحذراً من الرداءة وأسبابها ، والناقد يحكم على ضوء هذا النهج نفسه فيرى مواطن الجمال والعيب في شعر الشاعر سواء في ألفاظه وأساليبه أو في أوزانه أو قوافيه أو في سوى ذلك مما تركب منها ، فيحكم عليه أو له بالرداءة أو الجودة والإحسان ؛ وهذا نهج عقلي واضح ولكنه في تقييده الشعر بهذه القيود الثقيلة وفي تطبيقه على هذه الأصول التي رسمها في كتابه يخطئ كثيراً .. وقد ألف الآمدي كتاباً في « تبين غلط قدامة في نقد الشعر » وأهداه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقرأه عليه عام ٣٦٥ هـ ^(١) ، كما نقده كثير من علماء النقد الأدب في شتى العصور . فلا ين رشيق كتاب « تزييف نقد قدامة ^(٢) » ولا ابن أبي الأصبع المصري (٥٨٥ - ٦٥٤ هـ) كتاب « الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه » ^(٣) ، ولعبد اللطيف البغدادي (- ٦٢٩ هـ) شرح قواعد الشعر لقدامة ^(٤) ، وسماه « التكملة في شرح نقد قدامة » وله كتاب « كشف الظلامنة عن قدامة ^(٥) » .

(٣)

ويقول أبو حيان ^(٦) - في أثناء كلامه على بلاغة النثر - ما نصه :
« وما رأيت أحداً تناهى في وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة ابن جعفر في المترلة الثالثة من كتابه . قال لنا علي بن عيسى الوزير :

-
- (١) معجم الادباء في ترجمة الآمدي ص ٥٨ ج ٢ ، وراجع ١٢٥ الموازنة طبعة صبيح .
(٢) ص ٨٨ تحرير التحبير لابن أبي الاصبع المصري (٥٨٥ - ٦٥٤ هـ) .
(٣) ص ٤٩ كتاب تحرير التحبير .
(٤) ١٠ / ٢ فوات الوفيات ط ١٢٨٣ هـ .
(٥) كشف الظنون ٢ / عمود ١٩٧٢ .
(٦) ١٤٥ و ١٤٦ ج ٢ الامتاع والموانسة - طبع لجنة التأليف .

عرض على قدامة كتابه سنة عشرين وثلثمائة ، وخبرته فوجدته قد بالغ وأحسن ، وتفرد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة ، بما لم يشركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المحتسبي والمعيب المجتنب ، ولقد شاركه فيه الخليل بن أحمد في وضع العروض ، ولكني وجدته هجين اللفظ ركيك البلاغة ، حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه وكأن ما يدل به غير ما يدل عليه .. وهذا لا يكون إلا من غرارة العلم وحسن التصور . فأبو حيان على لسانه حيناً ، وعلى لسان ابن عيسى الوزير حيناً آخر يقرر :

١ - أن قدامة بذ سابقه في وصف النثر وفنون البلاغة من طريق اللفظ والمعنى في المنزلة الثالثة من كتابه .

٢ - أنه بتأليفه هذا الكتاب وابتكاره لبحوثه يضارع الخليل بن أحمد في سمو مكانته وابتكاره لعلم العروض .

٣ - أن كتابه هذا عرض على علي بن عيسى الوزير سنة ٣٢٠ هـ .

٤ - أن أسلوب قدامة في كتابه هجين اللفظ ركيك البلاغة في وصف البلاغة ، واعتذار الوزير عنه في ذلك رائع ممتع دال على مدى مكانة قدامة عند معاصريه من المفكرين ، ولكن ما هو هذا الكتاب الذي استحق هذا التقدير والإعجاب من رجلين يعدان من أعظم رجال الفكر الإسلامي في القرن الرابع الهجري وإذا فليس « نقد النثر » هو الكتاب الذي عنه أبو حيان والوزير .

ولعله كتاب آخر - ولا شك - غير « نقد النثر » الذي لا يمت إلى قدامة بصلة ، وغير نقد الشعر ، الثابت النسبة إليه والذي نقده الآمدي وشرحه عبد اللطيف بن يوسف .. وقدامة له - غير « نقد

الشعر - كتاب في صناعة الكتابة ^(١) وهو غير « نقد النثر » ، لأن هذا المرجع قد ذكر نقد النثر ، وجعله مؤلفاً آخر سواه ^(٢) ، وإن كان قد نسبته إلى قدامة ، ويذكر صاحب كشف الظنون أن لقدامة كتاباً اسمه « سر البلاغة في الكتابة » ^(٣) ، وكذلك يذكر اليزدادي في كمال البلاغة أن لقدامة تأليفاً في الكتابة (ص ١٦ كمال البلاغة) .. فليس من المستبعد إذاً أن يكون التوحيدي وعلي بن عيسى الوزير قد قصدا كتاباً من هذين الكتابين : صناعة الكتابة وسر البلاغة ، وقد يكون هذان الإسمان عنوانا لكتاب واحد لقدامة في بلاغة الكتابة ، وعلى أي حال فالذي نراه ونجزم به أن نقد النثر لا يمت إلى أحد الكتابين بصلة ، وليس هو أيضاً من مؤلفات قدامة في البيان ، وما يؤيد ذلك وصف اليزدادي لكتاب قدامة ، وأنه « فصول مستخرجة من رسائل الكتاب الخ » (١٦ و ١٩ كمال البلاغة) .

ولقدامة « كتاب الخراج وصناعة الكتابة » وتوجد مخطوطة منه بمكتبة كوبرلي بالآستانة ، وقد استخرج دي غويه نبذاً منها وطبعها تحت عنوان « كتاب الخراج » وهذه النبذة هي الأبواب : الثاني والثالث والرابع والخامس والحادي عشر من المنزلة الخامسة ، والبايان السادس والسابع من المنزلة السادسة وقد وصف ياقوت هذا الكتاب في ترجمة قدامة بقوله : « وله كتاب في الخراج وصناعة الكتابة » رتبه مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب إليه ، على تسع منازل ، وكان ثمانية فأضاف إليه تاسعاً ، ويقول المطرزي - في كتاب الإيضاح شرح مقامات الحريري - مخطوطة المتحف البريطاني : « وله تصانيف كثيرة منها كتاب الألفاظ ، وكتاب نقد الشعر ، وهو حسن للغاية طالعه ونقلت منه أشياء . وقيل هو لوالده جعفر . ومنها صناعة

(١) راجع ٢٠٢ ج ٢ كتاب الادب العربي لجورجي زيدان .

(٢) راجع ١٧٣ ج ٢ نفس المرجع .

(٣) راجع ٤٧٠ ج ١ كشف الظنون .

الكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوال منشودة ، وهو كتاب يشتمل على سبع منازل ، كل منزلة منها تحتوي على أبواب مختلفة ضمنها خصائص الكتاب والبلغاء ؛ وقال ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ٣٣٧ هـ موت قدامة ما نصه : « وله كتاب حسن في الحراج وصناعة الكتابة » .

كتاب نقد الشعر

(١)

أبو الفرج قدامة بن جعفر (٣٣٧ هـ) عالم ناقد بصري مشهور ألف كتاباً سماه « نقد الشعر » طارت شهرته في كل مكان . وصار أصلاً ، لجميع الدراسات النقدية عن الشعر ^(١) .

وقد عرّف قدامة الشعر بأنه قول موزون مقفي يدل على معنى ، وذكر أن الشعر قد يكون جيداً أو رديئاً ، أو بين الأمرين ، وأنه صنعة ككل الصناعات يقصد إلى طرفها الأعلى ^(٢)

ويقول عن منهجه في نقده للشعر : إنه يذكر صفات الشعر التي تبلغه غاية الجودة ، فإن وجد بضد هذا الحال كان شعراً في غاية الرداءة وإلا فهو بين طرفي الجودة والرداءة بحسب مدى قربه من أي الطرفين أو توسطه بينهما .

ويقرر أن المعاني كلها معرضة للشاعر وله أن يتكلم منها فيما أحب ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة ، والشعر منها كالصورة ، والمهم بلوغ الشاعر منزلة الجودة ، لا كتابته في معان رديئة .

(١) لشهرة نقد الشعر ألف الأمدى م ٢٧١ هـ كتاباً في تبیین غلط قدامة فی کتابه نقد الشعر (ص ١٢٥ الموازنة للأمدی طبعة صبیح ، ومعجم الادباء فی ترجمة الأمدی) - وألف عبد اللطیف البغدادي « ٦٢٩ هـ » کتاباً فی شرح نقد الشعر لقدامة « ٧ ج ٢ فوات الوفیات » ، ولعبد اللطیف البغدادي هذا کتاب اسمه قوانین البلاغة ، واختصر کتاب الصناعات العسکری (٧ و ٨ : ٢ فوات الوفیات) ، ویروی مؤلف کشف الظنون لعبد اللطیف بن یوسف « البغدادي » هذا کتاباً اسمه « تکملة الصلة فی شرح نقد الشعر لقدامة » (٢٤٦ : ١ کشف الظنون) وکتاباً آخر اسمه کشف الظلّامة عن قدامة « ٤٠٠ : ٢ کشف الظنون » .

(٢) ص ١٢ نقد الشعر شرح « منون » .

ويقرر أن الشعر مؤلف من أربعة عناصر : اللفظ والمعنى والوزن والقافية ويتألف من هذه العناصر أربعة عناصر أخرى هي :

١ - ائتلاف اللفظ مع المعنى أو الوزن .

٢ - ائتلاف المعنى مع الوزن أو القافية .

أما صفات اللفظ الجيد عنده فهي : سماحة اللفظ - سهولة مخارج الحروف - الخلو من البشاعة - الفصاحة .

وأما صفات الوزن الجيد فهي : سهولة العروض - التصريح .

وأما صفات القوافي الجيدة فهي : عذوبة حروف القافية - سهولة مخرجها - التصريح في المطلع .

وأما صفات المعنى الجيد عنده فهي : الوفاء بالغرض المقصود ، أما الغلو في المعنى فيؤثره قدامة على الإقتصار على الحد الوسط ويقول : إنه عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وحديثاً ، حتى قال بعضهم : أعذب الشعر أكذبه ، وكذلك ذهب فلاسفة اليونان في الشعر على مذهب لغتهم ، والغلو من باب الخروج عن الموجود والدخول في باب المعلوم ، فالمراد به المثل وبلوغ النهاية في النعت ، ولما كانت المعاني عند قدامة لانهاية لها فقد عدد نعوت الشعر في أغراض الشعراء من مدح وهجاء وفخر ورثاء ووصف الخ .

فنعت المدح الجيد عنده هو : الصدق - ويقسم الفضائل الإنسانية إلى أربع : العفة والشجاعة والعدل والعقل ، ويقول : إن المدح المصيب يكون بهذه الصفات أو ببعضها وإن كان ذلك يعد قصوراً ، وقد يصف الشاعر المدحون ببلوغ الغاية في هذه الصفات من باب الغلو والمبالغة .. والهجاء ضد المدح في رأيه ، وصفاته ضد صفات المدح ،

ويقرر إنه ليس بين المرثية والمدحة فرق إلا في اللفظ دون المعنى ،
فإصابة المعنى به ومواجهة غرضه هي أن يجري الأمر فيه على نسيل
المديح .. ثم يذكر نعوت التشبيه الجيد ، والوصف الجيد ،
والغزل الجيد .

ويقول : إن هذه هي نعوت أغراض الشعر التي نحتها الشعراء من
المعاني وهذه الأغراض بالنسبة للمعاني جزء من كل ، فأما ما يعم
جميع المعاني من نعوت الشعر فهي : صحة التقسيم - صحة المقابلة -
صحة التفسير - التمجيم - المبالغة - التكافؤ - الإلتفات - الإستغراب
والطرافة .

ثم يذكر قدامة نعوت ائتلاف اللفظ مع المعنى من : مساواة ،
وإرداف ، وإشارة ، وتمثيل ، ومطابق ومجانس .

ويعدد نعوت ائتلاف اللفظ والوزن ، وائتلاف المعنى والوزن ،
وائتلاف المعنى مع القافية [من ترشيح وإيغال] .

ويذكر عيوب الشعر في اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والقافية ،
وعيوب ائتلاف اللفظ والمعنى وائتلاف اللفظ والوزن ، وائتلاف
المعنى مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع القافية ، وهي كلها بعكس ما
سبق أن قرره في صفات الجودة .

(٢)

والكتاب في غاية الأهمية في بابهِ ، وقد تأثر فيه قدامة بكتاب
[فن الشعر] لأرسطو تأثراً واضحاً .

هل أن قدامة يناقض نفسه حين يذهب إلى أن الشاعر يجب ألا

يمدح أحداً إلا بما هو فيه ^(١) ، ثم يذكر أن الشاعر الموجود في المدح هو من يجمع جميع الفضائل الإنسانية للممدوح .. وحين يرى قدامة أن المبالغة أجود يعود فيقيدها بمنهج العرب ومألفهم ^(٢) ، ثم يقيدها بالأخروج إلى حد الممتنع الذي لا يكون ^(٣) .

وقدامة مع تفضيله للمبالغة يرى أن كثيراً في قوله لعبد الملك : « على أبي العاصي دلاص حصينة » الخ أجود من الأعشى في قوله : « كنت المقدم غير لابس جنة الخ » ، وقدامة غطىء هنا لأن العرب قد تصف الرجل بالشجاعة ، وقد تصفه بالإحتراس ولبس الدروع ، وذلك منهجان من مناهج العرب في المدح ^(٤) .

وقدامة يحكم عقله المنطقي في النقد إلى أبعد حد ، فيجعل المدح الجيد بذكر جميع الفضائل الإنسانية ، ويعيب المدح إذا كان بشرف الآباء لأنه ليس مدحاً بفضائل ^(٥) ، ويجعل الهجاء بنفي أن يكون الرجل شريف الحسب معيباً ، ويقرر أنه ضد المدح ، ويجعل المراثية هي المدح مع جعل الأسلوب ماضياً وذلك كله خطأ ما بعده من خطأ .

وقدامة يجعل طرافة المعنى واختراعه ليس نعتاً للشعر بل للشاعر ^(٦) وذلك بين الخطأ .

وقدامة يستجيد أبياتاً ويعيب أبياتاً أخرى دون ذوق أدبي مصقول ومن مثل ذلك أيضاً أنه يجعل تناقضاً معيباً في بيت ابن هرمة :

(١) ص ٢٨ نقد الشعر .

(٢) ص ٢٧ سطر ١٠ - ١٢ .

(٣) ص ١٢٥ سطر ١٢ - ١٥ .

(٤) ص ٣٢٨ - ٣٣١ الوساطة .

(٥) ص ١١١ و ١١٢ نقد الشعر .

(٦) ص ٨٨ و ٨٩ المرجع .

تراه إذا ما أبصر الضيف كلبه : يكلمه من حبه وهو أعجم

لقله « يكلمه » و « أعجم » (١)

ونراه يعيب البيت :

كانت بنو غالب لأمتها كالغيث في كل ساعة يكف

لأنه كما يقول : ليس في المعهود أن يكف الغيث كل ساعة أي
يمطر (٢)

وكذلك يثبت التناقض في قول زهير (٣) :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

(٣)

على أن قدامة في كتابه يضع منهجاً نقدياً لنقد الشعر ، متأثراً فيه
بالتقافتين العربية الأصيلة ، والفلسفية اليونانية ، ونهج قدامة في نقد
الشعر نقد عقلي ، فقد صور المثل الأعلى للشعر وما يجب أن يكون عليه
وذلك ببيان عناصر الشعر والأوصاف الجميلة لكل عنصر ، ثم قال إن
هذا المثل الأعلى يرشدنا أولاً وبالذات إلى معرفة جيد الشعر ، وثانياً
وبالتبع إلى معرفة رديئة الذي هو ضد الجيد منه ، وثالثاً معرفة درجة
الرداءة بالنسبة إلى ما كان من الشعر بين الجودة والرداءة .

ولقد اطلع قدامة على الأدب العربي وعلى آراء الفلاسفة في نقد
الشعر وشرع للأدب العربي قوانين جديدة لنقده على ضوء ما قرأ في
النقد اليوناني والعربي ، ولكنه كان متأثراً في ذلك بعقله المنطقي أكثر

(١) ١٢٣ نقد الشعر .

(٢) ص ١٢٦ المرجع .

(٣) ص ١٢٤ المرجع .

من تأثره بمناهج النقاد العرب كالأصمعي وابن الأعرابي وغيرهم من الذين حكموا الذوق الأدبي وحده والنهج العربي في الأسلوب دون سواه .. قدامة حكم عقله ، وثقافته اليونانية فيما ذكر من موازين النقد فأسرف وأحال .

على أن هذا النهج الذي نهجه قدامة كان أكبر خطوة جريئة لتدوين البلاغة العربية وأصول النقد الأدبي ، وحسبك أن ثلاثة من النقاد العرب احتذوا قدامة ونهجه في النقد احتذاء كاملاً ، وأولهم هو أبو هلال العسكري [٣٩٥ هـ] في كتابه « الصناعتين » وثانيهما ابن رشيقي [٤٥٦ هـ] في كتابه « العمدة » ، وثالثهما ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) في كتابه « سر الفصاحة » وقد تأثر علماء البلاغة تأثراً شديداً بقدامة وآرائه في « نقد الشعر » ومنهم عبد القاهر الجرجاني والسكاكي وسواهم .

ويمتاز قدامة في كتابه بالمنهجية العقلية والعلمية وبتخير الشواهد والمثل .

كتاب نقد الشعر لقدامه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر لإمامه

[مقدمة المؤلف لكتابه]

- (قال أبو الفرج قدامة بن جعفر) :
- العلم بالشعر ينقسم أقساماً :
- فقسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه .
- وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطععه .
- وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته .
- وقسم ينسب إلى علم معانيه والمقصد به .
- وقسم ينسب إلى علم جيده ورديته .

وقد عني الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة ، فاستقصوا أمر العروض والوزن وأمر القوافي والمقاطع وأمر الغريب والنحو ، وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر ، وما الذي يريد بها الشاعر .

ولم أجد أحداً وضع ^(١) في « نقد الشعر » وتخليص جيده من رديته كتاباً ، وكان الكلام عندي في هذا القسم ^(٢) أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة ، لأن علم الغريب والنحو وأغراض المعاني محتاج إليه في أصل الكلام للشعر والنثر ، وليس هو بأحدهما أولى بالآخر ، وعلمنا ^(٣) الوزن والقوافي وإن خصا بالشعر وحده فليست الضرورة

(١) أي الف .

(٢) وهو نقد الشعر .

(٣) الأصح : وعلمي بالعطف « على علم » سابقا .

داعية إليهما لسهولة وجودهما في طباع أكثر الناس من غير تعلم . ومما يدل على ذلك أن جميع الشعر الجليد المستشهد به إنما هو لمن كان قبل وضع الكتب في العروض والقوافي ، ولو كانت الضرورة إلى ذلك داعية لكان جميع هذا الشعر فاسداً أو أكثره ؛ ثم ما نرى أيضاً من استغناء الناس عن هذا العلم بعد واضعيه إلى هذا الوقت فإن من يعلمه ومن لا يعلمه ليس يعول في شعر إذا أراد قوله إلا على ذوقه دون الرجوع إليه فلا يتأكد عند الذي يعلمه صحة ذوق ما تراخف منه بأن يعرض عليه ، فكان هذا العلم مما يقال فيه إن الجهل به غير ضائر وما كانت هذه حاله فليست تدعو إليه ضرورة .

فأما علم جيد الشعر من رديته فإن الناس يخبطون في ذلك منسذ تفقهوا في العلوم ، فقليلاً ما يصيبون ، ولما وجدت الأمر على ذلك ، وتبينت أن الكلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخر وأن الناس قد قصرُوا في وضع كتاب ^(١) فيه ، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع فأقول :

(١) هذا يشير إلى أن كتاب قدامة هذا هو أول مؤلف في نقد الشعر كما يرى قدامة .

الفصل الأول

إن أول ما يحتاج إليه في شرح هذا الأمر ^(١) معرفة حد ^(٢) الشعر الجائر عما ليس بشعر ، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز مع تمام الدلالة من أن يقال فيه : إنه قول موزون مقفى يدل على معنى فقولنا « قول » دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر ، وقولنا « موزون » يفصله مما ليس بموزون ، إذ كان من القول موزون وغير موزون ، وقولنا « مقفى » فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع ، وقولنا « يدل على معنى » يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى ، فإنه لو أراد مريد أن يعمل من ذلك شيئاً على هذه الجهة لأمكنه وما تعذر عليه .

فإذ قد تبين أن ذلك كذلك ، وأن الشعر هو ما قدمناه ، فليس من الإضطراب إذاً أن يكون ما هذه سبيله جيداً أبداً ولا رديئاً أبداً ، بل يحتمل أن يتعاقبه ^(٣) الأمران ^(٤) مرة هذه وأخرى هذه على حسب ما يتفق ، فحينئذ يحتاج إلى معرفة الجيد وتمييزه من الرديء .

ولما كانت للشعر صناعة ، وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال ، إذ كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان ، أحدهما غاية الجودة ، والآخر غاية الرداءة ، وحدوده ^(٥) بينهما تسمى الوسائط ، وكان كل قاصد لشيء من ذلك فلنما يقصد الطرف الأجود ، فإن كان

(١) وهو بيان وجه الحاجة الى معرفة كل من الجيد والرديء ، أو بيان ان من الشعر ما هو جيد ومنه ما هو رديء .

(٢) أي ماهيته .

(٣) أي يتداوله .

(٤) الجودة والرداءة .

(٥) عطف على « طرفان » .

معه من القوة في الصناعة ما يبلغه إياه سمي حاذقاً تام الحذق ، فإن قصر عن ذلك نُزل له اسم بحسب الموضع الذي يبلغه في القرب من تلك الغاية والبعد عنها ، إذ كان الشعر أيضاً جاريماً على سبيل سائر الصناعات ، مقصوداً فيه وفي ما يحاك ويؤلف منه إلى غاية التجويد ، وكان العاجز عن هذه الغاية من الشعراء إنما هو من ضعفت صناعته . فإذا قد صح أن هذا على ما قلناه فاندكر صفات الشعر الذي إذا اجتمعت فيه كان في غاية الجودة ، وهو الغرض الذي تنحوه الشعراء بحسب ما قدمناه من شريطة الصناعات ، والغاية الأخرى والمضادة لهذه الغاية هي نهاية الرداءة وأذكر أسباب الجودة وأحوالها وأعداد أجناسها ، ليكون ما يوجد من الشعر الذي اجتمعت فيه الأوصاف المحمودة كلها وخلا من الخلال المذمومة بأسرها يسمى شعراً في غاية الجودة ، وما يوجد بضد هذه الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة ، وما يجتمع فيه من الخالين أسباب ينزل له اسماً ^(١) بحسب قربه من الجيد أو من الرديء أو وقوعه في الوسط الذي يقال لما كان فيه : صالح أو متوسط أو لا جيد ولا رديء ، فإن سبيل الأوساط في كل ما له ذلك أن تحد بسلب الطرفين ، كما يقال مثلاً في الفاتر الذي هو وسط بين الحار والبارد إنه لا حار ولا بارد ، والمز الذي هو وسط بين الحلو والحامض إنه لا حلو ولا حامض .

ومما يجب تقدمته وتوطيده قبل ما أريد أن أتكلم فيه أن المعاني كلها معرضة للشاعر ، وله أن يتكلم منها في ما أحب وآثر ، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوع ، والشعر فيها كالصورة ، كما يوجد في كل صناعة ، من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها ، مثل الخشب للنجارة ، والفضة للصياغة وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى — كان —

(١) الاصح : اسم على بناء « ينزل » للمفعول .

من الرفعة والضعفة ، والرفث والتزاهة ، والبذخ والقناعة ، والمدح ^(١) وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة ، أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة .

ومما يجب تقديمه أيضاً أن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين ، بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسناً ، بينا غير منكر عليه ، ولا معيب من فعله ، إذا أحسن المدح والذم ، بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته . واقتداره عليها .

وإنما قدمت هذين المعنيين ^(٢) لما وجدت قوماً يعيرون الشعر إذا سلك الشاعر هذين المسلكين ^(٣) ، فلإني رأيت من يعيب أمراً القيس في قوله :

فَمِثْلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعُ
فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحَوَّلٍ ^(٤)
إِذَا مَا بَكَى مَنْ خَلَفَهَا انْصَرَفَتْ لَهُ
بِشَقٍّ وَتَحَى شِقُّهَا لَمْ يَحُولِ

ويذكر أن هذا معنى فاحش . وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه ، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته .

وكذلك رأيت من يعيب هذا الشاعر أيضاً ^(٥) في سلوكه للمذهب الثاني ^(٦) الذي قدمته ، حيث استعمله باقتدار وقوة ، وتصرف فيه إحساناً وحذاقة ، وذلك قوله في موضع :

-
- (١) الأصح : والمدح والهجاء .
(٢) وهما : أن المعاني كلها معرضة للشاعر ، وأن مناقضة الشاعر نفسه أمر غير منكر .
(٣) بأن جعل المعاني فيه كلها معرضة للشاعر أو ناقض الشاعر نفسه في كلمتين أو قصيدتين .
(٤) الطروق : الاتيان ليلاً . المرضع : هي التي لها ولد رضيع . محول : أتى عليه حول .
(٥) وهو امرؤ القيس .
(٦) وهو مناقضة الشاعر نفسه في كلمتين .

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنيما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي^(١)

وقوله في موضع آخر :

فتملاً بيئتنا أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شيع^(٢) وري^(٣)

فإن من عابه زعم أنه من قبيل المناقضة ، حيث وصف نفسه في
موضع بسمو الهمة وقلة الرضى بدنىء المعيشة ، وأطرى في موضع
آخر القناعة وأخبر عن اكتفاء الإنسان بشعبه وريه .

وإذ قد ذكرت ذلك فلا بأس بالرد على هذا العائب في هذا
ضع^(٤) ليكون في ما احتج به بعد التطريق^(٥) لمن يؤثر النظر في هذا
العلم^(٥) [طريق] إلى التمهيد فيه ، فأقول :

إنه لو تصفح أولاً قول امرئ القيس حتى تصفحه لم يوجد معنى
ناقض معنى ، فالمعنيان في الشعرين متفقان ، إلا أنه زاد في أحدهما
زيادة لا تنقض ما في الآخر ، وليس أحد ممنوعاً من الإتيان في المعاني
التي لا تتناقض ، وذلك أنه قال في أحد المعنيين :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال

وهذا موافق لقوله :

وحسبك من غنى شيع وري

(١) مؤثّل : ثابت .

(٢) الاقط : اللبن الخائر أو هو لون من الجبن .

(٣) وهو الثاني (أي المناقضة) .

(٤) طرق له طريقاً اتخذ له وعبد له طريقاً .

(٥) وهو النقد .

ولكن في المعنى الأول زيادة ليست بناقضة لشيء ، وهو ^(١) قوله :
لكني لست أسعى لما يكفيني ولكن لمجد أوئله ، فالمعنيان اللذان ينبشان
عن اكتفاء الإنسان باليسير متوافقان في الشعرين ، والزيادة في الشعر
الأول التي دل بها على بعد همته ليست تنقض واحداً منهما ، ولا تنسخه
وأرى أن هذا العائب ظن أن امرأ القيس قال في أحد الشعرين : إن
القليل يكفيه ، وفي الآخر : إنه لا يكفيه .

وقد ظهر بما قلنا أن هذا الشاعر لم يقل شيئاً من ذلك ، ولا ذهب
إليه ، ومع ذلك فلو قاله وذهب إليه لم يكن عندي مخطئاً ، من أجل
أنه لم يكن في شرط شرطه يحتاج إلى أن لا يتقضى بعضه بعضاً ، ولا
في معنى سلوكه في كلمة واحدة أيضاً لم يجر مجرى العيب ، لأن الشاعر
ليس يوصف بأن يكون صادقاً . بل إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من
المعاني كائناً ما كان أن يعيده في وقته الحاضر ، لا أن ينسخ ما قاله في
وقت آخر ، ومع ما قدمته فإني لما كنت آخذاً في معنى ^(٢) لم يسبق
إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها ، احتجت أن
أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها ، وقد فعلت ذلك والأسماء
لا منازعة فيها ، إذ كانت علامات ، فإن قنع بما وضعته من هذه
الأسماء وإلا فليخترع كل من أبى ما وضعته منها ما أحب . فإنه ليس
يُنَازَعُ في ذلك .



وإذ قدمت ما احتجت إلى تقديمه فأقول :

إنه لما كان الشعر على ما قلناه لفظاً موزوناً مقفي يدل على معنى ،
وكان هذا الحلد مأخوذاً من جنس الشعر العام له وفصوله التي
تحوزه ^(٣) عن غيره ، كانت معاني هذا الجنس والفصول موجودة فيه

(١) أي والزائد قوله .

(٢) وهو وضع ميزان دقيق للنقد .

(٣) تفصله .

كما يوجد في كل محدود معاني حده ، لأن الإنسان مثلاً يحد بأنه حي ناطق ميت ، فحي بمعنى الحياة التي هي جنس الإنسان الموجود فيه ، وهو التحرك والحس ، وكذلك معنى النطق الذي هو فصله مما ليس بناطق موجود فيه ، وهو التخيل والذكر والفكر ، ومعنى الموت الذي في حد الإنسان وهو قبول بطلان الحركة ، وكذلك أيضاً معنى اللفظ الذي هو جنس للشعر موجود فيه ، وهو حروف خارجة بالصوت ، متواطئ عليها ، وكذلك معنى الوزن ومعنى التقفية ومعنى ما يدل عليه اللفظ ؛ فإن كان ذلك كما قلنا فالشعر إنما هو ما اجتمع من هذه الأسباب التي يحيط بها حده ولما كان كل مجتمع وكل مؤلف من أمور ، فالأمور مؤلف من بعضها مع بعض ، يزيد عددها فيه وينقص على حسب كثرة الأمور وقلتها ، وجب أن يكون الشعر أيضاً لما كان مجتمعاً من أسباب أن تكون أقسام تأليف هذه الأسباب بعضها إلى بعض جارياً هذا المجرى ، وأن يكون تعديد هذه التأليفات إذا استوعب وأضيف إلى ذلك عدة الأسباب المفردات من غير تأليف ، فقد أتى على جميع الأسباب التي يجب الكلام فيها من أمر الشعر فأقول :

إنه لما كانت الأسباب المفردات التي يحيط بها حد الشعر على ما قدمنا القول فيه أربعة ، وهي : اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والتقفية وجب بحسب هذا العدد أن يكون لها ستة أضرب من التأليف ، إلا أنني وجدت اللفظ والمعنى والوزن تأتلف ، فيحدث من اثنتانها بعضها إلى بعض معان يتكلم فيها ، ولم أجد للقافية مع واحد من سائر الأسباب الأخر اثتلافاً ، إلا أنني نظرت فيها فوجدتها — من جهة ما أنها تدل على معنى لذلك المعنى الذي تدل عليه — اثتلافاً مع سائر البيت فلما مع غيره فلا لأن القافية إنما هي لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر ، ولها دلالة على معنى لذلك اللفظ أيضاً ، والوزن شيء واقع على جمع لفظ الشعر الدال على المعنى ، فإذا كان ذلك كذلك فقد انتظم تأليف الثلاثة الأمور الأخر اثتلاف القافية أيضاً . إذ كانت لا تعلم أنها لفظة

كسائر لفظ الشعر المؤلف مع المعنى ، فأما من جهة ما هي قافية فليس ذلك ذاتاً يجب بها أن يكون لها به ائتلاف مع شيء آخر ، إذ كانت هذه اللفظة إنما قيل فيها إنها قافية من أجل أنها مقطع البيت وآخره ، وليس أنها مقطع ذاتي لها . وإنما هي شيء عرض لها بسبب أنه لم يوجد بعدها لفظ من البيت غيرها ، وليس الترتيب أن لا يوجد للشيء تال يتلوه ذاتاً قائمة فيه ، فهذا هو السبب في أنه لم يكن للقافية من جهة ما هي قافية تأليف مع غيرها . فأما من جهة ما يدل عليه فإن ذلك تأليف معنى إلى ما يتألف ، إلا أني نسبته في هذا الكتاب إلى القافية على سبيل التسمية ، وإن أراد مريد إلى أن ينسب ذلك إلى أنه تأليف معنى القافية إلى ما يتألف معه لم أضايقه ، فصار ما أحدث من أقسام ائتلاف بعض هذه الأسباب إلى بعض أربعة ، وهي :

ائتلاف اللفظ مع المعنى .

وائتلاف اللفظ مع الوزن .

وائتلاف المعنى مع الوزن .

وائتلاف المعنى مع القافية .

وصارت أجناس الشعر ثمانية ، وهي الأربعة المفردات البسائط التي يدل عليها حده ، والأربعة المؤلفات منها .

ولما كان لكل واحد من هذه الثمانية صفات يمدح بها ، وأحوال يعاب من أجلها ، وجب أن يكون جيد ذلك ورديته لاحقين للشعر إذ كان ليس يخرج شيء منه عنها . فلنبداً بذكر أوصاف الجودة في كل واحد منها ، ليكون مجموع ذلك إذا اجتمع للشعر كان في نهاية الجودة وإذا لم يكن فيه شيء منها كان في نهاية الرداءة لا محالة ، إذ كان هذان الطرفان مشتملين على جميع النعوت أو العيوب التي نذكرها ،

ولما لم يكن كل شعر جامعاً لجميع النعوت أو العيوب ، وجب أن تكون الوسائط التي بين المدح والذم تشتمل على صفات محمودة وصفات مذمومة ، فما كان فيه من النعوت أكثر كان إلى الجودة أميل ، وما كان فيه من العيوب أكثر كان إلى الرداءة أقرب ، وما تكافأت فيه النعوت والعيوب كان وسطاً بين المدح والذم . وتنزيل ذلك إذا حصر ما في الطرفين من النعوت والعيوب لا يبعد على من أعمل الفكر وأحسن سبر الشعر ^(١) .

(١) سبر الجرح : نظر ما مدي غوره وكل أمر رزته وجريته وخبرته فقد سبرته .

الفصل الثاني

فلنبدأ من ذكر الأجناس الثمانية بأولها من الأربعة المفردات ، وهو اللفظ ونذكر نعوت ذلك ، ونعوت سائر الأجناس ، ونجعل هذا الفصل مقصوداً على ذكر النعوت .

١ - نعت اللفظ

أن يكون سمحاً ، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة ، مع الخلو من البشاعة ، مثل أشعار يؤخذ فيها ذلك وإن خلّت من سائر النعوت للشعر ، منها أبيات من تشبيب قصيدة للحاضرة الذبياني وهي :

وتصدّقت حتى أستبتك بواضح	صلت كمتصب الغزال الأتلع ^(١)
وبمقلتي حوراء تحب طرفها	وسنان حرة مستهل المدمع ^(٢)
وإذا تنازعك الحديث رأيتها	حسناً تبسمها لذيد المكرع ^(٣)
كقريض سارية تتفحه الصبا	بتزليل أسحر طيب المستقع ^(٤)
لعب السيول به فأصبح مأوه	عللاً يقطع في أصول الخروع ^(٥)
فسمي ويحك هل علمت بفتية	غاديت لذتهم بأدكن مترع ^(٦)
بكروا على بسحرة فصبحتهم	من عاتق كدّم الذبيح مشعشع ^(٧)

-
- (١) السواضح : الابيض اللسان أي يجيد واضح الصلّت : الواضح استبتك : أسرّتك . الاتلع : الطويل العنق .
(٢) الحور : اشتداد بياض العين وسوادها . الطرف : العين . وسنان : نائم . حرة : خالصة . ومستهل : هائل . المدمع : المدموع .
(٣) المكرع هو الفم .
(٤) السارية : السحابة تسري ليلاً . أسحر : اسم مكان . الصبا : ريح الشمال وهي باردة .
(٥) الخروع كدرهم نبت لا يرمى .
(٦) سمي : اسم المحبوبة أدكن : أي ابريق أدكن اللون . مترع : مملوء .
(٧) العاتق : الخمر القديم . مشعشع : ممزوج .

ومن هذا الجنس قول محمد بن عبدالله السلاماني :

(١) بمروان تمرّ بها الرياح الزعازع ^(١)	ألا ربما هاجت لك الشوق عرصة
(٢) عليهنّ تبكي الهاتفات السواجع ^(٢)	بها رسم أطلال وجثم خواشع
(٣) مَهَا ربوة طابت لهنّ المراتع ^(٣)	وبيض تهادى في الرياط كأنها
(٤) بأعقر تعلوه الشروح الدوافع ^(٤)	تحرّين منّا موعداً بعد رقبّة
(٥) من الطل بلّتها الرهام النواشع ^(٥)	فجئن هدواً والتياب كأنها
(٦) بها غفلت عنّا العيون الخوادم ^(٦)	طروفاً وألجأنا الهوى نحو ربوة
(٧) وقد فاض من بعد العتاب المدامع ^(٧)	فلما قضينا غصة من عتابنا
(٨) سقاماً إذا ما استيقنته المسامع ^(٨)	جرى بيننا منّا رسيس يزيّدنا
(٩) وقمن ومعروف من الصبح صادع ^(٩)	قليلاً وكان الليل في ذاك ساعة
(١٠) وسالت على آثارهنّ المدارع ^(١٠)	وولين من وجد يمثّل الذي بنا
كما مارّ ثعبان الغضا المتدافع	يزجّين بكرةً يبهّر الرّيط متنها

-
- (١) العرصة كل بقعة بين الدور ليس بها نبات • تمرّ بها • تدرها • الزعازع : الرياح الشديدة الحركة • مروان : موضع •
- (٢) الرسم : الاثر • الجثم : ما تلد في الارض • الهاتفات : هتف الحمامة تهتف صائت • السواجع : الحمامة رددت صوتها وجمعها سواجع •
- (٣) وببيض أي ونساء بيض • الرياط : جمع مفردة ريط وهو اللاء اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقتين • المها : البقرة الوحشية • الربوة : ما ارتفع من الارض • المراتع جمع مرتع •
- (٤) الرقبّة : الانتظار • تحرّين : استوثقن • أعقر : الموضع من الرمل لا نبات به •
- (٥) الرهام : المطر الضعيف الدائم • النواشع : جمع ناشع من نشع اذا امطر قطرة قطرة •
- (٦) طروفاً : أي بليل •
- (٧) غصة : جعل العتاب ومرارته كالغصة في الحلق •
- (٨) الرسيس : أول الحب • السقم : المرض • استيقنته المسامع : علمته وتحققته •
- (٩) صادع : مشرق •
- (١٠) المدارع : نوع من الثياب الطويلة ودرع المرأة قميصها •

وَقُتِنَ إِلَى خُوصٍ كَانَ عِيُونَهَا قَلَاتُ تَرَائِي مَاؤَهَا فَهُوَ نَاصِعٌ (١)

ومنه بيتان لشماخ (٢) يذكر نهيق الحمار :

إِذَا رَجَعَ التَّعْشِيرُ رَدًّا كَأَنَّهُ بِنَاجِيهِ مِنْ خَلْفِ قَارِحِهِ شَجٍّ (٣)
بَعِيدُ مَدَى التَّطَرِّيبِ أَوَّلَى نَهَاقِهِ سَحِيلٌ وَأَخْرَاهُ خَفِيُّ الْمَحْشَرِ (٤)

ومنها أبيات لجبهاء الأشجعي :

أَمِنَ الْجَمِيعَ بِذِي الْيَفَاعِ رُبُوعٌ رَأَتْ فَوَادِكَ وَالرُّبُوعَ تَرُوعٌ (٥)
مِنْ بَعْدِ مَا بَلَيْتَ وَغَيَّرَ آيَهَا قَطْرٌ وَمَسْبِلَةُ الذُّيُولِ خَدِيدٌ (٦)
جَوَّالَةٌ بَرُبِّي الْمَلَا غَزَلِيَّةٌ بَرِغَامِيَهِنَّ مَرْبَةٌ زَعَزُوعٌ (٧)
يَا صَاحِبِي أَلَا أَرْفَعَانِي إِنَّهُ يَشْفِي الصَّدَّاعَ فَيُبْذِلُ الْمَرْفُوعُ
أَلْوَاخُ نَاجِيَةٌ كَأَنَّ قَلِيلَهَا جَذَعٌ تَطِيفُ بِهِ الرِّقَاةُ مَنِيْعٌ (٨)
تَنْجُو إِذَا نَجَدَتْ وَعَارِضُ أَوْبَهَا أَشْلَاءُ لَحْنٍ مِنَ النِّيَاطِ خُضُوعٌ (٩)
فِي كُلِّ مَطَرٍ الرِّفَاقُ كَأَنَّهُ نِسرٌ يُرْتَقُ قَدْ دَمَاهُ وَقُوعٌ
عَرِيْنٌ دَائِرَةٌ الظَّاهِرَةُ بَعْدَ مَا وَغَرْنَ وَالْحَدَقُ الْكَثِيْنُ خَشُوعٌ

(١) خوص : الخوص جمع أخوص والآخرص من غارت عينه فسي راسه • القلت : النقرة في الجبل • ناصع : خالص من كل شيء •

(٢) شاعر مخضرم بدوي مجيد •

(٣) رجع : ردد • التعشير : نهيق الحمار عشرا • الناجذ : واحد النواجد وهي أقصى الاضراس وهي أربعة أو هي الانياب • شج : شجى بالعظم اذا اعترض في حلقه •

(٤) المدى : الغاية • التطريب : ترجيع الصوت وتزيينه • أولى : أول • السحيل : النفاق •

(٥) اليفاع : المكان المرتفع •

(٦) أيها : رسمها • القطر : مطر السحاب • مسبلة الذيول : أي سحابة طويلة الحواشي • خديع : خدعه أي ختله •

(٧) جوالاة : طوافة • الرغام : التراب اللين • زعزوع : كثيرة زعزعة الاشياء •

(٨) الناجية : الناقة • الرقاة : جمع مفردة : راق •

(٩) لاح : ظهر • النياط : المغازة البعيدة الطرق •

بأفقٍ أغبرٍ يَلْتَقِي حَنَائِسهُ • للريحِ بينَ فروعِهِ تَرْجِيعُ
يَعْتَسُ مَتَرَهْنَ أَطْلَسُ جَائِعُ طَيَّانٌ يَتْلِفُ مالهَ وَيَضِيعُ^(١)

ومثله أيضاً (٢) :

ولما قَضَيْنَا مِنْ مِني كُلَّ حَاجَةٍ • وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وَشَدَّتْ عَلَى دُهمِ المَهَارِي رَحَالُنَا • وَلَمْ يَنْظُرِ الغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِعُ^(٣)
خَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا • وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ^(٤)

(١) اعتس طاف • الاظلس : الذئب في لونه غيرة الى السواد ، والمراد به الرجل القبيح • طيان : طاول الايام بدون اكل •
(٢) الابيات لكثير عزة الشاعر الاموي المشهور •
(٣) دهم المهاري : سودها •
(٤) الاباطح : مفردة ابطح وهو المسيل الواسع فيه دقاق الحصى •

٢ - نعت الوزن

أن يكون سهل العروض من أشعار يوجد فيها وإن خلت من أكثر
نعت الشعر .. منها قصيدة حسان :

ما هاجَ حَسَنَ رسومُ المقام ومظنن الحي ومبني الخيام^(١)
والنوى قد هدمَ أعضاده تَقَادُمُ العهدِ بيوادِ تِهَامَ^(٢)
قد أدركَ الواشونَ ما أملتوا فالجبلُ من شعْثاءِ رثُ الزَمَامِ^(٣)
كأنَ فامًا ثَغْبٌ باردٌ في رَصَفٍ تحت ظلالِ الغَمَامِ^(٤)

ومنها قصيدة طرفة :

مَنْ عَائِدِي اللَّيْلَةِ أُمٍ مِنْ نَصِيحٍ بَيْتٌ بَنَصْبِ قَفْوَادِي قَرِيحٍ^(٥)
بانت فأمسى قلبه هائمًا قد شَفَّهَ وَجَدَ بها ما يَرِيحُ^(٦)
في سلفٍ أرعنٍ مُنْفَجِرٍ يقدمُ أُولَى ظعنِ كالظَّلُوحِ^(٧)

(١) رسوم : جمع رسم وهو ما كان لاصقا بالأرض من آثار الديار .
مظنن : مصدر ميمي من ظعن أي سار ورجل . والحي : بطن من بطون
القبيلة والمراد به هنا القوم . ومبني الخيام : بناؤها أو مكان بنائها وإقامتها .

(٢) النوى الحفر حول الخباء لئلا يدخل ماء المطر . أعضاده : نواحيه .
تِهَام : تهامى نسبة إلى تهامة . وتهامة مكة وبلاد جنوب الحجاز .

(٣) رث : خلق بال شعْثاء : محبوبته .

(٤) الثغب : الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد مآؤه .
الرصف : الحجارة المترصفة المتدانية .

(٥) عائدي : العائد : زائر المريض . قريح بمعنى مقروح أي مجروح .

(٦) ما يَرِيح : ما يتباعد .

(٧) مُنْفَجِر : متدفق في سيره . يقدم : يتقدم . ظلوح : جمع مفرد
طلح وهو شجر شبه الظعن به .

عَالِينَ رَقْمًا فَاخِرًا لَوْنَهُ مِنْ عَبْقَرِي كَتَجِيع الدَّبِيعِ^(١)

ومثله أبيات المنخل بن عبيد الشكري :

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَاةِ الْخَدْرَ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ^(٢)
 الْكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ تَرْفُلُ فِي الدَّمْقَسِ وَفِي الْحَرِيرِ^(٣)
 فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ مَشَى الْقَطَاةُ إِلَى الْغَدِيرِ^(٤)
 وَعَطَفْتُهَا فَتَعَطَفَتْ كَتَعَطَفِ الْغُصْنِ النَّضِيرِ^(٥)
 وَلَثَمْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ كَتَنَفَسِ الظُّبْيِ الْغَرِيرِ^(٦)
 وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَا مَةً بِالْكَبِيرِ وَبِالصَّغِيرِ^(٧)
 فَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنِّي رَبُّ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّادِرِ^(٨)
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنِّي رَبُّ الشُّوْبَةِ وَالْبَعِيرِ^(٩)

ومثله أبيات كعب بن الأشرف اليهودي :

رُبُّ خَالٍ لِي لَوْ أَبْصَرْتَهُ سَبَطَ الْمَشِيَّةَ أَبَاءَ أَنْفِ^(١٠)
 لَيْنُ الْجَانِبِ فِي أَقْرَبِهِ وَعَلَى الْأَعْدَاءِ مِمُّ كَالزَّعْفِ^(١١)

-
- (١) عالين رفعن والرقم : ضربا من الوشي فيها حمرة • فاخرا جيدا •
 عبقري : بلدة الجن كما يزعم العرب وينسب اليها كل صنعة رائعة • النجيع :
 الدم الطري • الذبيح : المذبح •
 (٢) المطير : اليوم الذي يمطر ساعة ويكف أخرى •
 (٣) الكاعب : ذات الثدي المكعب • ترفل : تجر ذيلها • الدمقس :
 الابريس •
 (٤) الغدير جانب من المساء يفادها السيل •
 (٥) عطفتها : أملتها • فتعطفت : مالت على الغصن • النضير :
 الشديد الخضرة •
 (٦) لثمتها : قبلتها • الغرير ولد الظبي الصغير • تنفست الصعداء
 لموضعي من قلبها •
 (٧) كنا به عن كثرة شرا به •
 (٨) الخورنق : قصر للنعمان الأكبر • السدير : نهر بناحية الحيرة •
 (٩) الشوبية : تصغير شاه •
 (١٠) سبط : حسن •
 (١١) الزعف : القاتل •

لنا بُرٌّ رَوَاءَ جَمْعَةٍ تُخْرِجُ الثَّمْلَ كَأَمْثَالِ الْأَكْفِ (١)
وَصَرِيرٍ مِنْ مَجَالٍ خِلْتُهُ آخِرَ اللَّيْلِ أَهَازِيحُ تَدْفُ (٢)

★ ★ ★

ومن نعوت الوزن الترصيع ، وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف كما يوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم وفي أشعار المحدثين المحسنين منهم ، فمما جاء في أشعار القدماء قول امرئ القيس الكندي :

مِخْشٌ مِجْشٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا كَتَبَسَ ظَبَاءُ الْخَلْبِ الْعَدَوَانَ (٣)

فأنى باللفظتين الأوليين مسجوعتين في تصريف واحد وبالتاليتين لهما شبيهتين بها في التصريف ، وربما كان السجع ليس في لفظة « ولكن » في لفظتين بالحرف نفسه كقوله :

أَلَصُّ الضُّرُوسِ حَتَّى الضُّلُوعِ تَبَوَّعُ ظُلُوبٌ نَشِيطٌ أَشْرُ (٤)

وقصيدة أخرى سجع في لفظتين لفظتين بالحرف نفسه مثل قوله :

وَأَوْتَادُهُ مَا ذِيْلَةٌ وَعَمَادُهُ رُذِيْنَةٌ فِيهَا أَسْنَةٌ تَعْضُبُ (٥)

وقال زهير بن أبي سلمى :

(١) رَوَاءَ : كثير مَرَوْ . الثَّمْلَ : المكر .

(٢) وَصَرِيرٍ : زرب صرير . الهَزَجُ : صوت مطرب فيه ترنم .

(٣) الْمِخْشُ : الجريء الماضي . مِجْشٌ : غليظ الصوت . الْقَيْسُ : فحل الظباء . الْخَلْبُ نبتة تأكلها الوحوش تضمحل عليها بطونها . الْعَدَوَانُ : الشديدي الجريء وامرؤ القيس هو زعيم الشعراء الجاهليين وصاحب معلقة « قفا نيك » .

(٤) أَلَصُّ الضُّرُوسِ : ملتصق الاسنان بعضها ببعض . حَتَّى الضُّلُوعِ : ظاهرهما تبوع للمصيد قوى عليه .

(٥) الْمَازِيَّةُ : قَيْلٌ بِيضَاءٌ وَقَيْلٌ الْمَازِي خَالِصٌ الْحَدِيدُ وَجِيْدُهُ . أَسْنَةٌ : رماح تعضب : تقطع .

كبداء مُقبلةٌ وركاء مديرةٌ قوداء فيها إذا استعرضتها خضع

فأني بفعلاء مفعلة تجنيساً للحروف بالأوزان .. وقال أوس بن

حجر :

جشاً حناجرها علماً مشافيرها تنن أولادها في دحيص إيضاح^(١)

وقال طرفة :

بطيء إلى الداعي سريع إلى الخنا ذلول بإجماع الرجال ملهد^(٢)

وقال عمرو بن أحمر الباهلي :

فمثلك ألوى بالفؤاد وزار بالعداد وأضحى في الحياة وأسكرا^(٣)

وقال النمر بن تولب :

من صوب سارية علت بغادية تنهل حتى يكاد الصبح ينبج^(٤)

وقال :

طويل الذراع قصير الكراع يواشك في السبب الأغبر^(٥)

وقال اللعين المنقري :

مكيث إذا استرخى كيش إذا انتحى على القرب الأقصى وشد له الأزار^(٦)

(١) الكبداء : المرأة الضخمة « الوسط » البطيئة السير • القوداء :
الثنية العالية •

(٢) جشاً حناجرها : غليظة شديدة • علماً مشافرها : مشقوقة المشافر
من أسفل •

(٣) بطيء : فاعيل من البطء • الداعي : المستغيث ، ويروى عن الجلي
وهو الأمر العظيم • الخنا : الفحش • ذلول : فعول من الذل : ملهد : مدفع •
وطرفة هو الشاعر الجاهلي المشهور صاحب معلقة « لخلوة أطلال » •

(٤) فمثلك ألوى بالفؤاد : أي مثلك يذهب به • وزار بالعداد : زيارتك
معدودة •

(٥) الصوب : انصباب المطر • السارية : السحابة تسقط ليلاً • علت
استزجت • الغادية : الآتية بالغداة • تنهل : تسقط • ينبج : ينكشف •

(٦) الكراع : الأطراف السفلى من الإنسان • يواشك : يقارب •
السبب : المغارة أو الأرض المستوية البعيدة •

(٧) المكيث : الوزين • الكميش : السريع •

وقال الأسود بن يعفر :

هم الاسرة الدنيا وهم عدد الحصا وإخواننا من أمتنا وأبينا

وقال أبو زبيد الطائي :

غير فاشٍ شتماً ولا مخلف طعماً إذا كان بالسديف السبيك^(١)

وقال الافوه الأزدي :

سودٌ غداثرها بلجٌ محاجرُها كأن أطرافها لما اختلى الطنف^(٢)

وقال المعجير بن عبدالله السلوي :

حَمَ الذرى مرسله منه العرى وزجلات الرعد في غير صعق^(٣)

وقال سليك بن سلكة :

إذا سهلت جنت وإن أحرنت مشت وتعشى بهابين البطون وتصدف^(٤)

وقال الشماخ

رعين الندى حتى إذا وقدا الحصى ولم يبقَ من نوء السماك بُروق^(٥)

(١) السديف : شحم السنام • السبيك : مفرد جمعه سبائك وهو ما سبك من الدقيق ونخل فأخذ خالصه • وأبو زبيد شاعر مخضرم أجاد في وصف الاسد وتوفى عام ٤١ هـ •

(٢) الغداثر : الشعر الطويل بلج مخاجرها : نقية مشرقة والمحاجر ما بدا من البرقع أو ما يظهر من نقابها •

(٣) زجلات الرعد : أصوات الرعد : الصعق : محركة شدة الصوت •
(٤) أسهلت : مشت في السهل • جنت : أسرعت • أحرنت : سارت في الجبال • البطون : الشقوق بين الجبال •

(٥) رعين : من الرعى • والغدى : المطر والمراد به ما أثبتته مجاز مرسل ووقد الحصى : اشتداد حرارته • النوء : في الاصل النجم ، والمراد به انقطاع المطر لان العرب يضيفون المطر الى النجوم السماك : نجم وهو احد السماكين • بروق : جمع برق وهو الذي يلمع في الغيم •

وقال عبيد الراعي :

ضعافُ القوى ليسوا كمن يبتني العلى جعاسيسُ قصَّارون دون المكارم^(١)

وقال أيضاً :

سودٌ معاصمها جعدٌ معاقصها قد مسَّها من عقيد القار تفصيل^(٢)

وقال بشامة بن عمرو بن الغدير :

هوانُ الحياة وخزى الممات وكلاءُ أراه طعاماً وبيلاً^(٣)

وقالت ليلي الأخيلى :

وقد كان مرهوبَ السنان وبين اللسان ومجذام السرى غير فاتر^(٤)

وقال ناهض بن توبة الكلابي :

صخبو الصدى ظمأى القطا مرّة السرى

ركبا مأوها بين النعام الخرائش^(٥)

وأكثر الشعراء المصيبين من القدماء والمحدثين قد غزوا هذا المغزى^(٦) ، ورموا هذا المرمى وإنما يحسن إذا اتفق له في البيت موضع يليق به ، فإنه ليس في كل موضع يحسن ولا على كل حال يصلح ، ولا هو أيضاً إذا تواتر واتصل

(١) الجعاسوس : القصير الدميم . والراعي شاعر اموي مشهور ، توفي عام ٩٠ هـ .

(٢) المعصم : موضع السوار من اليد أو اليد . جعد معاقصها : أي قصيرة .

(٣) هوان الحياة : ذلها .

(٤) مرهوب السنان : ماضي السيف : بين اللسان : فصيحه . ومجذام السرى : قاطع السرى - والبيت في رثاء توبة الخفاجي (٦٧ هـ) - وقد عاشت ليلي حتى توفيت عام ٨٠ هـ - وهي اعلام الشعراء الامويين .

(٥) صخبو الصدى : شديدة

(٦) أي قصدوا هذا المنحى .

في الأبيات كلها بمحمود ، فإن ذلك إذا كان دل على تعمد وأبان عن تكلف . على أن من الشعراء القدماء والمحدثين من قد نظم شعره كله ، ووالى بين أبيات كثيرة منه . منهم أبو صخر الهذلي فإنه أتى من ذلك بما يكاد لحودته أن يقال فيه إنه غير متكلف ، وهو قوله :

وتلك هيكلة خود ^(١) مُبتَلَّة	صفراء رعبلة في منصب سم ^(١)
عذب ^(٢) مقبلها جذل مخلخلها	كالدعص أسفلها مخضودة القدم ^(٢)
سود ^(٣) ذوائبها بيض ^(٣) ترائبها	محض ^(٣) ضرائبها صيفت على الكرم
عبل ^(٤) مقيدها حال مقلدها	بض ^(٤) مجردها لقاء في عمم
سمح خلانقها درم ^(٥) مرافقها	يروى معانقها من بارد الشيم ^(٥)
كان معتقة ^(٦) في الدن مغلقة	صهباء مصفقة من رابىء ردم
شيت برهبة ^(٦) من رأس مرقبة	جرداء سلهبة في حائق شمم
خالط ^(٧) طعم ثناياها وريقتهما	إذا يكون ^(٧) توالى النجم كالنظم

ومنههم أبو المثلث أنه قال :

لو كان للدهر مال^(٧) كان مثله لكان للدهر صخر مال فتیان^(٧)

-
- (١) الخود : الحسنه الخلق الشابه . والمبتلة من النساء الحسنه الخلق فلا تكون حسنة العين سمجة الانف ولا بالعكس . رعبلة ذات خلجان . منصب حسب . سم : عال .
- (٢) عذب مقبلها أي محل تقييلها وهو الفم . مخلخلها : موضع الخلخال من الساق يوضع فيه الخلخال : الدعص : الرمل . مخضودة القدم : مزينته .
- (٣) الذوائب : الشعر في أعلى الجبهة الترائب : الصدور . أو ما تحت العنق . محض ضرائبها : خالصة الاخلاق .
- (٤) عبيل : ضخم . المقيد : موضع الخلخال من الرأه . البض : الجسد الرقيق الجلد المعتلى . مجردها عند تجردها .
- (٥) درم مرافقها : مستوية مرافقها : بارد الشيم : البارد يقال ماء شيم أي بارد .
- (٦) الثنايا : الرقيق . إذا يكون توالى الخ أي في هذا الوقت . شيت : مزجت . البرهبة : الماء البارد . المرقبة : المكان العالي .
- (٧) المثلث : المال القديم .

آبى الهزيمة ناء بالعظيمة مثلاف الكريمة جلد غير ثنيان^(١)
 حامي الحقيقة بسال الوديعه معتاق الوسيقة لا نكس ولا واني
 رباء مرقبة متاع مغلبة وهاب سلهبة قطاع اقران^(٢)
 هباط اودية حمّال ألوية شهاد اندية سرحان فتيان^(٣)
 يعطيك ما لا تكاد النفس ترسله من التلاد وهوب غير متان^(٤)

ومثل ذلك للمحدثين أيضاً كثير ، وإنما يذهبون في هذا الباب إلى المقاربة بين الكلام بما يشبه بعضه بعضاً ، فإنه لا كلام أحسن من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد كان يتوخى فيه مثل ذلك ، فممنه ما روى عنه عليه السلام من أنه عوذ الحسن والحسين عليهما السلام فقال « أعيذهما من السامة والهامة وكل عين لامة » ، وإنما أراد ملمة فلا تباع الكلمة أخواتها في الوزن قال لامة ، وكذلك ما جاء عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : خير المال سكة مأبورة ، ومهرة مأمورة ؛ فقال مأمورة من أجل مأبورة ، والقياس مؤمرة وجاء في الحديث : « يرجعن مأزورات غير مأجورات » وإذا كان هذا مقصوداً له في الكلام المنشور فاستعماله في الشعر الموزون أقمن وأحسن .

(١) آبى الهزيمة : ياباها : ناء بالعظيمة : حامل لها ، الكريمة : النفيس من المال • جلد غير ثنيان : قوى متين •
 (٢) الرباء : الرقيب الذي يتقدم القوم لئلا يدهمهم العدو • المرقبة : الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب : السلهبة : الخيل • قطاع اقران : غالب لاقرانه وانداده •
 (٣) هباط : صيغة مبالغة اودية أي كثير الهبوط فيها • ألوية : جمع لواء وهي الراية التي تكون في مقدمة الجيش ، والمعنى أنك تجده في كل مكان يدل على الشجاعة والكرم وعلو الهمة • والسرخان : الذئب •
 (٤) التلاد : المال القديم يورث • متان : صاحب من على الناس •

٣ - نعت القوافي

أن تكون عذبة الحرف سلسلة المخرج . وأن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها (١) . فإن النحول والمجيد من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك . ولا يكادون يعدلون عنه . وربما صرعوا أبياتاً آخر من القصيدة بعد البيت الأول . وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بخره . وأكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحلله من الشعر فمنه قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل (٢)

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات فقال :

أفاطيس مهلاً بعض هذا التبدل وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجمل (٣)

ثم أتى بأبيات بعد هذا البيت فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل (٤)

وقال في قصيدة أخرى أولها :

ألا انعم صباحاً أيها الظلل البالي وهل ينعم من كان في العصر الحالي (٥)

(١) ويسمى هذا تصريماً ، وهو الحاق العروض بالضرب وزناً وتقفيه سواء بزيادة أو بنقصان .

(٢) قفا : خطاب للأنثى أي لصديقه لمعاونته في بكاء الاطلال والوقوف عليها . اللوى : ما النوى من الرمل . وسقط اللوى : منتهاه وهو مثلث السين . والدخول وحومل مكانان يقع بينهما سقط اللوى وفيه منزل الحبيب . (٣) أزمع الامر وأزمع عليه اذا ثبت عزمه على امضائه . الصرم : الهجر والقطيعة الاجمال : الرفق .

(٤) أمثل : أفضل ، يذكر أن همومه وأحزانه موصولة فليس الصبح خيراً من الليل .

(٥) الا انعم صباحاً : تحية الصباح في الجاهلية ، وكانوا يقولون في المساء : لا انعم مساء ، وبالليل ظلاماً ، ثم جاء الاسلام فأبطل هذا مما أبطله من الالفاظ الجاهلية ، وأبدل بدلها كلمة « السلام عليكم » .

وقال بعد بيتين :

ديارٌ لِسلمي عافياتٌ بذِي الحالِ ألح عليها كلُّ أسحَم هطال^(١)

ثم قال بعد أبيات أخرى :

ألا إنَّني بالٍ على جملٍ بالي يقودُ بنا بال ويتبعنا بالي^(٢)

وقال في قصيدة أخرى أولها :

غشيتُ ديار الحِي بالبكرات فعارمةٌ فبرقة العيرات^(٣)

ثم قال بعد بيتين :

أعني على التَّهمام والذَكَرات يبتن على ذي الهمم مُعْتكرات^(٤)

وقال في قصيدة أخرى أولها :

عينك دمعُهما سجالٌ كأنَّ شأنِهما أوْشالٌ^(٥)

وقال بعد أبيات :

قلُوب خِزَّانٍ ذي أوْرالٍ قُوتًا كما تُرزقُ العيالُ^(٦)

(١) عافيات : دارسات • وذوخال : موضع ، يذكر أن ديارها بليت لاستمرار سقوط المطر عليها • الاسحَم : الاسود ، والمراد به السحاب الكثير الماء • الهطال : المطر الدائم في لين يريد أن هذه الدار تغيرت ودرست بدوام المطر عليها •

(٢) بال أي أنه مضني بلاء الحب •

(٣) غشيت : جئت • البكرات : أعلام بطريق مكة • عارمة : مكان • برقة : البقعة التي يخالط حجارتها السود رمل • العيرات : الحمر الوحشية • (٤) التهمام : تفعال من الهم • والذَكَرات : جمع ذكرة من التذكير •

معْتكرات : منصرفات • ذو الهم : أي صاحب الحزن الطويل •

(٥) سجال جمع سجل وهو الدلو العظيم مملوء ماء • شأنِهما : جانبيهما أو مجاري الدموع منهما • أوْشال جمع وشل وهو الماء ينحدر من أعالي الجبال بكثرة •

(٦) الخزان : ذكور الارانب جمع خزن • أوْرال : صاحب ورل والورل : دابة كالضب •

وقد سلك هذا السبيل غير امرئ القيس شعراء كثيرون
فمنهم أوس [بن حجر] قال في قصيدة أولها :

ودع لميس وداع الصَّارم اللّاحي قد نثمت في فسادٍ بعد إصلاح^(١)

ثم قال :

إني أرقّت ولم تأرقْ معي صاحبي المُستكين بعيد النّوم لوّاح^(٢)

ومنهم مرقش قال في قصيدة أولها :

أمن رسم دار ماء عينك يسفحُ غداً من مقام أهله وتروحوا^(٣)

ثم قال :

أمن بنت عجلان الخيال المطرح ألمّ ورحلى ساقط متزحزح^(٤)

وقال حسان بن ثابت قصيدة أولها :

ألم تسأل الربع الحديد التّكلما بمدفع أشداخٍ فبرقةً أظلما^(٥)

وقال في البيت التالي لهذا :

أبى رسمُ دار الحي أن يتكلما أينطقُ بالمعروف من كان أبكماً^(٦)

(١) اللّمس : المرأة اللينة اللمس .

(٢) المعنى لم تشاركني في أرقّي يا صاحبي .

(٣) رسم الدار : انارها : يسفح : من سفح الدمع أرسله سفحاً
وسفوحاً ، والدمع سافح : منصّب .

(٤) بنت عجلان محبوبته . الخيال : مبتدأ مؤخر . المطرح ، يروى
ببلة : المبرح . الشديد : التبريح .

(٥) أشداخ : واد . والمدفع : مجرى سيوله . وبرقة اظلما : موضع .

(٦) رسم الدار : انارها .

وقال الشماخ قصيدة أولها :

ألا نادياً أظعان ليلى تعرج فقد هيجن شوقاً ليته لم يهيج^(١)

ثم قال بعد أبيات :

ألا أدلجت ليلاك من غير مدلج هوى نفسها إذ ادلجت لم تخرج^(٢)

وقال عبيد بن الأبرص قصيدة أولها :

أففر من أهله ملحوب فالقُطبيات فالدُّنوب^(٣)

ثم قال بعد أبيات :

أرض توارثها شعوب فكل من حلها محروب^(٤)

ثم قال بعد أبيات :

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

وقال الراعي قصيدة أولها :

أبت آيات حي أن تيننا لنا خبراً فأبكين الحزينا^(٥)

وربما أغفل بعض الشعراء التصريح في البيت الأول فأتى به

(١) ناديا : خطاب لرفيقيه • الاظعان : جمع ظعينة وأكثر ما تطلق على المرأة في هودجها ثم أطلق على الهودج ثم المرأة بلاهودج • تعرج : تحبس مطاياها وهو جواب لناديا • هجن شوقاً : حركته • والشماخ شاعر مخضرم مجيد - توفي عام ٢٢ هـ •

(٢) أدلجت من الادلاج وهو السير آخر الليل • والشماخ شاعر أموي مشهور • هوى نفسها : مفعول له • لم تعرج : لم تعطف •

(٣) ملحوب : اسم موضع • القطبيات : ماء بعينه وجمعه بما حوله • الذنوب : اسم موضع بعينه •

(٤) الشعوب : النية • المحروب : المسلوب المال • وعبيد : شاعر جاهلي مشهور •

(٥) آيات : جمع مفردا آية وهي العلامة ووزنها فعلة في قول الخليل وعند غيره أصلها فعلة بفتح الفاء والعين • والراعي : شاعر أموي مجيد •

في بعض من القصيدة فيما بعد . قال عمرو بن أحمر الباهلي
قصيدة أولها :

قد بكرت عاذلتى بكرة^(١) تزعم أنى بالصبا مشتهر

فلم يصرع أول القصيدة وأتى بيبيتين بعد الأول ثم قال :

بلى ودعيني طفل أتى بكر فقد دنا الصبح فمما انتظر

وقال أيضاً من قصيدة أولها :

لعمرك ما خلقت إلا لما ترى وراء رجال أسلموني لما بيا^(٢)

فأتى بالأول غير مصرع ثم قال بعد أبيات :

فأمسى جنب الشول أغبر كابيا وأمسى جنب الحي أبلج واريا^(٣)

وقال أمية بن حرثان بن الأسعر الكنانى قصيدة أولها :

أصبحت هزأ لراعي الضان أعجبه ماذا يرريك منى راعي الضان^(٤)

فلم يصرع أول بيت وأتى بعده بيت واحد قال فيه :

يا بني أمية إنني عنكما غاني وما الغنى غير أنني مُشعر^(٥) فإني

ولمّا يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك لأن بنية
الشعر إنما هي التسميع والتقفية ، فكلما كان الشعر أكثر
اشتمالاً عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب
الشعر .

(١) خلقت : تأخرت عن الرجال في الطريق .

(٢) الجنب : الناحية . الشول : الناقة التي جف لبنها وارتفع ضرعها
واريا : متقدماً . كابيا : من كبا لونه كمد ، وكبا تغير ، ورجل كابى اللون
عليه غبرة ، والاسم من ذلك الكوبة . أبلج : مضيئاً ظاهراً .

(٣) هزأ : سخرية وأضحكة : والمعنى : ما بى من الكبر والهرم جعلني
أصبح سخرية لكل شخص حتى لراعي الضان .

٤ - باب المعاني الدال عليها الشعر

جماخ الوصف لذلك أن يكون المعنى مواجهاً للغرض المقصود ، غير عادل عن الأمر المطلوب ، ولما كانت أقسام المعاني التي يحتاج فيها إلى أن تكون على هذه الصفة مما لا نهاية لعدده ، ولم يمكن أن يؤتى على تعديد جميع ذلك ، ولا أن يبلغ آخره رأيت أن أكرمه صدرأً ينبيء عن نفسه . ويكون مثلاً لغيره ، وعبرة لما لم أذكره . وأن أجعل ذلك في الأعلام من أغراض الشعراء وما هم عليه أكثر حوماً ، وعليه أشد روماً ، وهو : المديح والهجاء ، والنسيب ، والمراثي . والوصف ، والتشبيه .

وأقدم أمام كلامي في هذه الأقسام قولاً يحتاج إلى تقديمه ، وهو أنني رأيت الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر وهما : الغلو في المعنى إذا شرع فيه ، والإقتصار على الحد الأوسط في ما يقال منه .

وأكثر الفريقين لا يعرف من أصله ما يرجع إليه ، ويتمسك به ، ولا من اعتقاد خصمه ما يدفعه ويكون أبداً مضاداً له ، لكنهم يخطئون في ظلماء : فمرة يعمد أحد الفريقين إلى ما كان من جنس قول خصمه فيعمده ، ومرة يقصد ما جانس قوله في نفسه فيدفعه ، ويعتقد نقضه ..

وقد شهدت أنا من هذه ، وله سبب ، قوماً يقولون إن قول مهلهل بن ربيعة :

فلولا الريحُ أسمع من بحجرٍ صليلَ البيضِ نقرَ بالذُّكور^(١)

(١) صليل البيض : صوت طنين السيوف ومهلهل من قدامى الشعراء الجاهليين وهو خال امرئ القيس : الذكور: السيوف ذات الحديد اليابس . حجر : موضع وهو مكان الرياض الحالية .

خطأ ، من أجل أنه كان بين موضع الرقة التي ذكرها وبين مسافة بعيدة جداً .

وكذلك يقولون في قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أشباهَ سيفٍ قديمٍ إثره بادي
تظل تحفر عنهُ إن ضربت به بعد الذراعين والسَّاقين والهادي^(١)

وكذلك في قول أبي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافُك النطف التي لم تخلق^(٢)
ثم رأيت هؤلاء بأعيانهم في وقت آخر يستحسنون ما يرون
من طعن النابغة^(٣) على حسان بن ثابت رضي الله عنه في قوله :
لنا الجففاتُ الغرُّ يلْمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دما^(٤)

وذلك أنهم يرون موضع الطعن على حسان في قوله « الغر »
وكان ممكناً أن يقول البيض ، لأن الغرة بياض قليل في لون
آخر غيره ، وقالوا : فلو قال « البيض » لكان أكثر من
الغرة ، وفي قوله : « يلْمعن بالضحى » ولو قال
« بالدجى » لكان أحسن ، وفي قوله « وأسيافنا يقطرن من
نجدة دما » قالوا : ولو قال « يجرين » لكان أحسن ، إذ كان
الجرى أكثر من القطر .

فلو أنهم يحصلون مذاهبهم لعلموا أن هذا المذهب في الطعن
على شعر حسان غير المذهب الذي كانوا معتقدين له من الإنكار

(١) الهادي : العنق لتقدمه والجمع هواد والنمر شاعر جاهلي مجيد .
(٢) أخفت أهل الشرك : أفزعتهم وروعتهم . النطفة : ماء الرجل
جمعه نطف .

(٣) النابغة الذبياني شاعر جاهلي كبير وكان حكم الشعراء قسي
سوق عكاظ .

(٤) الجففات : جمع وهي القصعة تجمع أيضا على جفان . الغر :
البيض . يلْمعن : يشرقن . النجدة : الشجاعة .

على مهلهل والنمر وأبي نواس ، لأن المذهب الأول إنما هو لمن أنكر الغلو ، والثاني لمن استجاده ، فإن النابغة على ما حكى عنه لم يرد من حسان إلا الإفراط والغلو . بتصوير مكان كل معنى وضعه ما هو فوقه وزائد عليه ، وعلى أن من أنعم النظر علم أن هذا الرد على حسان ، من النابغة كان أو مسن غيره ، خطأ وأن حسان مصيب إذ كانت مطابقة المعنى بالحق في يده ، وكان الرد عليه عادلاً عن الصواب إلى غيره .

فمن ذلك أن حساناً لم يرد بقوله « الغر » أن يجعل الجفان بيضاً ، فإذا قصر عن تصوير جميعها بيضاً نقص ما أراده لكنه أراد بقوله « الغر » المشهورات . كما يقال « يوم أغر » . « ويد غراء » وليس يراد البياض في شيء من ذلك . بل يراد الشهرة والنباهة .

وأما قول النابغة في « يلمعن بالضحى » وأنه لو قال « بالدجى » لكان أحسن من قوله « بالضحى » إذ كل شيء يلمع بالضحى ، فهذا خلاف الحق وعكس الواجب . لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع . النور الشديد الضياء فأما الليل فأكثر الأشياء مما له أدنى نور وأيسر بصيص يلمع فيه . فمن ذلك الكواكب . وهي بارزة لنا . مقابلة لأبصارنا . دائماً تلمع بالليل . ويقل لمعانها بالنهار حتى تخفى . وكذلك السرج والمصابيح . ينقص نورها كلما أضحى النهار وفي الليل تلمع عيون السباع لشدة بصيصها وكذلك البراع حتى نحال نارا .

فأما قول النابغة أو من قال إن قوله ^(١) في السيوف « يجرين » خير من قوله « يقطرون » لأن الجري أكثر من

(١) أي قول حسان بن ثابت .

القطر فلم يرد حسان الكثرة وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس
ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا
سيفه يقطر دماً ولم يسمع سيفه يجري دماً . ولعله لو قال
يجرين دماً يعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع
النجد إلى ما لم تجر عادة العرب بوصفه .. فلنرجع إلى ما بدأنا
بذكره من الغلو والإقتصار على الحد الأوسط فأقول : إن الغلو
عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء
قديماً وقد بلغني عن بعضهم أنه قال أحسن الشعر أكذبه ، وكذا
نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم ، ومن أنكر على
مهلهل والنمر وأبي نواس قولهم المتقدم ذكره فهو مخطئ
لأنهم وغيرهم ممن ذهب إلى الغلو إنما أرادوا به المبالغة والغلو
بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعلوم ، وإنما يريد
به المثل وبأوغ النهاية في النعت ، وهذا أحسن من المذهب
الآخر فإن قول النابغة في معنى قول النمر [بن تولب]
على مذهب الإقتصار ولزوم الحد الأوسط :

وقد أبقتُ صروفُ الدهر متى كما أبقت من السيف اليماني (١)

دون قول النمر [وأتى] دليلاً قوياً على أن ما بقي منه
أكثر مما بقي من النابغة . وكذلك قول كعب بن مالك
الأنصاري (٢) في معنى قول مهلهل (٣) ووصفه صوت
الضرب (٤)

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كعمعة الإناء المحرق (٥)

(١) صروف الدهر: أحداثه ونوائبه . السيف اليماني: المنسوب إلى بلدة
باليمن اشتهرت بصنع السيوف .

(٢) من شعراء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان هو وحسان
وعبد الله بن رواحة من أشهر الشعراء المخضرمين .

(٣) مهلهل : أقدم الشعراء الجاهليين وهو الذي طول القصيدة وبدأها
بالغزل .

(٤) في بيت المهلهل المشهور :

فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تفرح بالذكور

(٥) يرعبل : في اللسان قال الجوهري من رعبات اللحم قطعته .

دون قول مهلهل لأن في قول مهلهل ما يدل على أن الضرب الذي ذكره أشد وأبلغ .

وكذلك قول الحزين الكناني في معنى قول أبي نواس^(١) :

يُغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يتسم^(٢)

دون قول أبي نواس لأن هذا وإن كان قد وصف صاحبه بما دل على مهابته فإن في قول أبي نواس دليلاً على عموم المهابة ، ورسوخها في قلب الشاهد ، والغائب ، وفي قوله « حتى إنه لتهابك » قوة لتكاد تهابك ، وكذا كل غال مفرط في الغلو إذا أتى بما يخرج عن الموجود فلانما يذهب فيه إلى تصديره مثلاً وقد أحسن أبو نواس ، حيث أتى بما ينسب عن عظم الشيء الذي وصفه .

وإذ قدمت ما أردت تقديمه فلنرجع إلى ذكر واحد واحد من المعاني الستة التي قلت : إنها الأعلام من أغراض الشعراء في المعاني . فأبدأ أولاً بذكر المديح ...

(أ) نعت المديح

ما أحسن ما قال عمر بن الخطاب في وصف زهير^(٣) حيث قال : إنه لم يكن يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال . فإنه في هذا القول إذا فهم وعمل به منفعة عامة ، وهي العلم بأنه إذا كان الواجب أن لا يمدح الرجال إلا بما يكون لهم وفيهم فكذا يجب أن لا يمدح شيء غيره^(٤) إلا بما يكون له وفيه وبما يليق به أو لا ينافره .

(١) أي السابق وهو قوله : وأخفت أهل الشرك حتى انه - البيت .

(٢) يغضى حياء : الضمير في يغضى عائد إلى زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما والأغضاء : ادناء الجفون بعضها إلى بعض - والبيت منسوب للحزين الكناني .

(٣) من أعلام الشعراء الجاهليين .

(٤) أي غير الرجل .

ومنفعة أخرى ثانية ، وهي تأكيد ما قلنا في أول كلامنا في المعاني ، من أن الواجب فيها قصد الغرض المطلوب على حقه وترك العدول عنه إلى ما لا يشبهه .

ولما كان المدح اسماً مشتركاً للمدح الرجال وغيرهم ، عمه بالقول في مدح الرجال ، إذ كان غرض الشعراء إنما هو مدحهم إلا ما يستعملون من أوصاف النساء فإن ذلك له قسم آخر سنأتي به في ما بعد إن شاء الله تعالى ^(١) ، وعلمنا أن أخذنا في التعريف بجودة مدح للرجال كيف يكون ، فقد يتعلم من حواشي قولنا في هذا كيف يسلك السبيل إلى مدح غيرهم ، فنقول :

إنه لما كانت فضائل الناس ، من حيث إنهم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهل الألباب ، من الاتفاق في ذلك ، إنما هي : العقل والشجاعة - والعدل - والعفة ؛ كان القاصد للمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيباً ، والمادح بغيرها مخطئاً . وقد يجوز في ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها بالبعض والإغراق فيه . دون البعض ، مثل أن يصف الشاعر إنساناً بالجوهر الذي هو أحد أقسام العدل وحده فيفرق فيه ، ويتفني في معانيه ، أو بالنبذة فقط ، فيعمل فيها مثل ذلك ، أو بهما ، أو يقتصر عليهما دون غيرهما ، فلا يسمى مخطئاً . لإصابته في مدح الإنسان ببعض فضائله ؛ لكن يسمى مقصراً عن استعمال جميع المدح ، فقد وجب أن يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلال ، لا بغيرها . والبالغ في التجويد إلى أقصى حدوده من استوعبها ، ولم يقتصر على بعضها ، وذلك كما قال زهير بن أبي سلمى في قصيدة :

(١) وهو النسيب .

أخي ثقةٍ لا تهلكُ الخمرُ مالهَ ولكنهُ قد يهلكُ المالَ نائلُهُ (١)

فوصفه في هذا البيت بالعفة ، لقلّة إمعانه في اللذات ، وإنه لا ينفد ماله فيها ، وبالسخاء لإهلاكه ماله في النوال وانحرافه إلى ذلك عن اللذات ، وذلك هو العدل ثم قال :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك معطيه الذي أنت سائله (٢)

فزاد في وصف السخاء بأن جعله يهش له ، ولا يلحقه مضض ، ولا تكره لفعله ، ثم قال :

فمن مثل حصن في الحروب ومثله لإنكار ضيمٍ أو لخصمٍ يجار له (٣)

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة ، والعقل فاستوعب زهير في أبياته هذه المديح بالأربع الخصال ، التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة . وزاد في ذلك ما هو - وإن كان داخلاً في هذه الأربع - فكثير من الناس لا يعلم وجسه دخوله فيها ، حيث قال « أخي ثقة » صفة له بالوفاء . والوفاء داخل في الفضائل التي قدمنا ذكرها .

وقد تفنن الشعراء في المديح ، بأن يصفوا حسن خلقه الإنسان ويعتدوا أنواع الأربع الفضائل التي قدمنا ذكرها ، وأقسامها وأصناف تركيب بعضها مع بعض ، وما أقل من يشعر بأن ذلك داخل في الأربع الخلال على الأفراد أو بالتركيب

(١) أخي ثقة : يوثق بما عنده من الخير لاشتهاره بالجود والكرم النائل : العطاء . يريد أن ماله لا يتلف بشرب الخمر إنما يتلف بالعطاء والبيت من قصيدة في مدح هرم بن سنان . وزهير من أعلام الشعراء الجاهليين .

(٢) المتهلل : الطلق الوجه المستبشر . المعنى : أن المدح يسر بمن يقصده للعطاء فكأنه بهذا السرور أخذ العطاء لا معطيه للسائل .

(٣) الضيم : الذل .

إلا أهل الفهم ، مثل أن يذكروا من أقسام العقل ثقافة المعرفة والحياء ، والبيان ، والسياسة ، والكفاية ، والصدق بالحجة ، والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة ، وغير ذلك ، مما يجري هذا المجرى .

ومن أقسام العفة القناعة . وقلة الشره ، وطهارة الإزار ، وغير ذلك مما يجري مجراه .

ومن أقسام الشجاعة الحماية ، والدفاع ، والأخذ بالثأر ، والنكاية في العدو والمهابة ، وقتل الأقران ، والسير في المهامه الموحشة ، وما أشبه ذلك .

ومن أقسام العدل السماحة ، ويرادف السماحة التغاين ، وهو من أنواعها ، والإنظام ، والتبرع بالناثل ، وإجابة السائل وقرى الأضياف ، وما جانس ذلك .

فأما تركيب بعضها مع البعض فيحدث منه ستة أقسام :

أما ما يحدث عن تركيب العقل مع الشجاعة فالصبر على الملمات ، ونوازل الخطوب ، والوفاء بالإيعاد .

وعن تركيب العقل مع السمخاء فإنجاز الوعد وما أشبه ذلك

وعن تركيب العقل والعفة فالرغبة عن المسألة ، والإقتصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك .

وعن تركيب الشجاعة مع السمخاء الإنلاف ، والإخلاف ، وما أشبه ذلك .

وعن تركيب الشجاعة مع العفة : إنكار الفواحش ، والغيرة على الحرم .

وعن السمخاء مع العفة الإسعاف بالقوت ، والإيثار على النفس ، وما شاكل ذلك .

وجميع هذه التركيبات قد ذكرها الشعراء في أشعارهم ،
وسأذكر من جيد ما قالوه في ذلك صدرأ إن شاء الله تعالى ،
إلا أنني أبدأ قبل ذلك فأقول :

إن كل واحدة من الفضائل الأربع المتقدم ذكرها وسط
بين طرفين مذمومين ، وقد وصف شعراء مصيبون متقدمون
قوماً بالافراط في هذه الفضائل ، حتى زال الوصف إلى
الطرف المذموم . وليس ذلك منهم إلا كما قدمنا القول فيه .
في باب « الغلو في الشعر » من أن الذي يراد به إنما هو
المبالغة والتشثيل ، لا حقيقة الشيء ..

ومن الأخبار التي يحتاج إلى ذكرها ، وشرح الحال فيها ،
ليكون ذلك مثالاً يبنى الأمر عليه . ويعلم به ما يأتي من مثله
أن « كثيراً » أنشد عبد الملك بن مروان :

على ابن أبي العاصي دلاص^(١) حضيئة أجاد المرء نسجها وأذالها^(٢)
يود^(٣) ضعيف القوم حمل قتيورها ويستظلع^(٤) القرم^(٥) الأشم^(٦) احتمالها

فقال له عبد الملك : قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحسن
من قولك حيث يقول له :

وإذا تجيء كتيبة^(٧) مكمومة^(٨) شهباء يخشى^(٩) الراهدون^(١٠) نهالها^(١١)
كنت^(١٢) المقدم غير لايس^(١٣) جنة^(١٤) بالسيف تضرب^(١٥) معلماً^(١٦) أبطلها^(١٧)

(١) الدلاص : الدرع اللساء اللينة . أجاد المرء : صانعها الماهر .
والقتير : رؤوس مسامير الضلوع . القرم الأشم : الرجل العظيم ذو المكانة
العالية . كثير شاعر أموي عذري مشهور توفي عام ١٠٥ هـ .

(٢) الكتيبة : الجيش . أو جماعة الخيل إذا أغارت من المائنة إلى
الالف . شهباء : عظيمة كثيرة .

(٣) الجنة : بالضم كل ما وقاك .

فقال : يا أمير المؤمنين وصفتك بالحزم ووصف الأعشى صاحبه بالخرق .

والذي عندي في ذلك أن عبد الملك أصبح نظراً من كثير ، إلا أن يكون كثير غلط واعتذر بما يعتد خلافة ، لأنه قد تقدم من قولنا في أن المبالغة أحسن من الإقتصار على الأمر الوسط بما فيه كفاية ، والأعشى بلغ في وصف الشجاعة ، حيث جعل الشجاع شديد الإقدام ، بغير جنة على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب ، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه لأن الصواب له ، ولا لغيره . إلا لبس الجنة ، وقول كثير تقصير في الوصف .

فلنرجع إلى ذكر مدائح الشعراء المحسنين ، ثم نأتي بعد ذلك بصدر ، يشتمل على افتنائهم في المدح ليكون مثلاً لما تقدم الإنخبار عنه ، وعبرة في اختيارات المديح .. فمن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

يَطْلُبُ شَاوُ امْرَأَيْنِ قَدَمًا حَسَنًا نَالَاَ الْمُلُوكَ وَبَدَأَ هَذِهِ السُّوقَا
هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقُ بِشَاوِهِمَا عَلَى تَكْلِيْفِهِ فَمِثْلُهُ لَحَقًا
أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ فَمِثْلُ مَا قَدَمًا مِنْ صَالِحٍ سَبَقًا^(١)

ومن هذه القصيدة :

(١) الشاو : الطلق من الجري والشاو أيضا الغاية . والمراد بالمرايين أباه وجده أي يعارضهما بفعله ويسعى سعيهما في المكارم . نالا أي بافعا لهما أفعال الملوك . بد : غلب أي أنه سبق أبواه أوساط الناس وساويا الملوك فهو يطلب سبقهما . هو الجواد : أي الممدوح بمنزلة الجواد من الخيل في مسابقة أبويه في الكرم والجود . المهل : التقدم .

من يَلْتَقَ يوماً على عِلَاتِهِ هَرَمًا
لَيْثٌ بَعَثَ بِصِطَادُ الرِّجَالِ إِذَا
يَطْعَنُهُمْ مَا رَتَمُوا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا
فَضْلُ الْجَوَادِ عَلَى الْخَيْلِ الْبَطَاءِ فَلَا
هَذَا وَلَيْسَ كَمَنْ يَعِيسَا بِخُطْبَتِهِ
لَوْ نَالَ حَيٍّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَكْرَمَةٍ

ومن أخرى له :

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْبِلُوا الْمَالَ يُخْبِلُوا
وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَانٌ وَجُوهُهُمْ
فَإِنْ جِئْتَهُمْ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بَيْوتِهِمْ
عَلَى مُكْثَرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَتَعَرَّبُهُمْ
سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لَيْكِي يُدْرِكُوهُمْ
وَأَنْدِيَّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ^(٤)
مَجَالِسَ قَدْ يَشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ
وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَدَلُ^(٥)
فَلَمْ يُدْرِكُوا وَلَمْ يُلْدِمُوا وَلَمْ يَأْلُوا^(٦)

(١) على علاته : على قلة ماله والمعنى أنك إن تلقه على قلة ماله تجده
سنحاً كريماً فكيف به وهو على غير تلك الحال • عشر : اسم موضع • أقرانه :
القرن : صاحب في القتال • والمعنى هو في الجرأة والاقدام على الاقران
كاللئث •

(٢) الندى : مجلس القوم • يصف ممدوحه بأنه يزيد عليهم في كل
حال من أحوال الحرب •

(٣) الاستخبال : أن يستعير الرجل ابلاً فيشرب ألبانها وينتفع بابوارها •
ييسروا : يغفلوا أي إذا قامروا باليسر أخذوا ثمان الجزر فيقامرون عليها لا
ينحرون الا غاليه •

(٤) المقامات : المجالس والمراد بها أهلها • الاندية : جمع ندى وهو
المجلس • ينتابها القول الخ : يبيت فيها الجميل من القول •

(٥) على مكثريهم : مياسيرهم وأغذياتهم • المقل : القليل المال • البذل :
المطاء • أي يبذل الفقراء على قدر جهدهم وطاقتهم •

(٦) لم يليموا : لم يأتوا ما يلامون عليه حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء •

فما كان من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم . قيل (١)
 وهل يُنبِتُ الخطيُّ إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل (٢)

ولزهير يمدح بني الصيداء :

إنني سترحلُ بالمطبي قصائدي حتى تحلَّ على بني ورقاء (٣)
 مدحاً لهم يتوارثون ثناءها رهن لا آخرهم بطول بقاء
 حلماء في النّادي إذا ما جئتهم جهلاء يوم عجاجة ولقاء (٤)
 من سالموا نال الكرامة كلها أو حاربوا ألوى مع العتقاء

وله :

إنّ البخيل ملومٌ حيث كان ولكنّ الجوادَ على علاته هرم (٥)
 هو الجوادُ الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فينظلم

ومن ذلك قول الخطيئة في بني بغض :

وإنّ التي نكبتُها عن معاشير على غضاب أن صدّدت كما صدوا
 أتت آل شماس بن لأي وإنما أتاها بها الأحلام والحسب العيد (٦)

(١) توارثه آباء آبائهم : أي مجدهم قديم ورثوه كابرا عن كابر .

(٢) الخطي : الرمح نسبة الى الخط وهي جزيرة بالبحرين يرفأ اليها
 سفن الرماح . الوشيح : القنا الملتف في منبته وأحدثه وشيجه : أي لا تنبت
 القنّاة الا القنّاة . وتغرس النخلة الا حيث تنبت ، كذلك لا يولد الكرام الا
 في منبت كريم .

(٣) ورقاء : اسم رجل .

(٤) عجاجة : غبار وهول وشدة .

(٥) علاته : ما ينوبه من قلة ذات يده . هرم : اسم المدوح . عفواً : سهلاً
 بلا مظل ولا تعب . يظلم أحياناً : يطلب منه في غير موضع الطلب وفي
 غير وقته .

(٦) أراد المدحة التي عدل بها عن آل الزبيرقان الى بغض وقومه . العد
 القديم ، والخطيئة - شاعر مخضرم مجيد توفي عام ٣٠ هـ .

ومنها :

يَسْـَٔسُونَ أَحْلَاماً بِعَيْدِهَا أَنَاتُهَا
أَقْلَوْا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِن بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبَنَى
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها
وتعدلني أبناء سعيدٍ عليهم
وإن غَضِبُوا جاء الحفيظة والجد
من اللّوم أوسدوا المكان الذي سدوا
وإن عاهدوا أوفوا وإن عتقدوا اشدوا
وإن أنعموا لا كدروها ولا كدثوا^(١)
وما قلتُ إلاّ بالذي علّمتُ سعدُ

ومن ذلك قول الأخطل :

صم عن الجهل عن قبل الخنا خرس
شمسُ العداوة حتى يستفاد لهم
وإن ألمت بهم مكروهة صبروا
وأوسع الناس أحلاماً إذا قدروا^(٢)

ومن ذلك ما أنشدنا أحمد بن يحيى^(٣) :

مَيَّامِينَ يَرْضُونَ السَّيَاسَةَ إِن كَفَوْا
إِذَا صُرِّفُوا لِلْحَقِّ يَوْمًا تَصَرَّفُوا
وَيَكْفَوْنَ إِن سَلَسُوا بِغَيْرِ تَكَلَّفٍ
وإن كان فيهم مومرٌ بثَّ فضله
إذا الجاهل الخيرات لم يتصرف
وإن كان فيهم معسرٌ لم يُطوَّف

وأنشدنا أيضاً :

وَفَتَيَانِ صَدَقَ بِأَثَرَيْنِ صَحْبَتَهُمْ
فَإِن يَكُ خَيْرًا أَحْسَنُوا أَسْلَابَهَا
يَزِيدُهُمْ هَوْلَ الْجَنَابِ تَأْسِيَا
وإن كان شرٌّ يشرّكه تحاسيا^(٤)

(١) ويرى أن كانت النعمى عليهم - أي أنهم انعموا لم يمنوا ولم يكدروا نعمتهم بالن ولم يكدروا المنعم عليه بالثواب .

(٢) الخنا : الفحش . رجل شמוש عسر في عداوته شديد الخلاف على من عانده جمعه شمس .

(٣) هو ثعلب امام الكوفيين في النحو توفي عام ٢٩١ هـ .

(٤) السلب : ما يسلب والجمع أسلاب .

وأنشدنا :

إذا المحل أنسى العفة الناس ذبيت وحامت عن الأحساب بكر بن وائل
بهم بغض بعض الناس لكن يردهم حياء عفاف عن دنيء الماكل

وأنشدنا :

يذكرني بيشراً بكاء حمامة عني من من بطن بيضة مائل^(١)
فتي مثل صفور الماء ليس بياخل بخير ولا ميهدي ملاما لبائل
ولا ناطقاً ألدوثة السبق معجبا بأظهارها في المجلس المتقابل^(٢)
تري أهله في نعمة وهو شاحب طوي البطن مخماص الضحى والأصائل^(٣)

وأنشدنا لمحمد بن زياد الحارثي :

تخالهم للحلم صمّا عن الخنا وغرماً من الفحشاء عند التهاجر^(٤)
ومرضى إذا لوقوا حياء وعفة وعند الحفاظ كالليوث الخوادر^(٥)
لم ذل أنصاف وأنس تواضع ومن عزهم ذلت رقاب العشائر
أن بهم وصماً يخافون عارَه وليس بهم إلا اتقاء المعابر^(٦)

ثم من الشعراء الآن من يحمل المديح - فيكون ذلك باباً من

(١) الفنن : الغصن أو ما تشعب منه جمعه أفنان • بيضة : موضع •
(٢) الاحدوثة : ما يتحدث به الناس • السبق : ما يتسابق فيه
الناس من المكارم •

(٣) الشاحب : المتغير من هزال وجوع • طوي البطن : لم يأكل شيئاً •
المخماص : الجائع • الضحى والأصائل : وقتان يجوع فيهما المدحوق في
حين أنهما وقتان يشبع فيهما غيره •

(٤) الخنا : الفحش • التهاجر : التقاطع •

(٥) الحفاظ : الذب عن المحارم • الخوادر جمع مفردة خادر والخادر
اجمة الاسد ومنه أسد خادر •

(٦) المعابر : المعايير •

أبوابه حسناً أيضاً . لبلوغه الإرادة مع خلوه عن الإطالة وبعده
عن الإكثار ودخوله في باب الاختصار

فمن ذلك قول الحطيئة :

تزورُ امرءاً يعطى على الحمد مالهُ	ومن يعطى أثمانَ المكارمِ بحمدِ
يرى البُخلَ لا يبقى على المرء ماله	ويعلمُ أن المالَ غيرُ مخلصِ
كسوبٌ وميتلاف إذا ما سألتَه	تهلّلَ واهتزَّ اهتزازَ المهتدِ (١)
متى تأتَه تعشو إلى ضوءِ ناره	تجد خير نار عندها خير موقدِ (٢)

فقد تصرف في الأبيات الأولى في أصناف المديح المتقدم
ذكرها وأتى بجماع الوصف وجملة المديح على سبيل الاختصار
في البيت الأخير ومن ذلك قول الشماخ :

رأيت عرابةَ الأوسى يسمو	إلى الخيراتِ منقطع القرين (٣)
إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ	تلقّاها عرابةٌ باليمينِ

وقد أوما السسط بن مروان أبي حفصة في مدحه شرحبيل بن
معن بن زائدة لإيماء موجزاً ظريفاً . أتى على كثير من الممدوح
باختصار . وإشارة بديعة . فقال :

(١) كسوب : كثير الكسب للمال . متلاف : كثير التلف للمال . تهلل :
تلاها وجهه . اهتزاز المهتد : اهتزاز السيف المشحود .

(٢) تعشو : تقصد في الظلام . وعشا يعشو : إذا سار في ظلمة تسمى
عشوة . وقال ابن يعيش : عشوته أي قصده في الظلام . ثم اتسع فقليل لكل
قاصد عاش .

(٣) عرابة : هو ممدوح الشماخ . الأوسى : نسبة إلى أوس . يسمو :
يرتفع . منقطع القرين : عادم النظير .

رأيت ابنَ معنَ أفتنَ الناسَ جودُهُ فكلفَ قولَ الشعرِ من كانَ مفتحاً^(١)
وأرخصَ بالعدلِ السلاحَ بأرضنا فما يبلغُ السيفُ المهنددُ درهما

ومن الشعراء أيضاً من يفرق في المدح بفضيلة واحدة أو اثنين ، فيأتي على آخر ما في كل واحدة منهما أو أكثر . وذلك إذا فعل مصيباً به الغرض في الوقوع على الفضائل . ومقصراً عن المدح الجامع لها ، لكنه يجود المديح حينئذ كلما أغرق في أوصاف الفضيلة ، وأتى بجميع خواصها أو أكثرها . وذلك مثل في الجرأة والإقدام ، كما قال الفرزدق لسالم الغداني ، حين قتل قاتل أخيه ، العائد بجوار عبد الملك :

إذا كنتَ في دارٍ تخافُ بها الردى فصمَّ كتصميمِ الغداني سالم^(٢)
سخطاً طلباً للوتر نفساً بموته فمات كريعاً عائفاً للملايم^(٣)
نقى ثياب الذُّكر من دنس الخنا يُناجى ضميراً مستدفً الغزائم^(٤)
إذا هم أقرى ما به هم ماضياً على الهول طلاعاً ثنايا العظام
ولما رأى السلطانَ لا ينعونه قضى بين أيديهم بأبيض صارم

وقد ينبغي أن يعلم أن مدائح الرجال ، وهي التي صمدنا للكلام في هذا الباب ، تنقسم أقساماً بحسب الممدوحين من أصناف الناس ، في الإرتفاع والإرتضاع ، وضروب الصناعات ، والتبدي

(١) المقصود : من لا يقدر أن يقول شعراً . والمعنى أن ممدوحه قد بلغ من كثرة جوده وكرمه على مادحيه أن كلف بقول الشعر من هو عاجز عن قوله . وبلغ من عدله أن رخص ثمن السلاح لعدم الاحتياج إليه .

(٢) رجل من بني غدانة بن يربوع قتل أخوه وكان لقاتله ناحية في السلطان فشد عليه فقتله .

(٣) سخى : كرم وبذل المال . والعائف : الكاره .

(٤) استدفاف الامر : تهيوؤه .

والتحضر : وأنه يحتاج إلى الوقوف على المعين بمدح كل قسم من هذه الأقسام :

فأما إصابة الوجه في مدح الملوك فمثل قول النابعة الذبياني في النعمان بن المنذر :

ألم تر أن الله أعطاك سورة^(١) ترى كل ملك دونها يتذبذب^(٢)
فإنك شمس^(٣) والملوك كواكب^(٤) إذا طاعت لم يبدُ منهن كوكب

ومثل ذلك قول نصيب في سليمان بن عبد الملك :

أقول لركب قافلين لقيتهم^(٥) قفنا ذات أوشال^(٦) ومولاك قارب^(٧)

القفا : الثنية وهي العقبة . والعرب تقول لقيت فلاناً قفا الثنية أي خلف الثنية :

قيفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفه من أهل ودان طالب^(٨)
فعاوجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق^(٩)
هو البدر والناس الكواكب حولته وهل يشبه البدر المنير الكواكب

ومثل قول الخزيم الكناني في عبد الله بن عبد الملك بن مروان وقد وفد عليه وهو عامل بمصر :

لما وقفت عليه في الجموع ضحى^(١٠) وقد تعرضت الحجاب والخدم^(١١)
حييته بسلام وهو مرتفق^(١٢) وضجعة القوم عند الباب تردحم

(١) السورة : القوة والسلطان . والملك يسكون اللام الملك بتحريكها .
(٢) قفا بفتح القاف : وراء . الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل .
ذات أوشال : موضع . قارب : طالب الماء ليلاً ولا يقال ذلك لطالب الماء نهاراً . وفي التهذيب : القارب : الذي يطلب الماء ولم يعين وقتاً . ويريد بالمولى نفسه . والخطاب للخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك . ونصيب : شاعر أموي مشهور .

(٣) نسبت هذه القصيدة للفرزدق بمدح علي بن زين العابدين بن الحسين حين سأل عنه هشام بن عبد الملك .

في كفته خيزران ريجها عبق^(١) في كف أروع في عرينه شمس^(١)
 يغضى حياء ويغضى من مهابتة فما يكلّم إلا حين يتسم
 كلتا يديه ربيع غير ذي خلف^(٢) هذي خروج وهذي عارض همم^(٢)

ومثل قول أبي العتاهية في الهادي^(٣) :

يضطرب الخوف والرّجاء إذا حرك موسى القضيب أو فكّر

فأما مدح ذوي الصناعات : كأن يمدح الوزير والكتاب بما
 يليق بالفكرة والروية وحسن التنفيذ والسياسة . فإن انضاف إلى
 ذلك الوصف السرعة في إصابة الخزم ، والإستغناء بمخـصـور
 الذهن عن الإبطاء لطالب الإصابة كان أحسن وأكمل للمدح
 كما قال أشجع^(٤) :

بديته مثل تفكيره متى رمته فهو مستجمع

وكما قال منصور النمري^(٥) :

وليس لأعباء الأمور إذا اعترت بمكرث لكن لمن صبور
 يرى ساكن الأوصال باسط وجهه يريك الهوينا والأمور تطير^(٦)

(١) الخيزران : العود اللدن ، يريد أن العصا التي يمسكها طيبة
 الرائحة لأنها تستمد طيبها من طيب كفته . الأروع : من يعجبك بحسنه
 وشجاعته . عرينه : أنفه . شمس : ارتفاع وحسن وهو من علامات السيد
 الشريف .

(٢) ربيع ، ويروى : غياث : أي نجدة : ومعونة . غير ذي خلف :
 يروى أيضا عم نفعهما .

(٣) أبو العتاهية شاعر عباسي مشهور اشتهر بزهدياته توفي عام ٢١١هـ ،
 والهادي خليفة عباسي ملك عاما واحدا (١٦٩ - ١٧٠ هـ) .

(٤) أشجع السلمي شاعر عباسي مشهور من شعراء عصر الرشيد .

(٥) من شعراء عصر الرشيد والمامون .

(٦) الاوصال : المفاصل أو مجتمع الاعظام جمع وصل بكسر الواو
 وضمها .

وأما مدح القائد في ما يجالس البأس والمنجدة ويدخل في باب
شدة البطش والبسالة فإن أضيف إلى ذلك المدح الجود والسماحة
والتخرق في البذل والعطية كان المديح حسناً والنعت تاماً .
إذا كان السخاء أخا الشجاعة . وكان في أكثر الأمور
موجودين في بعداء الحمم . وأهل الإقدام والصولة . وذلك كما
قال بعض الشعراء في جمع البأس والجود :

ففي دهره شطران فيما ينوبه ففي بأسه شطراً وفي جوده شطراً^(١)
فلا من بغاة الخير في عينه قذى ولا من زئير الحرب في أذنه وقر^(٢)

وكما قال منصور النمري في إفراذه ذكر البأس وحده :

ترى الخيل يوم الحرب يقامان تحته وتروى القنا في كفه والمناصل^(٣)
حلالاً لا طراداً الأستة نحرها حراماً عليها مستنها والكواهل^(٤)

وكما قال بشر بن برد :

ألا أيها الحاسدُ المبتغى نجوم السماء بسعى أم^(٥)
سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطلبها لست ثم^(٦)
إذا عرض اللهو في صدره لها بالعطاء وضرب البهم^(٧)

(١) البأس : الشدة في الحرب - والبيت لابي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي .

(٢) بغاة الخير : البغاة جمع مفرد باغي وهو الطالب . الزئير : الصوت . الوقر : ثقل في الاذن يسبب عدم السمع ومنه قوله تعالى (كان لم يسمعها كان في أذنيه وقرا) ، أي ثقلاً .

(٣) القنا : الرمح . والمناصل السيوف .
(٤) متنها المتن . الظهر . الكواهل : جمع كاهل وهو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق وهو الثلث الأعلى فيه .

(٥) الامم محرقة : القرب .
(٦) ثم : اسم يشار به بمعنى هناك للمكان البعيد ظرف لا يتصرف ، والمعنى أنك بعيد عنها ولست أهلاً لها .
(٧) البهم : الرجل الشجاع .

يلذ العطاء وسفك الدماء ويغدو على نعم أو نِقِيمٌ
فقل للخليفة إن جئتُـه نصحاً ولا خير في متهم
إذا أيقظتك حروب العدى فنيه لها عمراً ثم نم
فنى لا ينام على ثأره ولا يشرب الماء إلا بدم^(١)

وأما مدح السوقة من البدو والحاضرة فينقسم قسمين : بحسب
انقسام السوقة : إلى المتعيشين بأصناف الحرف وضروب المكاسب
وإلى الصعاليك والحراب والمتلصصة ومن جرى مجراهم .
فمدح القسم الأول يكون بما يضاوي الفضائل النفسانية التي
قدمنا ذكرها خالياً من مدح الملوك ومن قدمنا ذكره من
الوزراء والقواد . وذلك مثل قول الشاعر :

يتراحمون ، ذوو يسارهم يتعاطفون على ذوي الفقر
وذوو يسارهم كأنهم من صدق عفتهم ذوو وع^(٢)
متحملين لطيب خيمهم لا يهلعون لنبوة الدهر^(٣)

ومدح القسم^(٤) الثاني يكون بما يضاوي المذهب الذي يسلكه
أهله من الإقدام والفعل والتشمير والجد واليقظ والصبر
مع التخرق والسماحة وقلة الإكتراث للخطوب الملمة كما
قال تأبط شراً يمدح صخر بن مالك^(٥) :

وإني لمهد من ثنائي فقاصد^(٦) به لابن عم الصديق صخر بن مالك^(٦)

- (١) كناية عن كثرة حروبه وشدة بأسه .
(٢) ذوو وع : مالهم قليل ، ويقال الرجل وقع في وع أي قل ماله .
(٣) الخيم الشيمة والخلق والسجية ، وقيل الخيم الأصل : نبوة الدهر :
جفوته .
(٤) وهم الصعاليك ومن في حكمهم .
(٥) تأبط شراً : من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي .
(٦) مهد : من أهديت . لابن عم الصديق : متعلق بمهد . والمهدى محذوف
لعلم السامع به أي ثناء أو قصيده .

أهزُّ به في ندوة الحمي عطفه
لطيفُ الحوايا يقسمُ الرّاد بينه
كأنّ به في البرد أثناء حية
يظلُّ بمومة ويمسى بغيرها
ويسبق وفد الريح من حيث تنتحي
إذا خاط عينه كرى النوم لم يزل
وإن طلعت أولى العداة فقرة
إذا هزّه في وجهه قرن تهلّت

كما هزّ عطفي بالهجان الأوارك^(١)
سواء وبين الذئب قسم المشارك^(٢)
بعيد الخطى شتى الهوى والمسالك^(٣)
جحيشاً ويعروري ظهور المعارك^(٤)
بمنخرق من شدة المتدارك^(٥)
له كالىء من قلب شيحان فاتك^(٦)
إلى سلة من صارم الغرب باتك^(٧)
نواجذه أفواه المنايا الضواحك^(٨)

وقال أبو كبير الهزلي :

ولقد سرّيتُ على الظلام بمغشم
جلدٍ من الفتيان غير مثقل^(٩)

(١) الندوة : النادي . عطفه : عطف كل شيء جانبه ، وقيل العنق كما في قوله تعالى « ثاني عطفه » أي عنقه ، وقيل خصره . الهجان الأوارك : التي ترعى الأراك وهو نوع من الشجر .
(٢) الحوايا : أي الأمعاء .

(٣) شتى : المتفرق وتشتت الشيء تفرقه والاشتات جمع شت . المسالك : الطرق ويروى البيت برواية أخرى هي :

قليل التشكسي للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك
(٤) المومة : المغارة التي لا ماء فيها وجمعها موام . جحيشاً : وحيداً . أي منفرداً . ويعروري ظهور المعارك : أي يركبها ويروى ظهور .
(٥) وقد الريح : أولها . المنخرق : السريع . المتدارك : المتلاحق .

(٦) الكرى : النوم الخفيف وإضافة الكرى إلى النوم كما يضاف البعض إلى الجنس . شيحان : حازم . الفاتك : هو الذي يفاجئ غيره بمكرهه .
(٧) العداة . الرجالة يعدون أمام الخيل : الباتك القاطع .

(٨) في وجهه قرن ويروى في عظم قرن أي لا يتعرض له إلا من يقارنه بأساً وشدة . تهلّت نواجذه ، مجاز ، والهلل : الضحك شبه تهلل البرق ولمعانه .

(٩) على الظلام أي وقت الظلام . المغشم : من الغشم وهو الظلمة .
الجلد : الصلب القوي . غير مثقل : حسن القبول .

- مَنْ حَمَلَنَ بِهِ وَهْنٌ عَوَاقِدُ
 حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْوُودَةٍ
 فَأَتَتْ بِهِ حَوْشَ الْفَوَادِ مَبْطَنًا
 وَمَبْرَأً مِنْ كُلِّ غُبَرٍ حَيْضَةٍ
 مَا أَنْ يَمْسُ الْأَرْضَ إِلَّا مَنَكَبٌ
 وَإِذَا انْتَبَهَتْ مِنَ الْمَنَامِ رَأَيْتَهُ
 فَلِذَا طَرَحَتْ لَهُ الْحِصَاةَ رَأَيْتَهُ
 وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفَجَاجَ رَأَيْتَهُ
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسْرَةٍ وَجْهَهُ
 حَبُكَ النَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَيَّلٍ (١)
 كَرُهَاً وَعَقْدٌ نَطَاقُهَا لَمْ يَحْلَلِ (٢)
 سَهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوَجْلِ (٣)
 وَفَسَادٍ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مَغِيلٍ (٤)
 مِنْهُ وَحَرْفِ السَّاقِ طَيِّءِ الْمَحْمَلِ (٥)
 كَرَسُوبٍ كَعَبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزَمَلٍ (٦)
 يَنْزُو لَوْقَتَهَا نَزْوٌ الْأَخْيَلِ (٧)
 يَنْضُو مَخَارِمَهَا هَوًى الْأَجْدَلِ (٨)
 بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ (٩)

(١) مَمَّنْ حَمَلْنِ : الضمير للنساء . حَبُكَ النَّطَاقِ : المسراد به حبك الثياب لان النطاق لا يكون له حبك . والحبك واحدها حببك . والمعنى أنه من الفتيان الذين حملت أمهاتهم بهم وهن غير مستعدات للفراش .

(٢) مَزْوُودَةٌ : من الزُود : الذعر . كَرُهَا : كَارِهَةٌ . النَّطَاقُ مَا تَنْتَقِلُ بِهِ الْمَرْأَةُ تَشَدُّ بِهِ وَسَطُهَا لِلْعَمَلِ وَذَاتِ النَّطَاقِينَ أَسْمَاءُ بَنَتْ أَبِي بَكْرٍ . والمعنى أنها أكرهت ولم يحل نطاقتها .

(٣) حَوْشُ الْفَوَادِ : وحشيه لحدته وتوقده ، ورجل حَوْشَى لَا يَخَالُطُ النَّاسَ وَلَيْلُ حَوْشَى مَظْلَمٌ هَائِلٌ : مَبْطَنٌ : خَمِيصُ الْبَطْنِ الْهَوَجْلِ : الثَّقِيلُ الْكَسْلَانُ وَقِيلَ الْأَحْمَقُ .

(٤) غَيْرِ الْحَيْضِ : بَقَايَاهُ وَيُرْوَى مَبْرَأً بِالنَّصْبِ وَمَبْرِئٌ بِالْجَرِّ فَالْنَّصْبُ عَطْفٌ عَلَى غَيْرِ مُهَيَّلٍ وَالْجَرُّ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ جَلَدٌ مِنَ الْفَتَيَانِ . وَفَسَادٌ مُرْضِعَةٌ : أَضَافَ الْفَسَادَ إِلَى الْمُرْضِعَةِ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْفَسَادَ الَّذِي يَكُونُ مِنْ جَهْتِهَا مَغِيلٌ : الْمَغِيلُ مِنَ الْغِيلِ وَهُوَ أَنَّهُ نَفْسُ الْمَرْأَةِ وَهِيَ تَرْضَعُ بِذَلِكَ اللَّبَنَ الْغِيلُ : وَيُرْوَى وَدَاءٌ مَعْضَلٌ وَهُوَ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ كَأَنَّهُ أَعْضَلُ الْأَطْيَاءِ .

(٥) الْمَحْمَلُ : حَمَالَةُ السَّيْفِ .

(٦) وَإِذَا انْتَبَهَتْ مِنَ الْمَنَامِ ، يُرْوَى : وَإِذَا يَهَبُ مِنَ الْمَنَامِ ، وَالْمَعْنَى : إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ انْتَصَبَ انْتَصَابَ كَعَبِ السَّاقِ .

(٧) طَرَحَتْ . نَبَذَتْ . رَأَيْتَهُ : جَوَابُ إِذَا رَأَيْتَهُ . نَزْوُ الْأَخْيَلِ وَيُرْوَى طُمُورُ الْأَخْيَلِ ، وَالطُّمُورُ : الْوُثُوبُ .

(٨) الْفَجْجُ : الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ فِي الْجَبَلِ وَنَحْوِهِ وَالْجَمْعُ فَجَاجٌ . الْمَخَارِمُ : جَمْعُ مَخْرَمٍ وَهُوَ مَنْقُطَعُ أَنْفِ الْجَبَلِ . وَالْخَرَمُ : أَنْفُ الْمَجْمَلِ الْأَجْدَلِ : الصَّقَرُ .

(٩) الْأَسْرَةُ : جَمْعُ صَرَارٍ وَهِيَ الْخَبُوطُ الَّتِي فِي الْوَجْهِ الْعَارِضُ : مَنْ السَّحَابُ الَّذِي يَعْضُضُ فِي جَانِبِ السَّمَاءِ . وَالْمَعْنَى يَصْفَقُهُ بِحَسَنِ الطَّلَعَةِ وَطَلَاةِ الْوَجْهِ .

نحني الصحاب إذا تكون كريمة^(١) وإذا هم أزموا فمأوى العييل^(٢)

ثم نعقب الكلام في المديح بالكلام في الهجاء .

٢ - نعت الهجاء

إنه قد سهل السبيل إلى معرفة وجه الهجاء وطريقه مما قدم في قولنا في باب المديح وأسبابه ، إذ كان الهجاء ضد المديح فكلما كثرت أصداد المديح في الشعر كان أهجى له ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الأهاجي فيها وكثرتها ، فمن الهجاء المقذع الموجه ما أنشدناه أحمد بن يحيى :

كأثر بسعدٍ إنَّ سعداً كثيرة^(٣) ولا تبغ من سعد وفاء ولا نصراً^(٤)
ولا تدعُ سعداً للقراع وخلطها إذا أمنت من روعها البلد الفقراً^(٥)
يروعك من سعد بن عمرو جوسمها وتزهدُ فيها حين تقتلها خيراً

فمن إصابة المعنى في هذا الهجاء أن هذا الشاعر سلم لهؤلاء القوم أمرين يظن أنهما فضيلتان ، وليستا بحسب ما وصفناه من الفضائل فضيلتين ، وهما : كثرة العدد وعظم الخلق ، وغزا بذلك مغازي دلت على حذقه في الشعر :

فمنها : أن أدخل لهم هجاء في باب الأقوال الصادقة لإعطائه إياهم شيئاً ومنعه لهم شيئاً آخر وقصده بذلك أن يظن أن قوله فيهم إنما هو على سبيل الصدق وذكره إياهم بما فيهم من جيد ورديء .

(١) العيل جمع عائل : وهو الفقير .

(٢) الكاثر : الكثير وعدد كاثر كثير ، يقول الاعشى :

ولست بالاكثر منهم حصي وإنما العزة للكاثر

(٣) القراع : القتال . خبرا : اختبارا . خبره بالضم وخبرة بالكسر :

بلاء .

ومنها : ما بان من معرفته بالفضائل حتى يميز صحيحها من باطلها فلم الباطلة ومنع الصحيحة .

ومنها : أنه قطع عن هؤلاء القوم ما يعتذر به الكرام من قلة العدد ، فإن الكرام أبدأ فيهم قلة ، كما قال السموأل :
تعيرني أنا قليلٌ عبدنا فقلت لها إن الكرام قليلٌ^(١)

ومن خبيث الهجاء ما أنشدناه أحمد بن يحيى أيضاً :

إن يغدروا أو يقجروا أو ييخلوا لا يحفلوا
يغدوا عليك مُرجلين كأنهم لم يفعلوا

فمن جودة هذا الهجاء أن الشاعر به نعمد أضداد الفضائل على الحقيقة فجعلها فيهم لأن الغدر ضد الوفاء والفجور ضد الصدق والبخل ضد الجود ثم أتى بعد ذلك بضد أجل الفضائل وهو العقل حيث قال : وغدو عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا ، لأن هذا الفعل إنما هو من أفعال أهل الجهل والبهيمة والقحة التي هي من عمى القوة المثيرة كما قال جالينوس في كتابه في أخلاق النفس .

ولزياد الأعجم في غياض بن حصين بن المنذر :

وسميت غيَاضاً ولست بغائِظٍ عدواً ولكن للصدِيقِ تَغِيظُ
عدوُّكَ مسرورٌ وذو الردِّ للذي يرى بك من غيظٍ عليك كظايظ^(٢)
تسمي لما أوليت من صالحٍ مضى وأنت لتعدادِ الذُّنوبِ حفيظُ

(١) تعيرنا : يقال غيرته كذا وهو المختار . وقد جاء غيرته بكذا . ان الكرام قليل : نعم ان الكرام قليل ولهذا نجد أن الموت يعتامهم وولوع الدهر بهم وتضحيتهم في الدفاع عن أحسابهم واهانة كرائم نفوسهم مخافة لزوم العار لهم .

(٢) كظايظ : المقتاظ اشد الغيظ .

تَلِينَ لِأَهْلِ الْغِيلِ وَالْفُلْرِ مِنْهُمْ وَأَنْتَ عَلَى أَهْلِ الصَّفَاءِ فَظِيظُ^(١)

ومن الهجاء أيضاً ما تجمل المعاني كما يفعل في المدح ، فيكون ذلك حسناً إذا أصيب به الغرض المقصود ، مع الإيجاز في اللفظ وذلك مثل قول العباس بن يزيد الكندي في مهاجاته جريراً ، ومعارضته إياه ، في قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميمٍ حسبت الناس كلهم غضابا
لو اطلع الغرابُ على تميمٍ وما فيها من السوءاتِ شأبا^(٢)

ومثل قول مرة بن عداء الفقعسي :

وإذا تسرَّك من تميمٍ خصلةٌ فلما يسوءك من تميمٍ أكثرُ
وقول الآخر :

ويقضى الأمرُ حينَ تغيب تميمٍ ولا يستأذنونَ وهمُ شهودُ
وللحكيم الحضري :

ألم تر أنهم رقيموا بلئومٍ كما رقيمت بأذرُعها الحميرُ^(٣)
ومثل قول أعشى باهلة :

بنو تميمٍ قرارة كلِّ لؤمٍ لكل مصب سائلة قرار^(٤)

وقد تبع أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الأعشى في هذا المعنى فقال :

(١) الغمر : الكريم الواسع الخلق • فظيظ : سيء الخلق • الغل : الحقد .
(٢) السرواة : الفاحشة والخلة القبيحة .
(٣) رقيموا بلئوم : أي عرفوا وتميزوا به كما تخطط الحمير بالكي بالنار وبذلك تعرف بهذا الكي .
(٤) القرارة : ما يقر فيه .

أضحوا بمستن سيل اللؤم وارتفعت أموالهم في هضاب المطل والعلل^(١)

ومثل قول الآخر :

لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو أسد

ومثل قول الآخر :

قوم إذا ما جنى جانيهم أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قوداً^(٢)

ومثل قول زياد الأعجم :

إنني لأكرم نفسي أن أكلفها هجاء جرم ولما يهجم أحد^(٣)
ماذا يقول لهم من كان حاجيهم لا يبلغ الناس ما فيهم وإن جهدوا

ومثل قول أوس بن معزة :

فلست بعاف عن شتيمة عامر ولا حابسي عما أقول وعيدها^(٤)
تري اللؤم ما عاشوا جديداً عليهم وأبقى ثياب اللابسين جديدها
لعمرك ما تبلى سراويل عامر من اللؤم ما دامت عليها جلودها

هذه الأبيات قالها أوس وهو يهاجي النابغة الجعدي ، فيقال إن النابغة كان يقول إني وأوساً نبتدر بيتاً فمن قاله غلب على صاحبه فلما قال أوس البيت الأخير قال هذا هو البيت الذي كنا نبتدره فغلب أوس عليه .

ومثل قول عباس بن مرداس السلمى في سفيان بن عبد يغوث النصرى :

وأ وعد وقل ما شئت إنك جاهل على أما أنت امرؤ من بني نصر

(١) المعنى أن أموالهم متحصنة بحيث لا يراها السائلون .

(٢) القود : القصاص .

(٣) جرم : بطن من بطون طيء أو هي بطن من بطون قضاة . جهدوا : بلغوا نهاية طاقتهم ووسعهم في الهجاء . زياد : شاعر أموي مشهور توفي عام ١٢٠ هـ .

(٤) عامر : هي قبيلة النابغة الجعدي .

وما أجود ما قال الفرزدق في عبدالله بن عمير الليثي حيث
هرب من أبي فديك الخارجي وكان يتمنى لقاء الخوارج .

تَمَنَيْتَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتَهُمْ تَرَكْتُ لَهُمْ عِنْدَ الْجِلَادِ السَّرَادِقَا^(١)
وَأَعْطَيْتُ مَا تَعْطِي الْحَلِيلَةَ بَعْلَهَا وَكُنْتُ حِبَارَى إِذْ رَأَيْتَ الْبُورَاقَا^(٢)

وفي قوله « ما تعطي الحليلة بعلمها » مع إيجازه عجائب ،
وكذلك في قوله « حبارى » .

ومنه من يفرط في ذكر نقيصة واحدة كما يغلو عند المدح
في فضيلة واحدة ، فمن ذلك للحطيفة يفرق في ذكر البخل وحده :

كَدَدْتُ بِأُظْفَارِي وَأَعْمَلْتُ مَعُولِي فَصَادَفْتُ جَلْمُودًا مِنَ الصَّبَرِ أَمْلَسَا^(٣)
تَشَاغَلَ لَمَّا جِئْتُ فِي وَجْهِ حَاجَتِي وَأَطْرَقَ حَتَّى قَلْبٌ قَدْ مَاتَ أَوْ عَسَى
وَأُجْمَعْتُ أَنْ أَنْعَاهُ حِينَ رَأَيْتَهُ يَفُوقُ فُوقَ الْمَوْتِ حَتَّى تَنْفَسَا^(٤)
فَقُلْتُ لَهُ لَا بَأْسَ لَسْتُ بِعَائِدٍ فَأَفْرَخُ تَعْلُوهُ السَّمَادِيرُ مَلْبَسَا^(٥)

ولحرير في ذكر العجز وحده :

وَلَا يَتَقَوْنَ الشَّرَّ حَتَّى يَصِيبَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا مِنَ النَّذْرِ^(٦)

ثم ينظر أقسام المديح وأسبابه فيجري أمر الهجاء بحسبها في
المراتب والدرجات والأقسام ، ويلزم ضد المعنى الذي يدل عليه
إذ كان المديح ضد الهجاء ولنتبع القول في الهجاء بالقول في
المرائي .

-
- (١) الجِلَاد : القتال • السَرَادِق : الذي يمد فوق صحن البيت •
(٢) الحِبَارَى : طائر للذكر والانثى • البُورَاق : السيوف •
(٣) كَدَدْتُ : اجتهدت • مَعُولِي : فأسِي •
(٤) يَفُوقُ فُوقًا : يحرّج صوته •
(٥) فَأَفْرَخُ : هداً وسكن روعه • السَّمَادِير : ضعف البصر •
(٦) النَّذْر : النحب والارش جمعه نذور والنذر لا تكون الا في الحراج
صفارها وكبارها •

ليس بين المراثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك ، مثل : كان ، وتولى ، وقضى نحبه ، وما أشبه ذلك ^(١) . وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه ، لأن تأييد الميت إنما هو بمثل ما كان كان يمدح في حياته ، وقد يفعل في التأييد شيء ينفصل به لفظه عن لفظ المدح بغير كأن وما جرى مجراها ، وهو أن يكون الحي مثلاً يوصف بالجوود ، فلا يقال كان جواداً ولكن يقال ذهب الجود أو فمن للوجود بعده أو ليس الجود مستعملاً مذ تولى ، وما أشبه هذه الأشياء ، كما قالت ليلي الأخيلية ^(٢) ترثي توبة ^(٣) بن الحمير بالنجدة على هذه السبيل :

فليس رجالُ الحرب يأتون بعدها بعارٍ ولا غادٍ بركب مسافر

ومن الشعر من يرثي بذكر بكاء الأشياء التي كان الميت يزاولها ، وغير ذلك ، ومثله يحتاج إلى تعلم صحة هذا المعنى ، في مثل ما تكلم به في مثل هذه الأشياء ، فإنه ليس من إصابة المعنى أن يقال في كل شيء تركه الميت بأنه يبكي عليه ، لأن من ذلك ما إن قيل إنه بكى عليه لكان سيئة وعيباً لاحقين له .

فمن ذلك مثلاً إن قال قائل في ميت : بكى الخيل إذ لم تجد لها فارساً مثلك كان مخطئاً ، لأن من شأن ما كان يوصف في حياته بكده إياه أن يذكر اغتباطه بموته ^(٤) وما كان في حياته يوصف بالإحسان إليه أن يذكر اغتمامه بوفاته ، ومن ذلك إحسان الخنساء في

(١) هذا خطأ من قدامة فالتجربة الشعرية في الرثاء غيرها في المدح .

(٢) شاعرة أموية مشهورة توفيت عام ٨٠ هـ .

(٣) توبة الخفاجي شاعر أموي توفي عام ٦٧ هـ .

(٤) ليس ذلك ضرباً لازماً في كل حال .

مرأيتها صخوراً وإصابتها المعنى ، حيث قالت تذكر اغتباط حذفة فرس
بموته :

فقد فقدتلك حذفة فاستراحت فليت الخيل فارسها يراها^(١)

ولو قالت : فقدتلك حذفة فبكت ، لأخطأت ، وبكاء من يجب
أن يبكي على الميت إنما هو من كان يوصف إذا وصف في حياته
بإغائته والإحسان إليه كما قال كعب بن سعد الغنوي في مرثية أخيه :

ليبكك شيخ لم يجد من يُعينه وطاوي الحشا نائي المزار غريب^(٢)

وكما قال أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الأسدي :

ليبكك الشرب والمدامة والفتيان طراً وطامعاً طمعا^(٣)
وذات هدم عار نواشرها تصت بالماء تولبا جندا^(٤)
والحي إذ حاذروا الصباح وإذا خافوا مغيرا وسائراً تلعا^(٥)

فيجب أن يتفقد مثل هذا في إصابة الغرض والانحراف عنه .

وإذا قد تبين بما قلنا آنفاً أنه لا فضل بين المديح والتأين إلا في
اللفظ دون المعنى ، فإصابة المعنى به ومواجهة غرضه هو أن يجري

(١) حذفة : اسم فرس صخر : والمعنى لبيتك ترى الآن ما صارت اليه
فرسك من الراحة والقوة والسمن لأنها استراحت من غزو صخر عليها .

(٢) الحشا : ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وغيره . والمعنى :
طاوي الحشا من شدة الجوع . نائي المزار : بعيد .

(٣) الشراب : بالفتح جماعة الشاربين . المدامة : الخمر . طرا : جميعاً .

(٤) ذات هدم : أي خلق بالية . عار نواشرها : أذرعها عارية . التولب :
ولد الجحش الصغير . جدعا : سيء الغذاء .

(٥) حاذروا الصباح : خافوا من مجيئه لأنه وقت اغارة وحرب وهم
قد فقدوا شجاعهم والمدافع عنهم . تلعا : طويل الظهر أو العنق .

الأمر فيه على سبيل المديح ^(١) . فمن المراثي التي تشبه في المديح استيعاب الفضائل التي قدمنا ذكرها ، والأبيات عليها مثل قول كعب ابن سعد الغنوي يرثي أخاه :

لَعَمْرِي لَنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مُصِيبَةً أَخِي وَالْمَنَايَا لِلرِّجَالِ شَعُوبٌ
لَقَدْ كَانَ أَمًّا حَلَمَهُ فَمَرَّوحٌ عَلَيْنَا وَأَمًّا جَهْلُهُ فَغَرِيبٌ
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ هَيُوبٌ ^(٢)

فقد أتى في هذه الأبيات بما وجب أن يأتي به في المراثي ، إذ أصاب بها المعنى ، وجرت على الواجب ، أما في البيت الأول فتذكر ما يدل على أن الشعر مرثية لهالك لا مديح لباقي ، وأما في الأبيات الأخرى [فقد بكى فيه الصفات] الأربع التي هي العقل والشجاعة والعفة والحلم ثم افتن كعب في هذه المرثية بعد ذلك وزاد في وصف بعض الفضائل ما لم يخرج به عن استقامة ، وهو قوله :

حَلِيمٌ إِذَا مَا سُورَةُ الْجَهْلِ أَطْلَقَتْ حَيًّا الشَّيْبَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ غُلُوبٌ ^(٣)
كَعَالِيَةِ الرَّمْحِ الرُّدْيِيِّ لَمْ يَكُنْ إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ الْعَلَاءَ يَخِيبٌ ^(٤)
فَإِنِّي لِبَاكِهِ وَإِنِّي لَصَادِقٌ عَلَيْهِ وَبَعْضُ الْقَاتِلِينَ كَذُوبٌ
لِيَبْكَكَ شَيْخٌ لَمْ يَجِدْ مِنْ يُعِينُهُ وَطَاوِي الْحِشَاءِ نَائِي الْمَزَارِ غَرِيبٌ
جَمُوعٌ خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِذَا جَاءَ جِيَاءٌ بِهِنَّ ذُهُوبٌ ^(٥)
فَتَى لَا يَبَالِي أَنْ يَكُونَ لِحِجْمِهِ إِذَا نَالَ خِلَائَتِ الْكَرَامِ شُحُوبٌ
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحَلْمُ زِينٌ لِأَهْلِهِ مَعَ الْحَلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيبٌ

(١) هذا خطأ من أساسه ، فالفرق كبير جدا بين المدح والثناء .

(٢) هيوب : محاذر كثير الخوف والاحجام .

(٣) سورة الجهل : شدته . اللجوج : المترددة المتمادية في ما هي عليه .

(٤) عالية الرمح : أعلاه .

(٥) جموع خلال الخير : مسرع اليه . جياء : كثير المجيء .

إذا ما تراءاه الرجال تحفظوا فلم ينطفوا العوراء وهو قريب^(١)

ومثل قول أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الأسدي بجميع الفضائل التي ذكرناها إلا العفة وحدها ، فإنه ترك ذكرها ، إلا أنه في بعض القصيدة وصفه بالكمال ، وفي الكمال كل فضيلة من العفة وغيرها .

أبا دليجة من يكفي العشيرة إذ أمسوا من الخطب في نار وبلبال^(٢)
أم من يكون خطيب القوم إذ حفلوا لدى الملوك ذوي أيد وإفضال
أم من لأهل لواء في مسكعة من حصهم لبسوا حقاً بأبطال^(٣)
أم من لحى أضاعوا بعد أمرهم بين القسوط وبين الدين زلزال^(٤)
فرجت غمتهم وكنت معينهم حتى استقرت نواهم بعد تزوال^(٥)

فقد رثاه في هذه الأبيات بما جانس العقل والرأي واللسان ونحو ذلك ، وقال :

أبا دليجة من يوصي بأرملسة أم من لأشعث ذي طمرين طملال^(٦)
وما خليج من المراز ذو حذب يرى الضرب بنحش الأيك والضال^(٧)
يوماً بأجود منه حين تسأله ولا مغب ببحر بين أشبال^(٨)

-
- (١) التحفظ : قلة الغفلة في الامور والتميقظ من القطة كأنه لى حذر .
(٢) البلبال : شدة الهم والوساوس .
(٣) المسكعة : المضلة من الارضين لا يهتدي فيها لوجه الامر لبسوا : خلطوا .
(٤) القسوط : الجور والعدول عن الحق .
(٥) نواهم : اقامتهم .
(٦) الطمر : بالكسر الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف جمعه اطمار . الطملال : العاري من الثياب والفقير السوء الحال القبيح الهيئة .
(٧) الايك : الشجر الملتف الكثير . الضال : نوع من الشجر أو الدر البري .
(٨) المغب : الاسد . البرح : الشدة والشر . الاشبال : جمع مفردة شبل وهو ولد الاسد اذا أدرك الصيد .

ليثٌ عليه من البردي هيرية كالمرزباني عيسار بأوصال^(١)
يوما بأجراً منه جدد بادره على كي بمهد الحد فصّال

وقد رثاه في هذه الأبيات بما جانس البذل والجود والسماحة
والشجاعة ولم يذكر العفة ، إلا أنه قال في أول القصيدة :

أم حصان فلم تضرب بكاتها قد طفت في كل هذا الناس أحوالي
أي امرئ سوقه ممن سمعت به أندي وأكمل منه أي إكمال

وقال أوس [بن حجر] يرثي فضالة :

أبتها النفس أجمل جزعاً إن الذي تحذرين قد وقعاً
إن الذي جمع السماحة والنجدة والبأس والتدنى جُمعا
الأملي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعاً^(٢)

فقد جمع في هذه المراثية جميع الفضائل ووضع الشيء من ذلك
مواضعه .

ومن المراثي التي تشبه في المديح اقتضاب المعاني واختصار الألفاظ
ما قاله أوس في قصيدته يرثي فضالة التي أولها :

ألم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم والقمر الواجب
هلك فضالة لا تستوي الفقد ولا خاسة الذهاب
وأفضلت في كل شيء فما يقارب معيك من طالب

(١) الهيرية ما يتناثر من البردي فيبقى في شعره متلبداً . عيار : هو
الذي يذهب بأوصال الرجال إلى أجمته .

(٢) الأملي : قال صاحب اللسان هو الداهية الذي يتظن الأمور فلا
يخطئ . وقيل : هو الذكي المتوقد الحديد اللسان والقلب ، وقال الأزهري :
الأملي : الخفيف الظريف .

نجيحٌ مليحٌ أخو مآقط ثقابٌ يحدثُ بالغائبِ (١)
ويكفي المقالة أهل الرجال غيرَ معيب ولا عائب

وليس ينبغي للناظر أن يظن خطأ في وضع مليح موضع المدح
بالفضائل النفسية ، لأن مليحاً في هذا الموضع ليس هو من قولهم
« قريش ملح الناس » أي يستشفي بهم ، والذي يشهد بصحته قوله
ثقاب يحدث بالغائب لأن هذا من جنس الرأي والحدث .

وقال الشماخ في عمر بن الخطاب :

فمن يسع أو يركب جناحي نعامه ليُدرك ما قدمت بالأمس يُسبق (٢)

وقول الخطيئة (٣) يرثي علقمة بن علاثة :

فما كانَ ببني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليال قلائل
ولو عشتَ لم أملل حياتي فإن تمت فما في حياةٍ بعد موتك طائل (٤)

ومنهم أيضاً من يفرق في وصف فضيلة واحدة على حسب ما
تقدم ، وتكون جميع الأحوال في المراتي جارية على حسب أحوال
المديح وفي ما تقدم في باب المديح في وصف ذلك ما أغنى عن إعادته
في هذا الموضع ، وليل كلامنا في المراتي الكلام في التشبيه .

(١) ثقاب : ذكي . رجل نجيح : منجح الحاجات ، ورأي نجيح صواب .
المآقط : الشدة .

(٢) فمن يسع أو يركب الخ : من يكلف لحاقله كان سبقاً وضرب
المثل بجناحي النعام لأنه يضرب به المثل في خفة العدو .

(٣) شاعر مخضرم توفي عام ٣٠ هـ .

(٤) الطائل : الفضل والقدرة والسعة .

٤ - نعت التشبيه

يجب أن نذكر أولاً معنى التشبيه ثم نشرع في وصفه فنقول :

إنه من الأمور المعلومه أن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات إذ كان الشئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحداً ، فصار الإثنين واحداً ، فبقي أن يكون التشبيه إنمّا يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ، ويوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفردهما فيها ، حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد . ومما جاء من التشبيهات الحسان قول يزيد بن عوف العليمي يذكر صوت جرس رجل قرى اللبن :

فغب دجالاً جرحه متواتراً كوقع السحاب بالطراف الممدّد^(١)

فهذا التشبيه إنمّا يشبه صوت الجرح بصوت المطر على الخباء الذي من آدم ومن جودته أنه لما كانت الأصوات تختلف ، وكان اختلافها إنمّا هو بحسب الأجسام التي تحدث الأصوات اصطكاكها ، وليس يدفع أن اللبن وعصب المري اللذين حدث عن اصطكاكهما صوت الجرح قريب الشبه من الأديم الموتن والماء اللذين حدث عن اصطكاكهما صوت المطر ، وعند سلوك هذه السبيل في تعرف جودة التشبيه يستجد قول جيهاء الأشجعي ، في تشبيه صوت حلب عز بصوت الكير إذا نفخ :

(١) دخلاً : سريعاً . غب : شرب شربة بعد شربة . الطراف : الخيمة أي الخباء إذا كان من آدم . الممدّد : المبسوط .

كَأَنَّ أَجِيجَ الْكَبِيرِ أَرْزَامُ شُخْبِهَا إِذَا امْتَاَحَهَا فِي مَحَلِّ الْحَيِّ مَائِثٍ^(١)

وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ يَشْبَهُ ارْتِفَاعُ أَصْوَاتِهِمْ فِي الْحَرْبِ تَارَةً وَهُمُودُهَا وَانْقِطَاعُهَا تَارَةً بِصَوْتِ الَّتِي تَجَاهِدُ أَمْرَ الْوِلَادَةِ :

لَهَا صَرْخَةٌ ثُمَّ إِسْكَاتَةٌ كَمَا طَرَقَتْ بِنَفَاسٍ بِكَرٍّ^(٢)

وَلَمْ يَرِدْ الْمَشْبَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَفْسَ الصَّوْتِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ حَالَهُ فِي أَرْزَامٍ مَقَاتِعِ الصَّرِخَاتِ ، وَإِذَا نَظَرَ فِي ذَلِكَ وَجَدَ الَّذِي وَقَفَ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ وَاحِدًا وَهُوَ مَجَاهِدَةُ الْمَشَقَّةِ وَالِاسْتِمَاعَةُ عَلَى الْأَلَمِ بِالتَّبْيِيدِ فِي الصَّرِخَةِ .

وَمِنْ جَيِّدِ التَّشْبِيهِ قَوْلُ الشَّمَاخِ يَذْكُرُ لَوَاذَ الثَّعْلَبِ مِنَ الْعُقَابِ :

تَلَوْذُ ثُعَالِبٍ الشَّرَفَيْنِ مِنْهَا كَمَا لَاذُ الْغَرِيمِ مِنَ التَّبْيِيعِ^(٣)

وَقَدْ يَخْتَلِفُ اللَّوَاذَانِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ اللَّائِذَيْنِ ، فَأَمَّا التَّبْيِيعُ فَهُوَ مَلَحٌ فِي طَلَبِ الْغَرِيمِ لِفَائِدَةِ يَرُومُهَا مِنْهُ ، وَالْغَرِيمُ بِحَسَبِ ذَلِكَ يَجْتَهِدُ فِي الرُّوْغَانِ فِي اللَّوَاذِ خَوْفًا مِنْ مَكْرُوهِ يَلْحَقُهُ ، وَكَذَلِكَ الثَّعْلَبُ وَالْعُقَابُ سَوَاءٌ ، لِأَنَّ الْعُقَابَ تَرْجُو شَيْعَهَا وَالثَّعْلَبَ يَخَافُ مَوْتَهُ ، وَقَالَ الشَّمَاخُ :

كَأَنَّ عَلَى أَوْرَاكِهَا سِنَ لُعَابِهِ وَخَيْفَةُ خَطْمِي بِنَاءٍ مُرْجَرٍ^(٤)

فَشَبَهُ لُعَابَ الْفَحْلِ إِذَا ظَهَرَ عَلَى أَوْرَكِ الْإِتَنِ^(٥) عِنْدَ كَدَمِهِ إِيَّاهَا

(١) أَجِيجُ الْكَبِيرِ : صَوْتُهُ • الشُّخْبُ : مَا خَرَجَ مِنَ الضَّرْعِ مِنَ اللَّبَنِ • امْتَاَحَهَا اسْتَدْرَ لِبْنِهَا • الْمَائِثُ : الْمُسْتَدْرُ اللَّبَنُ يَقَالُ : امْتَاَحَتِ الشَّمْسُ زَهْرِي الْبَعِيرَ اسْتَدْرَتِ عِرْقَهُ •

(٢) طَرَقَتْ : مِنَ التَّطْرِيقِ وَهُوَ خُرُوجُ بَعْضِ الْوَلَدِ عِنْدَ الْوَضْعِ •

(٣) تَلَوْذُ : تَفَرُّ • الثُّعَالِبُ : جَمْعُ مَفْرَدَةِ ثُعْلَبٍ • الشَّرَفَيْنِ : تَشْنِيقَةُ شَرَفٍ وَهُوَ مَا شَرَفَ مِنَ الْأَرْضِ وَهُوَ اسْمُ مَوْضِعٍ • الْغَرِيمُ : الشَّخْصُ الْمَدِينُ • التَّبْيِيعُ : صَاحِبُ الدِّينِ •

(٤) الْخَطْمِيُّ : بِكَسْرِ الْخَاءِ وَفَتْحِهَا نَبَاتٌ مَحَلُّ مَنْضَجٍ مِلِينٍ نَافِعٍ لِعَسْرِ الْبُولِ وَالْحَصَا •

(٥) جَمْعُ أَتَانٍ •

بالخطمي وهو شبيه به في قوام الثخن وفي الرغبة وفي اللون أيضاً ،
وذلك أن الحمار إنما يكثر كدمه ^(١) الاتن في الربيع عند خضرة
الرطب ، وشره في ذلك الوقت .

وقد أحسن الشماخ في قوله حين شبه أضلاع الناقة حين براها
السير بالقسي الموتر :

فقربتُ مبراةً كأنَّ ضلوعَهَا من الماسخيات القسيَّ الموترًا ^(٢)

مبراة من البرة التي تجعل في الأنف من الناقة . والماسخيات :
قسي تنسب إلى قوم ؛ وقد أحسن الشماخ في هذا التشبيه ، من قبل
اجتماع الأضلاع والقسي الموتر في الشكل والتوتر والأعصاب ،
والأوتار ، ولم يرد إلا الشكل فقط ، وقد أتى على ما فيه .

ولابن أحمر الباهلي يذكر قلب الفرس عند الحركة السريعة :

حتى ضحية طاوياً ذا شرّة وفؤاده زجل كعريف الهدهد ^(٣)

فتواتر نبض قلب الفرس إذا تحرك قريب الشبه من تواتر حركة
عرف الهدهد

وللمرّار :

لها قلاص نعام يرتقن بها كأنهنَّ سيّ لابسو الهدم ^(٤)

(١) الكدم : الجماع والمواقعة .

(٢) الموتر : الذي شدت بالآوتار فقد شبه ضلوع الناقة في الانحناء
بالقوس وهذا تشبيه حسن بديع .

(٣) ضحية : اسم فرس الشاعر . شرّة : قوة ونشاط . زجل : كثير
الاضطراب والخفقان .

(٤) القلاص : فواضل ريش النعام .

فما أحسن ما شبه فواضل ريش النعام بانسدال الأظمار الرثة على
اللايس ولا سيما السبي ، فإن في مشيهم أعجمية تشبه مشي النعام ،
وفي ألوان ثيابهم قتمة من الدرن تشبه قتمة ريش النعام ، ففي الشيتين
اشترك في معان كثيرة .

وقد يقع في التشبيه تصرف إلى وجوه تستحسن :

فمنها : أن تجمع تشبيهات كثيرة في بيت واحد وألفاظ يسيرة كما
قال امرؤ القيس :

له أبطلاً ظبي وساقا وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريبُ تتفل^(١)

فأتى بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء وذلك أن مخرج قوله له أبطلاً
ظبي إنما هو على أنه له أبطلان كأبطلي الظبي وكذا ساقان كساقبي
نعامة وإرخاء كإرخاء السرحان وتقريب كتقريب التتفل .

ومنها : أن يشبه شيء بأشياء في بيت أو لفظ قصير وذلك كما
قال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شئ كأنه أساريعُ ظبي أو مساويكُ إسحل^(٢)

ومنها : أن يشبه شيء في تصرف أحواله بأشياء تشبهه في تلك
الأحوال كما قال امرؤ القيس يصف الدرع في حال طيها :

ومشدودة السك موضونة تضائل في الطي كالسيبرد^(٣)

(١) أبطلا ظبي : خاصرتا ظبي وإنما خص الظبي لانه ضامر وكذلك
النعامة لانها طويلة الساقين . الارخاء : الجري الذي فيه سهولة مأخوذ من
الرخاء وهو الريح السهلة . السرحان : الذئب . تتفل : ولد الثعلب .
(٢) تعطو : تتناول . برخص : باصابع رخصة لينة . شئن : خشنة .
أساريع : صفار . ظبي : اسم رملة . الاسحل : شجر يستاك به .
(٣) مشدودة : متداخل بعضها في بعض . السك : الدرع . تضائل في
الطي : يعني اذا طويت صغرت ولطفت حتى تصير كالسيبرد .

ثم وصفها في حال النشر في هذه الأبيات فقال :

تفيضُ على المزمِ أردانها كفيض الأتيّ على الجدجد^(١)

وكما قال يزيد بن الطثيرة يشبه رأسه في حال يكون الجمّة عليه
وبعد حلقها :

فأصبح رأسي كالصخرة أشرفت عليها عقابٌ ثم طارت عقابها^(٢)

وأحسن أيضاً في تشبيه رأسه بعد الحلق بالصخرة ، وذلك أنه
قريب منها في الضخامة والملاسة واللون المائل إلى خضرة . وقد قال
بعضهم في مثل ذلك :

حنا كل إملاء الأكف كأنها رؤوسُ رجال حُلقت في المواسم

وقال الحسين بن مطير يشبه أفعال رجل مات وكان جواداً :

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

ومن أبواب التصرف في التشبيه أن يكون الشعراء قد لزموا طريقة
واحدة من تشبيه شيء بشيء فيأتي الشاعر من تشبيهه بغير الطريق التي
أخذ فيها عامة الشعراء ، فمن أمثال ذلك أن أكثر الشعراء يشبهون
الخوذ بالبيض كما قال سلامة بن جندل :

كأنَّ نعاماً باض فوق رؤوسهم بنهي القذاف أو بنهي محقق
وقال :

كأنَّ نعام الدوِّ باضَ عليهم وأعينهم تحتَ الحبيك الجواحر^(٣)

(١) أردانها : أطرافها . الاتي : السيل . الجدجد : الأرض ذات الحصا .
(٢) أشرفت عليها الخ : أي علت عليها ووقفت والمراد شعر العقاب
الذي في مقدم رأسه فإنه قد شبه رأسه قبل حلقها بالصخرة الصغيرة قد
أشرف عليها عقاب وبعد حلقها بالصخرة التي طار عنها العقاب .
(٣) الدو : الفلاة الواسعة . الحبيك : جمع حبيكة وهي البيضة .
الجواحر : البيض .

وأكثر الشعراء يلتزمون هذا التشبيه فقال أبو شجاع الأردني :
فلم أرَ إلا الحيلَ تعدو كأنما سنورها فوق الرؤس الكواكب^(١)

وربما كان الشعراء يأخذون في تشبيه شيء بشيء والشبه بين هذين
الشئين من جهة ما ، فيأتي شاعر آخر في تشبيهه من جهة أخرى
فيكون ذلك تصرفاً أيضاً مثال ذلك أن جل الشعراء يشبهون الدروع
بالغدير الذي تصفقه الرياح كما قال أوس بن حجر :

وأملس صولي كنهني قمره^(٢) أحس بقاع نفخ ريح فأجفلا^(٣)

وقال الآخر :

وعلي سايغة الذبول كأنها سوق الجنوب جناب نهي مفرط^(٤)

وكثير من الشعراء ينحون في تشبيه الدروع هذا المنحى وإنما
يذهبون إلى الشكل ، وذلك أن الريح تفعل بالماء في تركيبها
إياه بعضاً على بعض ما يشبهه في حال التشكيل فقال سلامة بن
جندل عادلاً عن تشبيه الشكل إلى تشبيه الالين وذلك أن الالين من
دلائل جودة الدرع لصغر قتيورها وحلقها :

فألقوا لنا أرسان كل نجبية^(٥) وسايغة كأنها متن خرنسق^(٦)

وقال يذكر بريقها وهو وجه غير الوجهين الأولين :

(١) سنورها : لباس من قد يلبس في الحرب .
(٢) النهي : بفتح النون وكسرهما الغدير أو شبهه . القاع : أرض سهلة
مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والأكام .
(٣) سايغة الذبول : درع تامة طويلة واسعة . الجنوب : ريح تخالف
الشمال مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا . نهي مفرط : غدير غزير .
(٤) أرسان جمع رسن وهو الحبل وما كان من زمام على أنف . نجبية :
الناقة السريعة . المتن : الظهر . خرنق : أرنب والمعنى درع لين كأنه ظهر
أرنب .

مداخلة من نسج داود سكهها كئكب ضاح من عماية مشرق

ومن التشبيه الجيد للحكم الخصري بصف غليان القدر بما فيها
من قطع اللحم :

كان جذول النَّاب فيها إذا غلت دعاميصُ تخشى صائداً فتعوم^(١)

ولقيس بن زهير :

كان خذاريق السواعد بيننا مغالي غواة يلعبون بها لعباً^(٢)

وللرقبان أحد بني عرافة بن سعد بن زيد :

وقد سقوهن سجالات فاستقو من أجنى كأنهن الزنبق^(٣)

ثم أتبع القول في التشبيه القول في الوصف .

٥ - نعت الوصف

أقول : الوصف إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال
والهيئات . ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء
المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر
المعاني التي الموصوف مركب منها ، ثم بأظهرها فيه وأولاها
حتى يحكيه شعره ويحمله للحسن بعبته .

فمن ذلك : قول الشماخ يصف أرضاً تسير النبالة فيها :

(١) الجذل : أصل الشيء . الناب : السن خلف الرباعية . الدعاميص :
جمع دمعص وهي دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء .

(٢) خذاريق : جمع مفردة وهو شيء يدوره الصبي بيده فيسمع
له دوي .

(٣) السجال : جمع سجل وهو الدلو الضخمة المملوءة ماء .

تقعقع في الآباط منها وفاضها نخلت غير آثار الأراجيل ترتمي^(١)

فقد أتى في هذا البيت بذكر الرجالة ، وبين أفعالها بقوله
ترتمي ، ومن الحال في مقدار سيرها بوصفه تقعقع الوفاض ، إذ
كان في ذلك دليل على الهرولة أو نحوها من ضروب السير ودل
أيضاً على الموضع الذي حملت فيه هذه الرجالة الوفاض وهي
أوعية السهام ، حيث قال في الآباط ، فاستوعب أكثر هيئات
النبالة ، وأتى من صفاتها بأولها وأظهرها عليها ، وحكاها
حتى كأن سامع قوله يراها .

ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهنلي ، يصف حال السيل عند
انقلاع السحاب وسكون المطر :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطّع أقران السحاب عجيج^(٢)

ومنه قول رجل من هذيل يصف حال القوم في الحرب عند الجلاء:
كعماغم الثيران بينهم ضرب تغضّ دونّه الحدق

ومثله قوله معاوية بن خنيس النصرى ، من نصر بن قعين ، يذكر
نباهة حية ، وأنه أشهر من جدلم حي آخر :

فنحن الثريّا وعيوقهسا ونحن السّما كان والمرزم^(٣)

(١) الآباط : جمع أبط وهو باطن المنكب . الوفاض : جمع وفضة وهي
جعبة السهام من الادم . والشماخ شاعر مخضرم مجيد توفي عام ٢٢ هـ .

(٢) المسيل : موضع سيل الماء كالوادي . عجيج : صوت . تقطّع أقران
السحاب . كناية عن نزول المطر .

(٣) العيوق : كوكب أحمر مضيء بحبال الثريا في ناحية الشمال ،
ويطلع قبل الجوزاء ، سمي بذلك لأنه يعوق الدبران عن لقاء الثريا . المرزم
والمرزام نجمان وهما مع الشعريين فالذراع القبوضة هي إحدى الرزمين
ونظم الجوزاء أحد الرزمين .

وأنتم كواكبٌ مجهولةٌ تُرى في السماء ولا تعلم

وليزيد بن الصمد يصف آثار خيل وأبل طردها فنجا بها :

ألا ربُّ غزو ما ركبنا جوادهَ وما قد عقرنا من صفيٍّ ومن قرم^(١)
وأصبحن قد جاوزن أسفل ذي حسا وآثارها فوق المصيخ كالرقم

ولعبد الرحمن بن عبد الله ألقس يصف إصغاء السامعين إلى الغناء
الحسن المطرب وهو في سلامة :

إذا ما عيج مزهرها إليها وعاجت نحوه أذنٌ كرام^(٢)
فأصغوا نحوه الأسماع حتى كأنهم وما ناموا نيام

وللمرار بن المنقذ من بلعدوية يصف الفرس الكريم :

ذو مِراخ فإذا وقَّرتَه فذكولٌ حسنُ الخلق يسر^(٣)

وليزيد بن مالك الغامدي ، يصف فعل سنابك الخيل
في الأرض :

يُثرن بسهل الأرض ممَّا يدُسُّه عجاجاً وبالحران نارَ الجباب^(٤)

ولعدي بن الرقاع العاملي ، يصف فعل سنابك حمارين
إذا عدوا :

يتعاوران من الغبار ملاءً غبراء محكمة عما نسجاها^(٥)

(١) الصفي : من الغنيمة ما اختاره الرئيس لنفسه ويجمع صفايا
قال الشاعر :

لک المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول
القرم : الفحل .

(٢) عج : صاح . مزهرها : المزهرة كثير العود يضرب به . عاجت
نحوه اذن : أي مالت وعطفت . كرام : جمع كريمة والكريمة كل جارحة
شريفة كالاذن واليد .

(٣) وقرتَه : حملته حملاً ثقيلاً .

(٤) نار الجباب : دويبة صغيرة تضيء بالليل ، والمعنى أن ما اقتدح
من شرر النار في الهواء من تضادم الحجارة كالجباب في حالة طيرانها
ليلاً مضيئة .

(٥) يتعاوران من الغبار الخ : أي كل منهما يعير الآخر ملاء من الغبار
الذي يثيره .

تطوي إذا علوا مكاناً ناشزاً وإذا السابك أسهلت نشرها^(١)

ولذي الرمة :

ترى الخود يكرهن الرياح إذا جرت ومي بها لولا التحرج تفرح
إذا ضربتها الريح في المرط أشرفت روادفها وانضم منها الموشع^(٢)

ولنتبع القول في الوصف ، بالقول في النسب .

(١) ناشزاً : مرتفعاً . أسهلت : أي سارت في أرض سهلة مستوية ذات غبار . نشرها : الضمير للملاءة أي إذا سارا في مكان عال ذهبت عنهم الملاءة ، وإذا سارا في مكان سهل نشرها فوقهم . وعدي شاعر أموي مجيد .

(٢) الخود : الناعمة الحسنة الخلق جمعها خودات وخود . مي : معشوقة ذي الرمة التحرج : الضيق والملل . المرط : بالكسر كساء من صوف أوخز جمعه مروط . الروادف : الإعجاز وذو الرمة شاعر أموي مجيد في وصف الطبيعة البدوية . توفي عام ١١٧ هـ .

٦ - نعت النسيب

أقول إن كثيراً من الناس يحتاج إلى أن يعلم أولاً : ما النسيب ؟ ونحن نخده فنقول :

إن النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى به معهن ، وقد يذهب على قوم أيضاً موضع الفرق بين النسيب والغزل ، والفرق بينهما إن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله فكأن النسيب ذكر الغزل ، والغزل المعنى نفسه .

والغزل إنما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء ويقال في الإنسان انه غزل إذا كان متشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء ، وتجانس موافقاتهن ، لحاجته بالوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه والذي يميلن إليه هو الشمائل الحلوة ، والمعاطف الظرفية والحركات اللطيفة والكلام المستعذب والمزاج المستغرب ، ويقال لمن يتعاطى هذا المذهب من الرجال والنساء متشاج ، وإنما هو متفاعل من الشجي ، أي متشبه بمن قد شجاه الحب .

وإذ قد بان أن الذي قلناه على ما قلنا ، فيجب أن يكون النسيب الذي يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة ، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة ، وما كان فيه من التصابي والرقّة أكثر ممّا يكون من الحشن والجلادة ، ومن الخشوع والذلة أكثر ممّا يكون فيه من الإباء والعز ، وأن يكون جماع الأمر فيه ما ضاد التحافظ والعزيمة ، ووافق الإنحلال والرخاوة ، فإذا كان النسيب كذلك فهو المصاب به الغرض .

وقد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة ، والبروق اللامعة والحمائم الهاتفة والخيالات الطائفة وآثار الديار العافية وأشخاص الأطلال الدائرة ، وجميع ذلك إذا

ذكر احتيج ان تكون فيه أدلة على عظيم الحسرة ومن مضى
الأسف والمنازعة .

ولست اذكر متى سمعت في التشوق بآثار الديار اوجز
ولا اجمع ، ولا ادل على لاعج الشوق ومكمد الوجد من قول
محمد بن عبيد الأزدي :

فلم تدع الأرواحُ والماء والبلى من الدار إلا ما يشوقُ ويشغف^(١)

ولعمري إن عمرو بن أحمر الباهلي قد أوجز وأبان عن تشوق
وعظم تحسر بقوله :

معارفُ تلوى بالفؤاد وإن تقل لها بيئي لي حاجة لم تكلم^(٢)

وأما قوله « لم تكلم » فهو تجاهل الهائم ، وتدله الواله ، فإنه
قد يحتاج إلى ان يكون في شعر الوامق دليل على انه للتحنن .

وممن شاقته المنازل صخر الحضري وقد مر على ريع فقال :

بليت كما يبلى الرداء ولا أرى جناباً ولا أكتاف وزرة تخلقُ
ألوى حيازمي بن صابئة كما تنطوي الحية المشرق^(٣)

وممن شاقه البرق فأحس ما مر به من الشوق حبيش بن مطر
العامري ، حيث يقول ويذكر خفقان قلبه :

أجلك لا يبذو لك البرق مرةً من الدهر إلا ماء عينيك ينرف^(٤)

(١) الأرواح : جمع مفردة ريع . إلا ما يشوق ويشغف : أي الا رسوماً
وآثاراً تسبب الشوق والشغف على ما مضى من أيام الانس والتعيم .

(٢) معارف تلوى : المعارف الآثار ، تلوى : تذهب به .

(٣) الحيزوم : ما استدار بالظهر والبطن .

(٤) أجلك : منصوب على المصدرية ولا يقال الا مضافاً ومعناه القسم
واليمين .

وقلبك من فرط اشتياق كأنه بدأ لامعاً أو طائرٌ ينطرف

ولرجل من عبس :

إذا الله أسقى دمتين ببلدة من الأرض سقياً رحمة فسقاها (١)
نزلنا بهذي منزلاً ثم منزلاً بهذي قطاب المتزلان كلاهما
فبت أشيم البرق مرتفعاً له بدأ عن يد حتى وفي منكباها (٢)

وقال الشماخ :

رأيت سنا برقٍ فقلت لصاحبي بعيدٌ بعلو ما رأيتُ سحيق (٣)
فبات مهماً لي يذكرني الهوى كأنني لبرق بالحجاز صديق (٤)
وبات فؤادي مستخفاً كأنه خواني عقابٍ بالحناح خفوق (٥)

فأما النسيب نفسه فقد تقدمت أوصافنا له .

ومما اختتم به القول أن المحسن من الشعراء فيه هو الذي يصف
من أحوال ما يجده ما يعلم به كل ذي وجد حاضر أو دائر أنه يجد
أو قد وجد مثله ، حتى يكون الشاعر فضيلة الشعر .

(١) الدمنة : ما ارتفع من الأرض .

(٢) أشيم البرق : يقال شام البرق نظر إليه أين يقصد ، وأين يمطر .
مرتفعاً له : أي واقفاً ثابتاً دائماً الثبوت لأنظر إليه .

(٣) سنا برق : ضوءه . بعلو : اسم موضع وفي رواية يفلج وهي
موضع كذلك بين البصرة وحمي . ما رأيت : ما بمعنى الذي . سحيق : بعيد ،
وهو تأكيد معنوي لبعيد : والمعنى : الذي يلمع بعيد .

(٤) مهماً لي : محزناً لي : وحجاز : الأرض المعروفة لأنها سميت
بهذا الاسم حجت بين تهامة ونجد .

(٥) مستخفاً : اسم مفعول استخفه الشيء فهو مستخف أي حمله الجهل
والخفة . الخوافي : جمع خافية وهن ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .
هذا والشماخ شاعر مخضرم توفي عام ٢٢ هـ .

فمن ذلك قول أبي صخر الهذلي يصف ما أرى أن كل متعلق
بمودة يجد مثله قوله :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر^(١)
لقد كنتُ آتيها وفي النفس هجرها بتاتاً لأخرى الدهر ما طلع الفجر
فما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبته لا عرفٌ لدي ولا نكرُ
وأنسى الذي قد كنت فيه هجرتها كما قد تُنسى لبَّ شاربها الخمر

وفي هذه القصيدة أيضاً مرجع آخر ، دال على إفراط المحبة
مبين عن سجية في أهل الهوى عامة وهو قوله :

ويعني من بعد إنكار ظلمها إذا ظلمت يوماً وإن كان لي عذر
مخافة أني قد عرفتُ لأن بدا لي الهجرُ منها ما على هجرها صبر
وإني لا أدري إذا النفس أشرفت على هجرها ما يفعلن بي الهجر

وكما قال الشاعر :

يودُّ بأن يسمي سقيماً لعائتها إذا سمعت عنه بشكوى تُراسله^(٢)
ويهترئ للمعروف في طلب العلي لتحمد يوماً عند ليلى شمائله

فهو من أحسن القول في الغزل ، وذلك أن هذا الشاعر قد أبان
في البيت الأول عن أعظم وجد وجدته محب ، حيث جعل السقم
أيسر ما يجد من الشوق ، فإنه اختاره ليكون سبيلاً إلى أن يشفى
بالمراصلة فهو أيسر ما يتعلق به الوامق وأدنى فوائد العاشق ، وأبان
في البيت الثاني عن إعظام منه شديد لهذه المرأة حيث لم يرض لنفسه

(١) كرر الذي للتفخيم . وجواب القسم قوله في البيت الآتي « لقد
كنت آتيها » .

(٢) سقيماً : مريضاً . شمائله : طبائعه مفرد شمال .

كونها على سجيته الأولى ، حتى احتاج إلى أن يتكلف سجايا مكتسبة يتزين بها عندها ، وهذه غاية المحبة ، ووصف الشاعر لذلك هو الذي يستجاد لاعتقاده إذا كان الشعر إنما هو قول ، وإذا أجاد فيه القائل لم يطالب بالاعتقاد ، لأنه قد يجوز أن يكون معتقد لأضعاف ما في نفس هذا الشاعر من الوجد ، بحيث لم ينكروه وإنما اعتقدوه فقط ، ولم يدخلوا في باب من يوصف بالشعر والقول والنسب قول طريح النقي :

بسان الخليط وفرق الشمل وعلى التفرق ما بدا الوصل^(١)
أبكاك منهم ما فرحت به ولكل مولد فرحة تكل

ومن هذه الأبيات :

مسودة خلقت فليتها خوط ومعد مرطها عبل^(٢)
تضع البريم فيستدير على فعم ألف كأنه رمل^(٣)
يسجى إذا ما قلت أخفضه ويثور منكشطا إذا يعاو^(٤)
وقيامها حسم وضحكها عند العجيب تبسم رتل^(٥)
وعلا بها عظام فالحقها بنسائها ولدانها بل

ولأبي صخر الهنلي في التصابي والحلاعة :

أراد الشيب مني ختل نفسي لأنسي ذكر ربّات الحجال^(٦)

(١) بان : تفرق وابتعد . الخليط : الشريك .

(٢) مسودة : مجذولة الخلق . خوط : ناعم رفيع كالغصن . ومعد مرطها عبل : أي عنقها ضخم .

(٣) البريم : خيطان مختلفان أحمر وأبيض تشده المراء على وسطها وعضدها . الفعم : التي استوى خلقها وغلظ ساقها فهي فعمة .

(٤) يسجى : يغطى . منكشطا : مرتفعا .

(٥) رتل : حسن .

(٦) ختل نفسي : خداعها .

إذا اختصم الصبي والشيبُ عندي فأفلجت الشبابَ فلا أبالي (١)

فقد أتينا من ذكر نعوت الأغراض التي نحتها الشعراء من المعاني ، وهي : المديح — والهجاء وغيرها مما عددناه وشرحنا أحواله ، على ما فيه كفاية لمن له فهم ، وعنده نظر وفحص .

وهذه المعاني التي ذكرناها من أغراض الشعراء فلأنما هي أجزاء من جملة ، وما تكلمنا به فيها مع ما بيناه فيه من الحال فيه مثلاً لغيره واعتباراً في ما لم نذكره .

فأما ما يعم جميع المعاني الشعرية فإننا نبتدىء بذكره وتعديده ، فمن ذلك :

١ - صفة التقسيم

وهي أن يبتدىء الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها ولا يغادر قسماً منها ، مثال ذلك قول نصيب يريد أن يأتي بأقسام جواب المجيب عن الاستخبار :

فقالَ فريقُ القومِ لا وفريقهم نعم وفريقٌ قالَ ويحك لا أدري
فليس في أقسام الإجابة عن مطلوب إذا مثل عنه غير هذه الأقسام

ومثل ذلك أيضاً قول الشماخ يصف صلابة سنابك الحمار
وشدة وطئه على الأرض :

مَتى وقعت أرساغهُ مُطمِئنةٌ على حجرٍ يرفضُ أو يتدَحرجُ (٢)

(١) أفلجت الشباب : نصرت الشباب وجعلته ظافراً • وأبو صخر شاعر أموي مجيد •

(٢) أرساغه : جمع رَسغ ، والرَسغ بالضم وبضمّتين الموضع المستدق بين الحافز وموصل الوظيفة من اليد والرجل ويجمع أيضاً على أرسغ • مطمئنة : ساكنة • يرفض : يتفرق ويذهب • يتدحرج : يتتابع •

فليس في أمر الوطاء الشديد إلا أن يوجد الذي يوطأ عليه
رخواً فيرض أو صلباً فيدفع .

ومثال ذلك أيضاً قول الأسعر بن حمدان الجعفي يصف
فرسا على هيئته جميع جهاته :

أما إذا استقبلته فكأنَّه باز يكفكف أن يطير وقد رأى
أما إذا استدبرته فتسوقه ساق فموص الوق عارية النسا^(١)
أما إذا استعرضته متمطراً فتقول هذا مثل سرحان الغضا^(٢)

فلم يدع هذا الشاعر قسماً من اقسام النصبية التي يرى الفرس
عليها إلا أتى به . وقد يجوز أن يظن ظان في قولنا ان هذا
الشاعر قد أتى بجميع الأقسام : وكل جسم فله ست جهات
فإذا ذكرت حال اربع منها بقيت جهتان لم تذكر : وحل هذا
الشك ان وقع من احد هو ان هذا الشاعر إنما وصف فرسا لا جسماً
مطلقاً وللفرس احوال تمتنع بها من ان تنتصب على كل نصبة ،
ومع ذلك فإن هذا الشاعر إنما وصف الجهات التي يراها الإنسان
من الفرس : إذا كان على بسيط الأرض وكان الرجل قائماً
او قاعداً . إذ كانت هذه الحال التي يرى الناس عليها الخيل
في اكثر الأمر ، فأما مثل ان يكون الإنسان في عليه فيرى من
الفرس اعلاه فقط فما ابعد ما يقع ذلك ، ولم يقصده الشاعر ، ولا
له وجه في ان يريده ، إذ كان ليس في ما يعرف ويعهد
من النظر إلى الخيل إلا ما ذكره ، وهو ان تستقبل او تستدبر او
تستعرض من احد الجانبين .

ومثال هذا الباب ايضاً قول (ابي) زيد الطائي :

-
- (١) عارية النسا : النسا عرق من الورك الى الكعب .
(٢) السرحان : الذئب . الغضا : نوع من الشجر .

يا اسم صبراً على ما كان من حدثٍ إن الحوادث ملقي ومتنظراً^(١)
فليس في الحوادث إلا ان تكون قد لقيت او ينتظر لقيها .
ومن انواع المعاني واجناسها ايضاً :

٢ - صحة المقابلة

وهو ان يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض
والمخالفة ، فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على
الصحة ، او يشرط شروطاً ويعدد احوالاً في احد المعنيين ، فيجب
ان يأتي في ما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده ، وفي ما يخالف
بضد ذلك ، كما قال بعضهم :

تقاصرن واحلولين لي ثم إنه أتت بعد أيتام طوال أمرت
فقابل القصر والحلاوة بالطول والمرارة ، ومثله قول الآخر:
وإذا حديث ساءني لم أكتب وإذا حديث سرتني لم أشير^(٢)
فقد جعل بإزاء سرتني ساءني ، وبإزاء الاكتئاب الأشر
وهذه المعاني غاية في التقابل .

ولعقيل بن حجاج :

تشق في حيث لم تبعد مصعدة ولم تُصوب إلى أدنى مهاويها
فجعل بإزاء قوله «تبعد مصعدة» أدنى مهاويها ولو جعل
بإزاء الإبعاد في الصعود الهوى من غير ان يقول أدنى المهاوي
لكانت المقابلة ناقصة . كما قال تبعد قال أدنى ، ولو قال «لم تبعد»
لقنع منه بأن يقول تحوي من غير ان يأتي بالدنو .

(١) يا اسم : منادى ترخيم أسماء . الحدث : ما يحدث للانسان من
احوال الدهر وأحداثه وأبو زيد شاعر مخضرم توفي عام ٤١ هـ وكان مجيداً
في وصف الاسد .

(٢) لم أكتب : لم أحزن . الأشر : المرح .

وللطرماع بن حكيم :

أسرناهم وأنعمنا عليهم وأسقينا دماءهم التراباً
فما صبروا لبأسٍ عندَ حربٍ ولا أدوا لحسن يدٍ ثواباً^(١)

فجعل يلزأ ان سقوا دماءهم التراب وقاتلوهم ان يصبروا،
ويلزأ ان انعموا عليهم ان يثيبوا .

ولآخر :

جزى الله عنا ذاتَ بعل تصدقت على عزبٍ حتى يكونَ له أهل^(٢)
فلنا سنجزيا كما فعلتَ بنا إذا ما تزوجنا وليسَ لها بعل^(٣)

فقد اجاد هذا الشاعر حيث وضع مقابل ان تكون المرأة ذات
بعل (انه عزب) ، وقابل حاجته وهو عزب بحاجتها وهي عزبة ،
من غير أن يغادر شرطاً ولا أن يزيد شيئاً .

٣ - ومن انواع المعاني صحة التفسير

وهو أن يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره
الذي يصنعه فإذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى
به منها ولا يزيد او ينقص مثل قول الفرزدق^(٤) رحمه الله :

لقد جئتُ قوماً لو بلأتُ إليهم طريدَ دمٍ أو حاملاً ثقلَ مغرم

فلما كان هذا البيت محتاجاً إلى تفسير قال :

(١) يد : اليد النعمة مجاز مرسل علاقته السببية . والطرماع شاعر
أموي من زعماء الخوارج توفي عام ١٢٥ هـ وقد حقق ديوانه عزة حسن وهو
مطبوع بدمشق عام ١٩٦٨ .

(٢) البعل : الزوج . عزب : العزب محرقة من لا أهل له .

(٣) سنجزيا : سنكافئها ويروى سنجديا .

(٤) الفرزدق شاعر العصر الأموي توفي عام ١١٠ هـ .

لَأَلْفَيْتُ فِيهِمْ مُعْطِياً أَوْ مُطَاعاً وراءك شرراً بالوشيج المقوم
ففسر قوله حاملاً ثقل مغرم بقوله إن يليق ، فيهم من يطاعن
دونه ويحميه .

ومثله قول الحسين بن مطير الأسدي (١) :

وله بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ ضحكٌ يَرواحُ بَيْنَهُ وبكاءُ
ففسر بلا حزن ببيكاء ولا بمسرة بضحك .

وقال صالح بن جناح اللخمي :

لئن كنتُ محتاجاً إلى الحلمِ لئنِّي إلى الجهلِ في بغضِ الأحابِينِ أحوجُ (٢)
وفسر ذلك بأن قال :

وليّ فرسٌ للحلمِ بالحلمِ مُلجَمٌ وليّ فرسٌ المجهلِ بالجهلِ مُسْرَجٌ (٣)

فلم يزد المعنى ولا نقص منه ، ثم فسر البيت الثاني ايضاً فقال :

فمن رامَ تقوييَ فلئنِّي مُقَوِّمٌ ومن رامَ تعوييَ فلئنِّي مُعَوِّجٌ

وقال سهل بن مروان :

فواحسرتي حتى متى القلبُ مُوجَعٌ بقصدِ حبيبٍ أو تعذرِ إفضالِ

(١) شاعر من مخضرمي الدولتين توفي عام ١٦٩ هـ .

(٢) المراد بالجهل هنا الغضب .

(٣) ملجم: أي أن الحلم لا جمعه وماتعه من الوقوع في المكروه . ومسرج :
أي أن الجهل لتمكنه فيه كأنه مسرج فيه . وينسب هذا البيت وما بعده
للأمام علي .

وفسر ذلك فقال :

فراقٌ خليلٍ مثله يورث الأسى وخلةٌ حرٍ لا يقومُ بها مالى

٤ - ومن أنواك نعوت المعاني التتميم

وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به ، مثل قول نافع بن خليفة الغنوي :

رجالٌ إذا لم يقبل الحق منهم ويعطوه عاذوا بالسيوف القواطع^(١)
فما تمت جودة المعنى إلا بقوله : يعطوه وإلا كان المعنى منقوص الصحة .

ومثل قول عمير بن الأيهم التغلبي :

بها نِلْنَا القَرَائِبَ من سوانَا وأحرزنا القرائبَ أن تنالا
والذي اكمل جودة هذا البيت قوله « وأحرزنا القرائب
أن تنالا » مع أنهم نالوا القرائب من سواهم .
ومثله قول طرفة :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديعة تهمي^(٢)

فقوله « غير مفسدها » اتمام لجودة ما قاله لأنه لو لم يقل غير مفسدها لعب كما عيب ذو الرمة^(٣) في قوله :

ألا يا أسلمى يا دارمي على البلى ولا زال منهلًا بجرعائك القطر

(١) عاذوا : التجثوا .

(٢) صواب الربيع : انصبابه . الديعة : المطر الدائم . تهمي : تسيل . غير مفسدها : تتميم واحتراس للديار من الهدم . وطرفة من الشعراء الجاهليين أصحاب الملقات وأشهرهم واحدة مات عن ستة وعشرين ربيعاً (٥٤٠ - ٥٦٦ م) .

(٣) شاعر بدوي وصاف للطبيعة وبيئة البادية . توفي عام ١١٧ هـ .

فإن الذي عابه في هذا القول إنما هو بأن نسب قوله هذا إلى أن فيه
إفساداً للدار التي دعا لها ، وهو أن تعرف بكثرة المطر . ومثل قول
مضر بن ربيعي :

والمانيعون إذا كانت ممانعة^(١) والعائدون بحسنهم إذا قلدروا

ومثل قول عبيد الراعي :

لا خير في طول الإقامة للفتى إلا إذا ما لم يجد متحولاً^(٢)

ومثل قول كعب بن سعد الغنوي :

حليم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب

ومثل قول الأسود بن يعفر :

ألا من لأمي إلا صديق فلاقي صاحباً كأبي زياد

ومثل قول حسان بن ثابت^(٣) :

لم تفتها شمسُ النهار بشيء غير أن الشباب ليس يسدوم

ومثل قول أعشى باهلة :

لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه وكل أمر سوى الفحشاء ياتم^(٤)

ومثل قول النمر بن تولب :

لقد أصبح البيض الغواني كأنما يرين إذا ما كنت فيهن أجرباً^(٥)

(١) يحيب الشاعر في السفر والتنقل . والراعي شاعر أموي مجيد
توفي عام ٩٠ هـ .

(٢) شاعر رسول الله توفي عام ٦٠ هـ ويروى أن وفاته عام ٥٤ هـ .

(٣) الريث : الإبطاء .

(٤) البيض الغواني : النساء الحسان .

وَكُنْتُ إِذَا لَاقَيْتَهُنَّ بَيْلِدَةً يَقْلَنَ عَلَى الزَّكْرَاءِ أَهْلًا وَمَرْحَبًا

فقوله « على الزكراء » أتمَّ جودة المعنى وإلا فلو كانت بينهم معرفة لم ينكر أن يقلن له : أهلاً ومرحباً .

٥ - ومن أنواع نعوت المعاني المبالغة

وهي أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده ، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أباع في ما قصد ، وذلك مثل قول عمير بن الأيهم التغلبي :

وَنَكْرُمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنَتَّبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ سَارَا

فإكرامهم للجار ما كان فيهم من الأخلاق الحميلة الموصوفة ، واتباعهم الكرامة حيث كان من المبالغة في الحميل .

ومثل ذلك قول الحكم الخضري :

وَأَقْبَحَ مِنْ قَرْدٍ وَأَبْجَلُ بِالْقَرَى مِنْ الْكَلْبِ وَهُوَ غَرَثَانُ أَعْجَفُ^(١)

فقد كان يجزي في الذم أن يكون هذا المهجو أبجل من الكلب ، ومن المبالغة في هجائه قوله « وهو غرثان أعجف » .

ومن هذا الجنس لدريد بن الصمة :

مَتَى مَا تَدْعُ قَوْمَكَ ادْعُ قَوْمِي فَيَأْتِي مِنْ بَنِي جِثْمٍ فِثَامُ^(٢)
فَوَارِسُ بُهْمَةٍ حَشْدٌ إِذَا مَا بَدَأَ حَضَرَ الْحَيَّةَ وَالْحَذَامُ^(٣)

(١) القرى : الطعام • الغرثان : الجائع • الأعجف : النحيف الذي ذهب سمته .

(٢) الفثام : الجماعة من الناس ودريد بن الصمة شاعر جاهلي أدرك الاسلام ولم يسلم ، وقتل في حنين عام ٨ هـ .

(٣) البهمة : الجيش .

والمبالغة الشديدة في هذا الشعر هي في قوله الحية :

ومنه للحكم الخصري أيضاً :

فكن يا جارهم في خير دار فلا ظلم عليك ولا جفاء

فقوله « فلا ظلم عليك ولا جفاء » تأكيد ومبالغة .

ومنه قول رواش بن تميم ، أحد الغطارييف ، الأزدي :

وإنا لنُعطي النصف منا وإنّا لنأخذهُ من كل أبلّغ ظالم^(١)

فهذه مبالغات مضاعفة مكررة .

ومنه قول مضر^(٢) :

بهم تمرى الحرب العوانُ وفيهمُ تؤدّي القروضُ حلوها ومريرها

فقوله « ومريرها » مبالغة .

وكذلك قول أوس بن غافاء المجيمي :

همُ تركوك أسلح من حبارى رأيت صقراً وأشرّد من نعام^(٣)

١ - ومن نعوت المعاني التكافؤ^(٤)

وهو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه ويتكلم فيه . أي معنى كان .

فيأتي بمعنيين متكافئين .

والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضع أي متقابلين إما من

(١) النصف : الحق كاملاً - الأبلغ : المتكبر .

(٢) مضرس شاعر حسن التشبيه والوصف . وهو مخضرم (٢٩٠)

معجم الشعراء ، ٢/ ٢٩٢ الخزاعة) . تمرى الحرب : يشتد وطيسها .

(٣) الحبارى : طائر .

(٤) هو الطباق

جهة المصادرة أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل مثل قول أبي الشعب العبسي :

حُلُوُّ الشَّمَائِلِ وهو مرٌّ باسِلٌ يعمي الدمارَ صبيحةَ الأرهان^(١)

فقوله « مر وحلو » تكافؤ .

ومثل قول أم الضحاك المحاربية :

وكيف يساوي خالداً أو ينالُه خميصٌ من التَّقوى بطينٌ من الخمر^(٢)

فقوله « خميص وبطين » تكافؤ .

ومثل قول طرفة :

بطيء إلى الجلى سريعٌ إلى الخفا ذلولٌ بإجماع الرجال مَلَهْدٌ^(٣)

فقوله « سريع وبطيء » تكافؤ .

ومثل قول زهير^(٤) :

حاماء في النّادي إذا ما جِثَّتْهم جُهلاء يومَ عِجاجةٍ وَلِقَاءِ

فقوله « حلباء وجهلاء » تكافؤ .

ومثل قول حميد بن ثور :

فلم أرَ محزوناً له مِثْلُ صوتِها ولا عربياً شاقه صوتُ أعجماء

فقوله « عربي وأعجم » تكافؤ .

(١) الشَّمَائِلُ : جمع الشمال : الطبع . الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٢) الخميص : الضامر البطن . بطين من الخمر : أي كثير الشرب لها .

(٣) الجلى : الشيء العظيم . الخنا : الفحش . ملهد : مدفع يدفعه

الناس .

(٤) زهير حكيم الشعراء في الجاهلية ومن النقد من يضعه على رأس

الشعراء الجاهليين ، وكان من أسرة شاعرة ، وهو من أصحاب المعلقة . توفي نحو عام ١٢ ق هـ .

ومثل قول الآخر :

بطاء عن الفحشاء لا يحضرونها سراع إلى داعي الصبر أح. المثوب^(١)

ومثل قول عباس بن مرداس :

مطهماً خلقه شماً سنا بكه صعلأ على أن في الجنبين أجفارا^(٢)

فجعل « صعلأ » مكافئاً لأجفارا .

ومثل قول الفرزدق :

فتى السن كهل العلم قد عرفت له قبائل ما بين الدني وأباد^(٣)

فقوله « فتى » مكافأة لقوله « كهل » .

وقال الفرزدق أيضاً :

لعمرى لئن قل الحصى في رجالكم بني نهشل ما تؤمكم بقليل^(٤)

فهذا ضرب من المكافأة من جهة السلب .

واستجاد الناس قول دعبيل حين روي أنه قال :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى^(٥)

لأن ضحك وبكى مكافأة .

(١) بطاء عن الفحشاء : قليلو الاسراع اليها • داعي الصباح : المؤذن للفجر • المثوب : الداعي الى الصلاة •

(٢) المطهم : كمعظم السمين الفاحش السمن • السنيك : طرف الحافر • الصعل : الطويل وقيل الدقيق الرأس والعنق • الجفر : ما عظم واستكرش يجمع على أجفارا • وعباس شاعر صحابي جليل من المخضرمين •

(٣) فتى السن : صغير السن • كهل العلم : قديم فيه • الدني وأباد : اسمان لموضعين تقطن بينهما تلك القبائل •

(٤) الحصى : العدد •

(٥) ضحك المشيب : أي اشتد بياض شعره • ودعبيل شاعر عباسي مشهور توفي عام ٢٤٦ هـ •

وقد أتى المحدثون من التكافؤ بأشياء كثيرة ، وذلك أنه بطباع أهل التحصيل والروية في الشعر والتطلب لتجنيبه أولى منه بطباع القائلين على الهاجس^(١) بحسب ما يستع من الخاطر مثل الأعراب ومن جرى مجراهم^(٢) على أن أولئك^(٣) بطباعهم قد أتوا بكثير منه وقد قدمنا بعضه وما للمحدثين في ذلك [أكثر] مثل قول بشار^(٤) :

إذا أيقظتلك حروب العِدَى فنبه لهاً عمرأ ثمّ نمّ

فـ « نَبَّه » « ونَمَّ » تكافؤ .

وله أثر في تجويد الشعر قوي فإنه لو قال مثلاً « فجرد لها عمرأ » لم يكن لهذه اللفظة لـ « نَبَّه » من الموضوع مع نم .

٧ - ومن نعوت المعاني الالتفات

وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ، فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سببه ، فيعود راجعاً إلى ما قدمه فلما أن يذكر سببه ، أو يحل الشك فيه ، مثال ذلك قول المعطل في بني رهم من هذيل :

تبينُ صلاةُ الحرب منّا ومنهم إذا ما التقيْنَا والمسلم بادِنُ^(٥)

فقوله بادِنُ : رجوع عن المعنى الذي قدمه ، حين بين أن علامة صلاة الحرب أن المسلم يكون بادناً والمحارب ضامراً .

(١) أي على القريحة فهو عند أصحاب الصنعة أكثر منه عند أصحاب الطبع .

(٢) ممن هم من أصحاب الطبع .

(٣) أي أصحاب الطبع .

(٤) زعيم المحدثين توفي عام ١٦٧ هـ .

(٥) البادن : السمين .

وقول الرماح بن ميادة :
فلا صَرمه يُبدُو وفي اليأس راحة ولا وصائه يُبدُو لنا فتُكارِمه^(١)

فكأنه [وهو] يقول « وفي اليأس راحة » التفت إلى المعنى لتقدير
أن معارضاً يقول له ما تصنع بصرمة ؟ فقال لأن في اليأس راحة .

ومن هذا الجنس قول عبيدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر :
أجمل إذا ما كنت لا بدّ مانعاً وقد يمنع الشيء القى وهو مجمل^(٢)

ومنه قول امرئ القيس :
يا هـل أُنَاك وقد يحدث ذو الودّ القديم متممة الذحل^(٣)

فكأنه لما قال « أُنَاك » وكان المعنى مسرعين مظهرأ وهم أن
المخاطب يقول له : كيف يبلغني فقال وقد يحدث ذو الود القديم متممة
الذحل .

وقول طرفة :
وتكفّ عنك مَخيلة الرجلِ العريض موضحة عن العظم^(٤)
بحسام سيفيك أو لسانيك والكلم الأصيل كأرغب الكلم^(٥)

فكأنه لما بلغ بعد « حسام سيفك أو لسانك » قدر أن معترضاً
يعترضه فيقول كيف يكون مجرى السيف والالسان واحداً فقال :
والكلم الأصيل كأشد الجراح وأكثرها اتساعاً .

(١) صرمة : الصرم القطع .
(٢) أجمل : أحسن وتلطف في المنع . والرماح بن أبرد واسم أمه
ميادة : شاعر فصيح من مخضرمي الدولتين ، وكان جيد الغزل ، توفي عام
١٤٩ هـ (٨٥/٢ - ١١٦ الاغاني ، ١٤٣/١١ - ١٤٨ معجم الادباء ، ٧٧/١
الخرانة) .

(٣) الذحل : الثأر .
(٤) تكف : ترد وتمنع ويروى تصد . العريض : كسكيت الذي يتعرض
للناس بالشر .
(٥) الحسام : السيف القاطع .

ومنه قول جرير بن ربهان :

معاذيلُ الهيجاء ليسوا بزادةٍ مجازيعُ عند اليأس والحرُّ يصبر^(١)
ففي قوله « والحر يصبر » التفات إلى أول كلامه .

★ ★ ★

وقد يضع الناس في باب أوصاف المعاني الإستغراب والطرافة بأن يكون المعنى مما لم يسبق إليه ، وليس عندي أن هذا داخل في الأوصاف لأن المعنى المستجد إذا كان في ذاته جيداً فلما أن يقال له جيد إذا قاله شاعر من غير أن يكون تقدمه من قال مثله ، فهذا غير مستقيم بل يقال لما جرى هذا المجرى طريف وغريب إذا كان فرداً قليلاً فلماذا كثر لم يسم بذلك وغريب وطريف هما شيء آخر غير حسن أو جيد لأنه قد يجوز أن يكون حسن جيد غير غريب ولا طريف فمثل تشبيههم الدروع بحباب الماء الذي تسوقه الرياح فإنه ليس جودة هذا التشبيه تعاور الشعراء إياه قديماً أو حديثاً .

وأما طريف وغريب لم يسبق إليه وهو قبيح بارد فملء الدنيا مثل أشعار قوم من المحدثين سبقوا إلى التردى فيها .

والذي عندي في هذا الباب أن الوصف فيه لاحق بالشاعر المبتدئ بالمعنى الذي لم يسبق إليه لا إلى الشعر ، إذ كانت المعاني مما لا يجعل القبيح منها حسناً لسبق السابق إلى استخراجها ، كما لا يجعل الحسن قبيحاً للغفلة عن الإبتداء .

وأحسب أنه اختلط على كثير من الناس وصف الشعر بوصف الشاعر فلم يكادوا يفرقون بينهما ، وإذا تأملوا هذا الأمر نعيماً علموا أن الشاعر موصوف بالسبق إلى المعاني واستخراج ما لم يتقدمه أحد إلى استخراجها ، لا الشعر .

(١) معاذيل : جمع مفردة معزال وهو من لا رمح معه • الهجاء : الحرب .

ولنتبع بذكر المعاني وهو القسم الرابع من أقسام الشعر المفردات
ذكر الأربعة المركبات التي قدمنا القول فيها في أول الكتاب .
ولنبداً بأولها وهو :

١ - نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى

من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى :

المساواة :

وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص
عنه ، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلاً ، فقال :
كانت ألفاظه قوالب لمعانيه أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على
الآخر .

وذلك مثل قول امرئ القيس :

فإن تكتُمُوا الداء لا تخفِهِ وإن تبَعَثُوا الحربَ لا نَفْقِدُ (١)
وإن تَقْتُلُونَا نُمَتِّلكُمْ وإن تَقْصِدُوا الدَّمَ لا تَنْصُدُ (٢)

ومثل قول زهير :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفي على الناس تُعَلِّمُ (٣)

ومثل قوله :

(١) لا نخفه : لا نظهره ، أي إذا دفنتم ما بيننا من فتن لا نشيرها نحن .
وإن تبعثوا إلى الحرب لا تفقد ويرى لا نقعد . والمعنى انكم إذا أثرت الحرب
ثرتنا بها ولا نفقد .

(٢) وإن تقصدوا الخ أي اردتم حقن الدماء لا نخالفكم في ذلك .

(٣) الخليقة : الطبيعة . والمعنى أن من كتم خليقته على الناس وظن
انها تخفي عليهم فلا بد أن تظهر .

إذا أنت لم تَرَحُلْ عن الجهل والحنأ أصبَتْ حَكِيمًا أو أضابَكَ جاهلٌ^(١)

ومثل قوله :

سعى بعدهم قومٌ لكي يَذكرَهم فلم يَذكرَوا ما أذكرَوه ولم يَألُوا^(٢)

ومثل قول طرفة :

لعمركُ إن الموتُ ما أخطأَ الفتى لكالطَّولِ المرخي وثنيَاهُ باليدِ^(٣)

ستبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتِيكَ بالأخبارِ مَنْ لم تُزودَ^(٤)

ومثل قول خالد بن زهير بن أخي أبي ذؤيب الهذلي :

فلا تجزَعَنَّ من سنة أنت سِرَّتَها فأولُّ راضٍ سنةٌ مَنْ يَسيرُها^(٥)

ومثل قول ليلى الأخيلية :

فلا يَبْعِدَنَّكَ اللهُ يا تَوْبَ إِنَّمَا لِقَاءُ المُنَايا دارعاً مِثْلَ حاسِرٍ^(٦)

ومن أنواع اتئلاف اللفظ والمعنى :

الإشارة :

وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء إليها ،

(١) ترحل : تبعد . الخنا : الفحش . هذا وزهير من أشعر الشعراء الجاهليين ، ومن أصحاب المعلقات وشهر بالحوليات وبالحكمة . توفي نحو ١٣ ق هـ (١ / ٣٧٥ الخزائن - الشعر والشعراء - الاغانى) .

(٢) سعى بعدهم قوم الخ أي تقدم هؤلاء في المجد والشرف وعلو المنزلة وسعى على آثار قوم آخرون لكي يذكروهم فلم يمكنهم .

(٣) لعمرك : بفتح العين أقسم بحياتك ان الموت لا يخطيء الفتى . الطول : الحبل . ثنياء : طرقات .

(٤) ستبدي : ستظهر .

(٥) سنة : طريقة وعمل .

(٦) توب : ترخيم (توبة) وهو توبة الخفاجي المتوفى عام ٦٧ هـ وكان يهيم حباً بليلى وتوفيت ليلى بعده عام ٨٠ هـ .

أو لمحة تدل عليها كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال : هي
لمحة دالة .

ومثل ذلك قول امرئ القيس :

فإن تهلك شئوة أو تبدل فسيري إن في غسان خلا
لعزيم عززت وإن يبدلوا فذلهم أنالك ما أنالا

فبينة هذا الشعر على أن ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إلى معان
طوال ، فمن ذلك قوله « تهلك أو تبدل » ، ومنه قوله « إن في غسان
خلا » ، ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح وهو قوله « أنالك ما أنالا » .

ومثل قول طرفة :

موضوعها زول ومرفوعها مرعاب لحب وسط الريح

فقوله « زول » مُشارٌ به إلى معان كثيرة وهو شبيه بما يقول الناس
في إجمال نعت الشيء واختصاره : عجب .

وقال آخر :

هاج ذا القلب من تذكر جميل ما يهيج المتيم المحزوننا

فقد أشار هذا الشاعر بقوله « ما يهيج المتيم المحزوننا » إلى معان
كثيرة .

ومثل قول امرئ القيس :

على هيكلي يعطيك قبل سؤاله أفانين جرئ غير كز ولا وافي^(١)

فقد جمع بقوله « أفانين » جرى على ما لو عد لكان كثيرًا ، وضم

(١) على هيكلي : فرس طويل جميل ذو روعة • أفانين : ضروب •
غير كز : ليس بالمتنقبض • ولا وان : غير فاتر •

إلى ذلك أيضاً جميع أوصاف الجودة في هذا الفرس ، وهو قوله
« قبل سؤاله » أي يذهب في هذه الأفانين طوعاً من غير حث ، وفي
قوله « كز ولا واني » ينفي عنه أن يكون معه الكزازة من قبل الجراح
والمنازعة والوني من قبل الإسترخاء والفترة .

ومثله أيضاً قوله يصف ذنباً :

فَظَلَّ كَمَثَلِ الْخِشْفِ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ مِثْلَ التَّرَابِ الْمَدْقَقِ^(١)
وَجَاءَ خَفِيًّا يَسْفِنُ الْأَرْضَ بَطْنُهُ تَرَى التَّرَبَّ مِنْهُ لَازِقًا كُلَّ مَلْزَقِ^(٢)

في هذا الشعر إجمال للمعاني كثير ، وأؤكد ما فيه من ذلك قوله
« كل ملزق » .

ومثل قول زهير :

فَإِنِّي لَوْ لَقَيْتُكَ وَاتَّجَّهْتَا لَكَانَ لِكُلِّ مُنْكَرَةٍ كِفَاءُ^(٣)

ومثل قول أوس بن حجر :

فَإِنْ يَهْوَى أَقْوَامٌ رِدَائِي فَلِئَنِّي يَبْقِيَنِ الْإِلَهُ مَا وَقَى وَرْدَائِيَا

ومثل قول قتادة بن طارق الأزدي :

أَهَاجَاكَ رَيْعٌ قَدْ نَحْمَلُ حَاضِرَهُ وَأَوْحَشَ بَعْدَ الْحَيِّ مِنْهُ مَنَظَرَهُ

(١) الخشف : مثلاة ولد الظبي أول ما يولد . مثل التراب المصوقه بالارض .

(٢) يسفن الارض : يقشر الارض ببطنه لازقا كل ملزق . ويروي لاصفا كل ملصق . هذا وامرؤ القيس زعيم الشعراء الجاهليين ومن أصحاب المعلقات وأول من تفتح به صفحة الشعر والشعراء في اللغة العربية .

(٣) منكرة : خبيثة . كفاء : أي شيء يكافئه .

يقول : ما تنظر إلى موضع منه إلا ذكرت فيه من الأنس ممن كان
يحله ما قد أوحش في هذا الوقت بخلوه منه .

وللعامية :

كيف الفخارُ وقد صاروا لُنسوتكم يومَ الفخارِ بنو ذبيانَ أرباباً
إذ جزَّ ناصيتي حصنٌ وأعتقي وذلكَ شيبَ مني اليومَ ما شاباً

ولامرىء القيس :

فقالَ لنا يومٌ لذيذٌ بنعمةٍ فقلُّ في مقلبِ نَحْنُ متغيِّبُ

ولامرأة من عكل :

يا ابنَ الدَّعي إنها عكلٌ فقَيفُ لتعلمنَ اليومَ إن لم تنصرف^(١)
أنَّ الكريمَ واللَّيْمَ يختلفُ

ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى :

الإرداف (٢) :

وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ
الدا ل على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له ،
فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع بمتزلة قول الشاعر (٣) :

بعيدة مهوى القرط إما لتوفل أبوها وإما عبدُ شمسٍ فهاشمُ

ولأنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص

(١) العكل : بالكسر والضم اللئيم وجمعه أعكال .

(٢) يريد به الكناية .

(٣) هو عمر بن أبي ربيعة المخزومي المتوفى عام ٩٢ هـ . بعيدة مهوى
القرط : طويلة العنق .

به ، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد : وهو بعد مهوى القرط .

ومثله قول امرئ القيس :

ويُضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل^(١)

وإنما أراد امرؤ القيس أن يذكر ترفه هذه المرأة وأن لها من يكفيها فقال : « نؤوم الضحى » وأن فتيت المسك يبقى إلى الضحى فوق فراشها ، وكذلك سائر البيت ، أي هي لا تنتطق لتخدم ولكنها في بيتها متفضلة ، ومعنى عن هذا البيت معنى بعد كذلك قوله :

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل^(٢)

فإنما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة وأنه جواد فلم يتكلم باللفظ بعينه ولكن بأردافه ولواحقه التابعة له ، وذلك أن سرعة إحضار الفرس يتبعها أن تكون الأوابد وهي الوحوش كالمقيدة له إذا نحا في طلبها ، والناس يستجيدون لامرئ القيس هذه اللفظة فيقولون هو أول من قيد الأوابد ، وإنما عني بها الدلالة على جودة الفرس وسرعة حضره ، فلو قال ذلك بلفظه لم يكن عند الناس من الإستجادة ما جاء من إتيانه بالردف له ، وفي هذا برهان على أن وضعنا الإرداف من أوصاف الشعر ونعوته واقع بالصواب .

(١) الفتيت : ما تفتت من المسك عن جلدتها • نؤوم الضحى : التي تنام في وقت الضحى لأن لها من الخدم والحشم من يكفيها ويقوم بلوازم بيتها • لم تنتطق : لم تجعل في وسطها نطاقا للعمل في البيت •

(٢) اغتدى : أسير غداة • الوكنات جمع وكنة بضم فسكون وهي عش الطائر • المنجرد : الماضي في السير وقيل هو القليل الشعر • الأوابد : الوحوش النافرة وقيد الأوابد : مبالغة في سرعة العدو : الهيكل : الضخم من كل شيء ويوصف به الفرس الطويل وامرؤ القيس أول من قيد الأوابد وأشعر الشعراء في وصف الفرس •

ومنه قول ليلي الأخيلية^(١) :

ومحرق عنه القميص تخالؤه بين البيوت من الحياء سقيما

فلنما أرادت وصفه بالحدود والكرم فجاءت بالإرداف والتوابع
لها أما ما يتبع الحدود فإن « محرق عنه القميص » المنعوت فسر أن العقاة
تجذبه فتحرق قميصه من مواصلة جذبهم إياه ، وأما ما يتبع الكرم
فالحياء الشديد الذي كأنه من إماتة نفس هذا الموصوف وإزالته عنه
الأشر بخال سقيما .

ومنه أيضاً قول الحكم الخضري :

قد كان يُعجبُ بعضهنَّ براعتي حتى سمعنَ تتحنَّحنِ وسُعالِي

فأراد وصف الكبر لا باللفظ بعينه ولكنه أنى بتوابعه وهي السعال
والتحنح .



ومن هذا النوع ما يدخل في الأبيات التي يسمونها أبيات المعاني
وذلك إذا ذكر الردف وحده وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير
ظاهر أو كانت بينه وبينه أرداف آخر كأنها وسائط وكثرت حتى لا
يظهر الشيء المطلوب بسرعة إذا غمض ؛ ولم يكن داخلاً في جملة
ما ينسب إلى جيد الشعر إذ كان من عيوب الشعر الإنغلاق وتعذر
العلم بمعناه .

ومن نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى :

التمثيل :

وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى

(١) شاعرة : عاشت العصر الاسلامي ، وشيبت بها قومه الخفاجي
(المتوفى عام ٦٧ هـ) وتوفيت عام ٨٠ هـ .

آخر وذلك المعنى الآخر والكلام يبينان عما أراد أن يشير إليه .

ومثال ذلك قول الرماح بن ميادة^(١) :

ألم تكُ في يُسْنَى بِدَيْكَ جَعَلْتَنِي فلا تجعلني بعدها في شمالكا
ولو أني أذنبْتُ ما كنتُ هالكا على خِصْلَةٍ من صالحات مهالكا

فعدل أن يقول في البيت الأول إنه كان عنده مقدماً فلا يؤخره ،
أو مقرباً فلا يبعده ، أو مجتنباً فلا يجتنبه ، إلى أن قال : إنه كان في
يمنى يديه فلا يجعله في اليسرى ، ذهاباً نحو الأمر الذي قصد الإشارة
إليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له ، والإبداع في المقالة ؛ وعلى
ذلك قول عمير بن الأبيهم :

راح القطين من الأوطان أو بكثروا وصدّ قوامن نهار الأمس ما ذكروا^(٢)
قالوا لنا وعرفنا بُعدَ بينهم قولاً فما وردوا عنه وما صدروا^(٣)

فكان يستغني عن قوله « فما وردوا عنه وما صدروا » بأن يقول :
فما تعدوه أو يقول : فما تعدوه أو فما تجاوزوه ، ولكن لم يكن له
من موقع الإيضاح وغرابة المثل ما لقوله « فما وردوا عنه ولا صدروا »

ومن هذا قول بعض بني كلاب :

دع الشرَّ واحللْ بالنَّجاة تعزُّلاً إذا هو لم يَصْبُغْ في الشرِّ صابغ^(٤)

(١) أمه أم ولد بربرية وهو شاعر من شعراء مخضرمي الدولتين وكان
جيد الغزل ، توفي عام ١٤٩ هـ (٢ / ٨٠ - ١١٦ الاغانى - ١١ / ١٤٣ -
١٤٨ معجم الادباء - ١٠٥ - ١٠٩ طبقات الشعراء لابن المعتز) .

(٢) القطين : المقيمون من الاحباب . ما ذكروا : من العزم على الرحيل .

(٣) البين : الفرقة .

(٤) تعزلاً : تنحياً على جنب .

ولكن إذا ما الشرُّ نَارَ دفينه عليك فانضج منه ما أنت دابغ^(١)

فأكثر اللفظ والمعنى في هذين البيتين جار على سبيل التمثيل ، وقد كان يجوز أن يقال مكان ما قيل فيه : دع الشر ما لم تنشب فيه فإذا نشبت فيه فبالغ ولكن لم يكن لذلك من الحظ في الكلام الشعري والتمثيل الظريف ما لقول الكلابي .

ومن هذا قول الآخر :

تركتُ الركابَ لأربابها وأكرهتُ نفسي على ابن الصَّعقِ
جعلتُ يَدَيَّ وشاحاً له فأجزأ ذاكَ عن المعتنقِ

قوله « جعلت يدي وشاحاً » إشارة بعيدة بغير لفظ الإعتناق وهي دالة عليه .

ومنه قول يزيد بن مالك الغامدي :

فإن أسمعوا ضَبْحاً زأرنا فلم يكن شبيهاً بزأر الأسد ضبح الثعالب

فقد أشار إلى قوتهم وضعف أعدائهم إشارة مستغربة لها من الموقع بالتمثيل ما لم يكن لو ذكر الشيء المشار إليه بلفظ .

ومثل ذلك قول عبد الرحمن بن علي بن علقمة بن عبدة :

أوردتهم وصدورُ العيس مُسْتَفِقَةٌ والصبح بالكوكب الدُّري منحور^(٢)

فقد أشار إلى الفجر إشارة ظريفة بغير لفظه .

وكذلك قول اللعين المتقري يصف ناره :

(١) الدفين : الخفي .

(٢) العيس : بالكسر الأبل البيض يخالط بياضها شقرة • مستفقة : بفتح النون خاص بالبعير يقال أسنف البعير قدم عنقه للسير .

رأى أم نيران عواناً تكفيها بأعرافها هُوج الرياح الطرائد^(١)
فقد أوماً بقوله « أم نيران » إلى قدمها و « عواناً » إلى كثرة عاداته
لإيقادها إيماءً غريباً ظريفاً وإن كانت العرب تذكر ذلك في النار كثيراً.

وقال بعض الأعراب :

فنى صدمته الكأسُ حتى كأنما به فالجٌ من دائها فهو يرعشُ
فالكأس لا تصدم ، ولكنه أشار بهذا التمثيل إشارة حسنة إلى
سكره .

وقال عباس بن مرداس^(٢) :

كانوا أمام المسلمين رديئةً والبيضُ يومئذٍ عليهم أشمسُ
يريد أن البيض عليهم قد صارت شمساً .

★ ★ ★

وقد يضع الناس من صفات الشعر المطابق والمجانس وهما داخلان
في باب ائتلاف اللفظ والمعنى ، ومعناها أن تكون في الشعر معان
متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة ، فأما
المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها مثل قول زياد الأعجم :
ونُبئتُهم يستنصرون بكاهلٍ واللؤم فيها كاهلٌ وسنّام

وقال الأفوه الأزدي :

واقطع الهوجل مستائساً بهوجل عيْدانة عَنَتريس^(٣)

(١) الهوجاء : الريح التي تطلع البيوت والجمع هوج وقال ابن الاعرابي
هي الشديدة الهبوب من جميع الرياح .

(٢) شاعر صحابي جليل وهو من المخضرمين .

(٣) العنتريس : الناقة الغليظة الوثيقة .

فلفظة الهوجل في هذا الشعر واحدة قد اشتركت في معنيين ، لأن الأول يعني الأرض والثاني الناقة .

وكذلك قول أبي دؤاد الإيادي :

عهدت لها متزلاً دائراً وإلا على الماء يحملن إلا
فإلا الأولى في المعنى غير الثاني لأن الأول أعمدة الخيام ، والثاني
من السراب .

وأما المجانس فأن تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على
جهة الإشتقاق ، مثل قول زهير :

كأن عيني وقد سال السليل بهم وجيرة ماؤهم لو أنهم أمم^(١)

ومثل قول العوام في يوم العظالي :

وفاض أسيرها به وكأنما مفارق مفروق تغشين عندما

ومثل قول حيان بن ربيعة الطائي :

لقد علم القبائل أن قومي لهم حد إذا ليس الحديد

ومثل قول الفرزدق :

جفاف أجف الله منه سحابة وأوسعه من كل ساف وصاحب^(٢)

ومثل قول الكميت^(٣) :

(١) السليل : واد بعينه وما عنا زائدة . الامم : القصد والقرب .
وجواب لو محذوف .

(٢) سفت الريح التراب تسفيه ذرته ، والفرزدق : شاعر العصر الأموي
وناقص جريراً طول حياته ، وكان يقال : لولا الفرزدق لذهب ثلث العربية -
توفي عام ١١٠ هـ .

(٣) الكميت بن زيد الأسدي شاعر الشيعة توفي عام ١٢٦ هـ .

فقل لبلدام قد جذمتم وسيله إلبنا كمختار الرداف على الرّحل^(١)

ومثل قول مسكين الدارمي :

وأقطع الخريق بالخرقاء لاهية إذا الكواكب كانت في السما سُرُجا

وكما قال النعمان بن بشير لمعاوية بن أبي سفيان :

ألم تبتدركم يوم بدر سيفنا وليك عما ناب قومك نائم

وقال ذو الرمة :

كأن البري والعاج عيجت متونه على عشر نهي به السبل أبطح^(٢)

وقال رجل من بني عبس :

إن ذل جاركم بالكثرة حالفكم وإن أنفكم لا يعرف الأنفا

وقال المرار :

واعطيفني أن أرى وزائراً واختلف الحي قوماً خلوقاً

(١) الرداف • بوزن كتاب : الموضع يركبه الرديف •

(٢) البري: الخلاخيل • وذو الرمة شاعر أموي مجيد - توفي عام ١١٧ هـ •

نعت ائتلاف اللفظ والوزن

وهو أن تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت لم يضطر الأمر في الوزن إلى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها ، وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلفة منها وهي الأقوال على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه ، ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره منها ، ولا اضطر أيضاً إلى إضافة لفظة أخرى يلتبس المعنى بها ، بل يكون الموصوف مقلماً والصفة مقولة عليها ، وغير ذلك مما لو ذهبنا إلى شرحه لاحتجنا إلى إثبات كثير من صناعاتي المنطق والنحو في هذا الكتاب ، فكان يصعب النظر فيه على أكثر الناس ، ولكن في ما أجملته في هذا القول وأشرت إليه من التنبيه على الطريق التي يعرف بها جودة هذا الباب ما كفى ، وأغنى عند ذوي القرائع السليمة ، ومن قد تعلق ببعض الآداب السهلة .

ومن هذا الباب أيضاً أن لا يكون الوزن قد اضطر إلى إدخال معنى ليس الغرض في الشعر محتاجاً إليه ، حتى إذا حذف لم تنقص الدلالة لحذفه أو إسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود إلا به ، حتى إن فقدته قد أثر في الشعر تأثيراً بان موقعه . ولم آت في هذا الباب بأمثلة لأن كل شعر سليم ، مما ذكرت ، مثال لذلك ، فأما الأشعار التي (لم) تسلم منه فأنا أذكرها في باب عيوب الشعر إن شاء الله تعالى .

نعت ائتلاف المعنى والوزن

هو أن تكون المعاني تامة مستوفاة لم تضطر بإقامة الوزن إلى نقصها عن الواجب ولا إلى الزيادة فيها عليه ، وأن تكون المعاني أيضاً مواجهة للغرض لم تمتنع عن ذلك وتعذر عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته ، والسبب في تركنا أن نأتي لهذا الجنس بأمثلة من الشعر هو السبب في تركنا ذلك في باب ائتلاف اللفظ مع الوزن ، ونحن نذكر ما يجب ذكره من أمثلة عيوب هذا الباب في جملة ما سنذكره من عيوب الشعر .

نعت ائتلاف القافية

هو مع ما يدل عليه سائر البيت أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملاءمة لما مر فيه .

فمن أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر معنى البيت :

التوشيح :

وهو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به حتى إن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته .

مثال ذلك قول الراعي ^(١) :

وَأَنْ وَزِنَ الْحَصَى فَوَزَنْتُ قَوْمِي وَجَدْتُ حَصَى ضَرِيْتَهُمْ رَزِينًا

فلذا سمع الإنسان أول هذا البيت استخرج منها لفظة قافيته ، لأنه يعلم أن قوله وزن الحصى سيأتي بعده رزين لعلتين :

أحدهما : أن قافية القصيدة توجه .

والأخرى : أن نظام المعنى يقتضيه لأن الذي يفاخره برجاحة الحصى يلزمه أن يقول في خصاه إنه رزين .

وقول عباس بن مرداس :

هَمْ سَوْدُوا هَجْنَا وَكُلَّ قَبِيلَةٍ يَبِينُ عَنْ أَحْسَابِهَا مَنْ يَسُودُهَا

فمن تأمل هذا البيت وجد أوله يشهد بقافيته .

(١) من شعراء العصر الأموي المجيدين وكان قوله كله يذهب في البديع كما يقول الجاحظ في البيان والتبيين - توفي عام ٩٠ هـ .

وقول نصيب (١) :

فقد أبقتُ أن سترولَ ليلٍ وتُحجّبَ عنكَ إنْ نَفَعَ اليَقينُ

وقول مضر بن ربيعي :

تَمَنَيْتُ أَنْ أَلْقَى سَلِيمًا وَمَالِكًا عَلَى سَاعَةٍ نُنْسِي الْحَلِيمَ الْأَمَانِيَا

ومن أنواع ائتلاف القافية مع سائر معنى البيت :

الإيغال

وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية في ما ذكره صنع ثم يأتي بها لحاجة الشعر فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى في البيت كما قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِيَابِنَا وَأَرْحَلْنَا الْجَزْعَ الَّذِي لَمْ يُثْقَبُ (٢)

فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملاً قبل القافية ، وذلك أن عيون الوحش شبيهة به ثم لما جاء بالقافية أوغل بها في الوصف ووكده وهو قوله « الذي لم يثقب » فإن عيون الوحش غير مثقبة وهي بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه .

وقال زهير :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِيْنِ فِي كُلِّ مَتَرٍ نَزَلَتْ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحَاطَمِ (٣)

(١) نصيب شاعر اموي مشهور توفي عام ١٥٥ هـ - ونصيب الاصغر شاعر من مخضرمي الدولتين توفي عام ١٧٥ هـ .

(٢) الجزع : بكسر الجيم وفتحها الحرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض قد شبهت به العيون .

(٣) الفتات : ما تفتت من الشيء . وزهير من أعلام الشعراء الجاهليين ، وكان حكيم الشعراء في الجاهلية - توفي نحو عام ١٢ هـ (الخزائن ١/ ٢٧٥ ، الشعر والشعراء ١/ ٨٦ - ١٠٣ ، وغيرها) .

فالمعنى هو الصوف الأحمر ، والفنا حب تنبته الأرض أحمر فقد أتى على الوصف قبل القافية لكن حب الفنا إذا كسر كان مكسره غير أحمر فاستظهر في القافية لما أن جاء بها بأن قال « لم يحطم » فكأنه وكد التشبيه بإيغاله في المعنى .

ومثله :

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه^(١) تقول هزيرُ الريح مرّت بأثاب^(٢)

فقد تم الوصف والتشبيه قبل القافية لأنه يكفي أن يشبه حفيف جري الفرس بالريح ، فلما أتى بالقافية أوغل إيغالا زاد به في المعنى وذلك أن الأثاب شجر للريح في أغصانه حفيف شديد . ومما يدل على أن المعاني قد كانت في نفوس الناس قديماً أن أبا العباس محمد بن يزيد النحوي^(٣) قال حدثني الثوري قال قلت للأصمعي : من أشعر الناس ؟ فقال : من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً أو إلى الكبير فيجعله بلفظه خسيساً أو ينقضي كلامه قبل القافية ، فلو احتاج إليها أفاد بها معنى ، قال : قلت نحو من ؟ قال : نحو ذي الرمة حيث يقول :

قف العيس في أطلال مية فاسأل رؤوماً كأخلاق الرداء المسلسل^(٤)

فتم كلامه قبل المسلسل ثم قال المسلسل فزاد شيئاً ثم قال :

أظن الذي يجدي عليك سؤالها دُموعاً كتبديد الجمّان المفصل^(٥)

فتم كلامهم ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل » فزاد شيئاً ، قال قلت : ونحو من ؟ قال : الأعشى حيث قال :

(١) الشاو : الامد والمسافة : هزير الريح : صوته ودويه والبيت لامرئ

القيس .

(٢) هو المبرد صاحب الكامل توفي عام ٢٨٥ هـ .

(٣) العيس : بالكسر الابل الابيض يخالط بياضها شقرة .

(٤) الجمّان : اللؤلؤ .

كَنَاطِيحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَقْلِقَهَا فلم يُضَيِّرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلَ^(١)

فتم مثله إلى قوله « قرنه » ثم احتاج إلى القافية فقال « الوعل »
مفصلاً على كل ما ينطح ، قال : كيف ؟ قال : لأنه ينحت من قلة
الجبل على قرنه فلا يضره .

(١) ليفلقها : يروى ليوهنها • الوعل : تيس الجبل والاعشى هو أبو
بصير ميمون بن قيس توفي عام ٧ هـ (الاغانى ٨ / ٧٤ - ٨٢ - المؤلف
١٢ - الخزائن ١ / ٨٣ الشعر والشعراء ١ / ٢١٢ - ٢٢٣ - معجم الشعراء
٤٠١ و ٤٠٢ - رغبة الامل ٤ / ٧٠ - معاهد التنصيص ١ / ١٩٦) •

الفصل الثالث

وإذ قد أتيت على ما ظننت أنه نعت للشعر وعددت أجناس ذلك
وفصلت أنواعه ، فالآن أحب أن ابتدئ بذكر عيوب الشعر وأذكر
أجناس ذلك على الترتيب الذي رتبته النعوت عليه وتحسب تلك السياقة .

عيوب اللفظ

أن يكون ملحوناً وجارياً على غير سبيل الإعراب واللفظة ، وقد
تقدم من استقصى هذا الباب ، وهم واضعو صناعة النحو ، وأن
يرتكب الشاعر فيه ما ليس يستعمل ولا يتكلم به إلا شاذاً ، وذلك هو
الحوشي الذي مدح عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته له وتنكبه إياه فقال :
كان لا يتبع حوشي الكلام .

وهذا الباب مجوز للقدماء ليس من أجل أنه حسن لكن من شعرائهم
من كان أعرابياً قد غلبت عليه العجرفة ومست الحاجة إلى الإستهزاء
بأشعارهم في الغريب ، ولأن من كان يأتي منهم بالحوشي لم يكن
يأتي به إلا على جهة التطلب والتكلف ، لما استعمله منه لكن بعادته ،
وعلى سجية لفظه ، فأما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون منه بما ينافر
الطبع وينبو عنه السمع مثل شعر أبي حزام غالب بن الحارث العكلي
وكان في زمن المهدي وله في أبي عبيد الله قصيدة أولها :

تذكرت سلمى وإهلاستها فلم أنس والشوق ذو مطرؤه^(١)

وفيها يقول :

فحي الوزير إمام الهدى وهو بالأرب ذو محجؤه^(٢)

(١) راجع القصيدة في الموشح للمرزياني ص ٣٥٤ .

(٢) فحى بالارب ، الموشح .

يَسُوسُ الْأُمُورَ فَتَأْتِي لَهُ وَمَا فِي عَزِيمَتِهِ مَنَهُوَّةٌ
وَقِي بِالْأَمَانَةِ صَفْوَةَ الثَّقَى وَمَا الصَّفْوَةُ بِالرُّنْقِ الْمَحْمُوءَةِ
وَعِنْدَ مُعَاوِيَةَ الْمُصْطَقَى حَيًّا غَيْرُ مَا جِ وَلَا مَطْرُوءَةٍ
فَقَالَ الْوَزِيرُ الْأَمِينُ انْظِمُّوا قَرِيضًا عَوِيضًا عَلَى اللُّؤْلُؤَةِ
فَقِيدَتْ مُرْتَفِقًا وَحِيَّةً بَغِيرِ انْصِبَابٍ إِلَى الْمَشْكُوءَةِ
سَعِيدِي مِنَ الْحَقِّ ذُو فِطْنَةٍ مَعِي فِي الْعَوَاقِبِ وَالْمِيدُوءَةِ
بُيُوتًا عَلِيًّا لَهَا وَجْهَةٌ بَغِيرِ السَّنَادِ وَلَا الْمَكْفُوءَةِ

ومثل شعر أحمد بن جحدر الخراساني في مالك بن طوق ، ويقال
إنها لمحمد بن عبد الرحمن الغربي الكوفي في عيسى الأشعري :

هَيَّا مَنْزِلَ الْخِيِّ حَيْثُ الْفَضَا سَلَامُكَ إِنَّا النَّوَى تَصِيرُ
وَيَاطِلَا آيَةَ مَا ارْتَمَتْ بِلَيْلَاكَ غُرْبَتُهَا الْمِرْجَمُ
حَلَفْتُ بِمَا أَرْقَلْتُ نَحْوَهُ هَمَرْجَلَةٌ خَائِقُهَا شَيْطَنُ^(١)
وَمَا شَرَقْتُ مِنْ تَنُوفِقَةٍ بِهَا مِنْ وَحْيِ الْجِنِّ زَنْزَرُومُ^(٢)

فبلغني أنه أنشد ابن الأعرابي هذه القصيدة فلما بلغ إلى ههنا
قال له ابن الأعرابي إن كنت جاداً فحسبك الله .

ومنها :

لَأَمْ لَكُمْ تَجَلَّتْ مَالِكًا مِنْ الشَّمْسِ لَوْنَجَلْتُ أَكْرَمُ
وَمِنْ أَيْنِ مِثْلَكَ ؟ لَا أَيْنَ هُوَ ؟ إِذَا الرِّيقُ أَقْفَرَ مِنْهُ الْقَمُ^(٣)

(١) الهرجلة : السريعة • الشيطم : الطويل الجسم •

(٢) بها من وحى الجن : يروى في الموشح نقلا عن هذا الكتاب من وحى
الجن •

(٣) أقفر منه : ذهب منه •

ومن الأعراب أيضاً مَنْ شعره فظيع التوحيش ، مثل ما أنشدناه
أحمد بن يحيى عن أبي الأعرابي لمحمد بن علقمة التميمي ، يقولها
لرجل من كلب ، يقال له ابن الفنسخ وورد عليه فلم يسقه :

أفرخ إذا كلب وأفرخ أفرخ	أخطأت وجه الحق في التَطَخُخ ^(١)
أما ورب الرأقصات الزمخ	يخرجن ما بين الجبال الشمخ ^(٢)
يزرن بيت الله عند المصرخ	لتطمخن برشاً ممطخ ^(٣)
ماء سوى مائي يا ابن الفنسخ	أو لتجشن بوشي بخ بخ ^(٤)
من كيس ذي كيس وضأن منفخ	قد ضمه حولين لم بسنخ
صم الصماليخ	صماخ الأصلخ

ومن عيوب اللفظ :

المعاظلة :

وهي التي وصف عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبتها لها أيضاً حيث
قال وكان لا يعاظر بين الكلام ، وسألت أحمد بن يحيى عن المعاظلة
فقال مداخلة الشيء في الشيء ، يقال تعاظلت الجرادتان وعاظلت الرجل
المرأة إذا ركب أحدهما الآخر وإذا كان الأمر كذلك فمن المحال
أن تنكر مداخلة بعض الكلام في ما يشبهه من وجه أو في ما كان من
جنسه وبقي التكثير إنما هو في أن يدخل بعضه في ما ليس من جنسه وما
هو غير لائق به وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة .

(١) أفرخ إذا كلب . وأفرخ : سكن

(٢) الزمخ : المتكبرين . الشمخ : العالية .

(٣) المصرخ : الميت والمعين .

(٤) بخ بخ : عظيم . وبخ يقال وحدها وتكرر .

مثل قول أوس :

وَذَاتُ هَدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تَصَّتْ بِالْمَاءِ تَوَلَّباً جَدْعاً (١)

فسمى الصبي تولباً وهو ولد الحمار .

ومثل قول الآخر :

وَمَا رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتَهُ عَلَى الْبَكْرِ يَمْتَرِيهِ بِسَاقٍ وَحَافِرٌ (٢)

فسمى رجل الإنسان حافراً فإن ما جرى هذا المجرى من الإستعارة قبيح لا عذر فيه .

وقد استعمل كثير من الشعراء الفحول المجيدين أشياء من الإستعارة ليس فيها شناعة كهذه وفيها لهم معاذير إذا كان مخرجها مخرج التشبيه .

فمن ذلك قول امرئ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً يَكْلُكُلُ (٣)

فكانه أراد أن هذا الليل في تطاوله كالذي يتمطى بصلبه لا أن له صلباً وهذا مخرج لفظه إذا تؤمل (٤) .

ومنه قول زهير :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَأَقْصَرَ بِأَطْلُهُ وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبِيِّ وَرَوَّاحِلُهُ (٥)

(١) راجع شرح هذا البيت في صفحة ١١٩ وأوسق شاعر جاهلي مجيد، وهو أوس بن حجر .

(٢) البكر : الفتى من الإبل .

(٣) تمطى : طال . أو تمدد وتطاول بصلبه الأرداف . ناء : نهض . الكلكل : الصدر . والجمع كلاكلكل .

(٤) يعيب قدامة البيت ، وهو في عرف جميع النقاد من أروع الصور الشعرية .

(٥) أقصر : كف . باطله : صباه ولهوه . عرى : ترك .

فكان مخرج كلام زهير إنما هو مخرج كلام من أراد أنه كما أن
الأفراس للحرب وإنما تعرى عند تركها ووضعها فكذلك تعرى أفراس
تعرى أفراس الصبي إن كانت له أفراس عند تركه والعزوف عنه (١) .

وكذلك قول أوس بن حجر :

وإني امرؤٌ أعددتُ للحرب بعداً
رأيتُ لها ناباً من الشر أعصلاً

فإنه إنما أراد أن هذه الحرب قديمة قد اشتد أمرها كما يكون
ناب البعير أعصل إذا طال عمره واشتد .

وكذلك قول عنترة العبسي :

جادت عليها كلُّ بكرٍ حرّةٍ
فتركن كلَّ قرارةٍ كالدرهم (٢)

وقول طفيل الغنوي :

وحملتُ كؤوري خلفَ ناجيةٍ
يقتاتُ شحمَ ستامها الرّحل (٣)

وقول عمرو بن كلثوم :

ألا أبلغ النعمانَ عني رسالةً
فمجدك حولي وأؤمك قارح (٤)

وقول أبي ذؤيب الهذلي :

(١) يعيب قدامة البيت وهو من أبلغ وأروع الشعر .

(٢) جادت نزلت بكثرة البكر : من السحاب السابق . الحرة من كل
شيء خالصه والمراد هنا البيضاء . القرارة : القاع المستدير المنخفض كالدرهم
في الاستدارة والبيت من أروع صور التشبيه عند جميع النقاد الاقدامية .

(٣) ما أروع صورة الاستعارة في هذا البيت الذي عابه قدامة .

(٤) القارح : هو الذي انتهت أسنانه وإنما تنتهي في خمس سنين لانه
في السنة الأولى حولي ثم جدع ثم ثنى ثم رباع ثم قارح .

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفت كل نيمة لا تنفع^(١)

وقول أوس بن معز يهجو بني عامر :

يشيبُ على لؤم الفِعال كبيرُها ويغدّي بشدّي اللؤم منها وكيدُها

وقال المخبل :

يُعالج عِزاً قد عسا عظام رأسه قراسية كالفحل يصرفُ بازله^(٢)

فما جرى هذا المجزى مما له مجاز كان أخف وأسهل مما فحش ولم يعرف له مجاز وكان منافراً للعادة بعيداً مما يستعمل الناس مثله.

★ ★ ★

ولنتبع الكلام في عيوب اللفظ عيوب الوزن .

(١) المنيّة : الموت • أنشبت : علقّت • التميّة : التعميضة ، والبيت من أجل صور الاستعارة عند الجميع ما عدا قدامة •

(٢) القراسية : بالضم وتخفيف الياء الضخم الشديد من الابل ، والصريف صوت يحدث من احتكاك الاسنان : البازل : السن تطلع في وقت البزول • والبزل الشق •

الكلام في عيوب الوزن

من عيوبه الخروج عن العروض، وقد تقدم من استقصى هذه الصناعة إلا أن من عيوبه التخلع، وهو أن يكون قبيح الوزن قد أفرط تزحيفه وجعل ذلك بنية للشعر كله حتى ميله إلى الانكسار وأخرجه من باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة إلى ما ينكره حتى ينعم ذوقه أو يعرضه على العروض فيصح فيه، فإن ما جرى هذا المجرى من الشعر ناقص الطلاوة قليل الخلاوة.

وذلك مثل قول الأسود بن يعفر (١) :

لَنَا ذِمَّةٌ عَلَى مَا خَيَّلَتْ	سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ وَعَمْرُو بْنُ تَمِيمٍ
وَضِيَّةُ الْمُشْتَرِي الْعَارِ بِنَا	وَذَاكَ عَمَّ بِنَا غَيْرُ رَجِيمٍ
لَا يَتَهَوَّنُ الدَّهْرُ عَنْ مَوَالِي لَنَا	قَوْرَكَ بِالْهَمِّ حَافَاتِ الْأَدِيمِ
وَنَحْنُ قَوْمٌ لَنَا رِمَاحٌ	وَثَرَةٌ مِنْ مَوَالٍ وَصَمِيمِ
لَا نَشْكِي الْوَصْمَ فِي الْحَرْبِ	وَلَا نُنُّ كَنَانَاتِ السَّلِيمِ

ومثل قول عروة بن الورد (٢) :

يَا هِنْدُ بِنْتُ أَبِي ذَرَّاعٍ	أَخْلَفْتَنِي ظَنِّي وَتَرْتَنِي عَشْقِي
وَنَكَحْتَ رَاعِي ثَلَاثَةَ يَنْمَرَهَا	وَالدَّهْرَ قَائِثُهُ بِمَا يُبْقِي

ومثل قصيدة عبيد بن الأبرص وفيها أبيات قد خرجت عن العروض البتة، وقبح ذلك جودة الشعر حتى أصاره إلى حد الرديء، فمن ذلك قوله :

(١) راجع الموشح ص ٨٢، حيث ذكر أن هذه الأبيات تنسب لغيره أيضا.
(٢) من صعلاليك العرب والشعراء في الجاهلية.

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

فهذا معنى جيد ولفظ حسن ، إلا أن وزنه قد شأنه وقبح حسنه ، وأفسد جيده (١) ، فما جرى من التزحيف في القصيدة أو الأبيات كلها أو أكثرها كان قبيحا ، من أجل إفراطه في التخليع مرة ، ومن أجل دوامه وكثرته ثانية ، وإنما يستحب من التزحيف ما كان غير مفرط ، وكان في بيت أو بيتين من القصيدة من غير توال ولا إتساق ، ولا إفراط يخرج به عن الوزن مثل ما قال متمم ابن نويرة :

وقد بني أم تداعوا فلم أكن^{*} خلافتهم لأستكين وأضرعا

فأما الإفراط والدوام [فهو] قبيح .

وقال إسحاق يحكى عن يونس (٢) أنه قال : أهون عيوب الشعر الزحاف وهو أن تنقص الجزء عن سائر الأجزاء . فمنه ما نقصانه أخفى . ومنه ما هو أشنع وهو جائز في العروض .

قال خالد ابن أخي أبي ذؤيب الهذلي (٣) :

لعلك إماماً أم عمرو تبدلت^{*} سواك خيلاً شامي تستخيرها

فهذا مزاحف في كاف سواك ومن أنشد خيلاً سواك كان أشنع (٤) قال : كان الخليل بن أحمد رحمه الله يستحسنه في الشعر

(١) القصيدة من مطلع البسيط وليس في وزنها شيء من القبح . وما حدث فيها من زحاف فهو مقبول .

(٢) من أئمة النحاة توفي عام ١٨٠ هـ .

(٣) صحح بأنه خالد بن زهير وأبو ذؤيب خاله (ديوان الهذليين القسم الاول ص ١٥٦) .

(٤) لأن القبض في فعولن حسن وفي مفاعيلن قبيح .

إذا قل منه البيت والبيتان ، فإذا توالى و كثر في القصيدة سمج .
قال إسحاق : فإن قيل كيف يستحسن وهو عيب ؟ قلنا : قد
يكون مثل هذا الحول واللتغ في الجارية يشتهى القليل منه فإن
كثر هجن وسمج ، والوضوح في الخليل يشتهى . ويستظرف خفيفة
الغرة والتحجيل ، فإذا فشا وكثر كان هجنة ووهنا ، قال : وخفيف
البلق يحتمل ولم أر أبلق سابقاً ولم أسمع به .

★ ★ ★

ولتبع الكلام في عيوب الوزن عيوب القوافي .

الكلام في عيوب القوافي

ولندع ما أتى به لمن استقصى ذلك في ما وصفه في الكتب إذ كان لا أرب في إعادته . ولكننا نتكلم في ذلك بظاهر ما يعرفه جمهور الناس من المعاييب التي ليست من جنس ما وضعت فيه الكتب . ولندكر مما وضع فيها ما كانت القدماء تعيب به دون غيره .

فمن ذلك : التجميع :

وهو أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روي منتهى لأن تكون قافية آخر البيت فتأتي بخلافه .

مثل ما قال عمر بن شاس :

تذكرتُ ليلي لآت حين أدكارها وقد جنى الأصلاب ضلاً بتضلال

ومثل قول الشماخ ^(١) :

لمن متزل عافٍ ورسم منازل عفت بعد عهد العاهدين رياضها

ومن عيوبها : الإقواء :

وهو أن يختلف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة مثلاً وأخرى منقوضة وهذا في شعر الأعراب كثير جداً ، وفيمن دون الفحول من الشعراء ، وقد ارتكبت بعض فحول الشعراء الإقواء في مواضع ، مثل سحيم بن وثيل الرياحي
عذرتُ البزل إن هي خاطرتني فما بكلي وبالي ابن اللبسون

(١) شاعر مخضرم توفي عام ٢٢ هـ .

وماذا تَبْتَغِي الشعراء مِنِّي وقد جاوزت حدَّ الأربعين

فنون الأربعين مفتوحة ونون اللبون مكسورة ولكنه كأنه
وقف القوافي فلم يحركها .

وقال جرير :

عَرِينٌ مِنْ عُرَيْنَةٍ لَيْسَ مِنَّا بَرَثْتُ إِلَى عُرَيْنَةٍ مِنْ عَرِينٍ (١)
عَرَفْنَا جَعْفَرًا وَبَنِي عَيْدٍ وَأُنْكَرْنَا زَعَانِفَ آخَرِينَ (٢)

ومنه : الإيطاء :

وهو أن تتفق القافيتان في قصيدة فإن زادت على اثنين فهو
أسمج ، فإن اتفق اللفظ واختلف المعنى كان جائزاً كقولك أريد
خياراً وأوثر خياراً أي تريد خياراً من الله لك في كذا وخيار الشيء
أجوده ، والإيطاء من المواطأة أي الموافقة ، قال الله تبارك وتعالى :
ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا .

ومنه : السناد :

وهو أن يختلف تصريف القافيتين ، كما قال عدي بن زيد (٣) :

فَفَاجَأَهَا وَقَدْ جُمِعَتْ جُمُوعاً عَلَى أَبْوَابِ حِصْنٍ مُصَلَّتَيْنَا
فَقَدَّمْتُ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَأُلْفِي قَوْلَهَا كَذِباً وَمِينَا (٤)

(١) العرين : مأوى الأسد . وجرير شاعر العصر الأموي وقرين
الفرزدق توفي عام ١١٥ هـ .

(٢) الزعانف : جمع مفردة زعنفة . وهي القطعة من القبيلة تشذ وتتفرد
أو القبيلة القليلة تنضم إلى غيرها .

(٣) شاعر فصيح من شعراء الجاهلية ، سكن الحيرة والعراق ، وخدم
في بلاط كسرى والنعمان بن المنذر ، وكان يحسن العربية والفارسية ، وهو
أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى - وكان نصرانياً ، وعلماء اللغة لا
يحتجون بشعره .

(٤) الأديم : الجلد . مينا : كذبا .

وكقول الفضل بن عباس اللهمني :

عبد شمسٍ ابي فإن كنت غضبي فاملني وجهك المليح خموشاً^(١)
نحنُ كنّا سُكّانها من قريشٍ وبنّا سُميت قريش قريشا

والسناد من قولهم خرج بنو فلان برأسين متساندين ، أي كل
فريق منهم على حياله ، وهو مثل ما قالوا : كانت قريش يوم
الفخار متساندين ، أي لا يقودهم رجل واحد .

★ ★ ★

ولنتبع ذلك بالكلام على عيوب المعاني .

(١) خموشا : جروحا .

عيوب المعاني

قد كنا قدمنا في باب النعوت أن جمالتها أن يكون المعنى
مواجهاً للغرض غير عادل عنه إلى جهة أخرى ، وبيننا من الأغراض
التي تنتحيتها الشعراء في ذلك الموضع ما إذ حفظ عرف العيب بالعدول
عنه ، وبدأنا في باب المديح بأمور جعلناها أمثلة فلا بأس أن نأتي
في أمثالها بأمثلة أيضاً .

١ - نكر المديح

لما كنا قدمنا من حال المديح الجاري على الصواب ما أنبأنا أنه
الذي يقصد فيه المدح للشيء بفضائله الخاصة به ، لا بما هو عرضي فيه ،
وجعلنا مديح الرجال مثالا في ذلك ، وذكرنا أن من قصد لمدحهم
بالفضائل النفسية كان مصيبا ، وجب أن يكون ما يأتي به من المدح
على خلاف الجهة التي ذكرناها في النعوت معيبا .

ومن الأمثلة الجياد في هذا الموضع ما قاله عبد الملك بن مروان^(١)
لعبيد الله بن قيس الرقيات^(٢) حيث عتب عليه في مدحه إياه ،
فقال له : إنك قلت في مصعب بن الزبير :

إنما مُصْعَبُ شِهَابٌ مِنْ اللَّهِ تَجَلَّكَ عَنْ وَجْهِهِ الظَّالِمَاءُ

وقلت في :

يَأْتَلِقُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ

(١) الخليفة الاموي المشهور .

(٢) شاعر الزبيريين السياسي توفي عام ٨٥ هـ وقد قتل عبد الله بن
الزبير عام ٧٥ .

فوجه عتب عبد الملك إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة ، وقد كنا قدمنا أن ذلك غلط وعيب .

ومنه قول أيمن بن خزيم في بشر بن مروان :

يا ابن الذوائب والذرى والأرؤس	والفرع من مضر العفري الأنفس
يا ابن المكارم من قریش ذا العلى	وابن الخلائف وابن كل قلمس
من فرع آدم كابرأ عن كابر	حتى انتهيت إلى أبيك العنبيسي
مروان إن قتاته خطية	غرمت أرومتها أعز المغرس
وبنيت عند مقام ربك قبة	خضراء كلل تاجها بالفسفس
فساؤها ذهب وأسفل أرضها	ورق تلالا في البهيم الخندس

فما في هذه الأبيات شيء يتعلق بالمدح الحقيقي وذلك أن كثيراً من الناس لا يكونون كآبائهم في الفصل ، فلم يصف هذا الشاعر غير الآباء ، ولم يصف الممدوح بفضيلة في نفسه أصلاً ، وذكر بعض ذلك بناءه قبة ثم وصف القبة أنها من الذهب والفضة ، وهذا أيضاً ليس من المدح ، لأن في الملك والثروة مع الصنعة والفهم ما يمكن معه بناء القباب الحسنة واتخاذ كل آلة فائقة ، ولكن ليس ذلك مدحاً يعتد به ، ولا جارياً على حقه ، ومما نذكره في هذا الموضع ليصح به شدة قبح هذا المدح قول اشجع ابن عمرو في المدح بما يخالف اليسار ^(١) .

يريدُ الملوك ندِّي جعفرٍ ولا يصنعون كما يصنعُ
وليس بأوسعهم في الغنى ولكنَّ معروفه أوسعُ
فقد أحسن هذا الشاعر حيث لم يجعل الغنى واليسار فضيلة بل جعلها غيرهما .

(١) هنا بمدح جعفر البرمكي .

وقال ايضاً ايمن بن خزيمة في بشر (بن مروان) :

فلو أعطاك بشر ألف ألف وأي حقاً عليه أن يزيداً
وأعقب مدحتي سرجاً خلنجاً وأبيض جوزجانياً عقوداً
فلنا قد وجدنا أم بشر كأم الأسد مذكاراً ولوداً

فجميع هذا المدح على غير الصواب ، وذلك انه اوماً إلى
المدح والتناهي في الخود اولاً ، ثم افسده في البيت الثاني بذكر
السرج وغيره ، ثم ذكر في البيت الثالث ما هو إلى ان يكون ذماً
اقرب ، وذلك انه جعل امه ولوداً . والناس مجمعون على ان إنتاج
الحيوانات الكريمة يكون اندر .

ومنه قول الشاعر :

بُعَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحَا وَأُمُّ الصَّقْرِ مَقْلَاتُ نَزْوَرُ^(١)

(١) بُعَاثُ الطَّيْرِ : أضعفها . مَقْلَاتُ : مقلّة من الاولاد . نَزْوَرُ : لا
تضع الا نادراً .

٢ - ذكر عيوب الهجاء

كما أن معرفة رداءة المدح كانت سهلة جيدة فكذا عيب الهجاء ، يسهل الطريق إلى العلم به ما تقدم في باب نعته .

وجماع القول فيه أنه متى سلب المهجو أموراً لا تجانس الفضائل النفسانية ، كان ذلك عيباً في الهجاء ، مثل أن ينسب إلى أنه قبيح الوجه . أو صغير الجسم أو مقتر أو معسر أو من قوم ليسوا بأشراف إذا كانت أفعاله في نفسه جميلة ، وخصاله كريمة نبيلة ، أو أن يكون أبواه مخطئين إذا كان مصيباً ، وغويين إذا وجد رشيداً سديداً ، أو بقلة العدد إذا كان كريماً وعدم النصار إذا كان راجحاً شهماً : فليست أرى ذلك هجاء جارياً على الحق .

ومما يدل على ذلك بعد القياس الصحيح والنظر الصريح أشعار وأقوال أعددها .

فمنها ما أنشدناه أبو العباس أحمد بن يحيى (١) :

رَأَتْ نِصْفَ أَسْفَارِ أُمَيَّةَ قَاعِدًا عَلَى نِصْفِ أَسْفَارِ يَحْنَ جُنُونُهَا
فَقَالَتْ مَنِ آيَ النَّاسِ أَنْتَ أَتَيْتَنَا فَإِنَّكَ رَاعِي ثَلَاثَةٍ لَا تَرَبَّيْهَا
فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى الْفَتَى بَعَارٍ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ سَمِينُهَا (٢)

فهذا صحيح في أن القبح والشحوب والسماجة ليست بعار .

ومن هذا أيضاً قول بعضهم في ابن له إزدراه رجال فمنعهم من نعمه فأغاروا عليها :

(١) هو ثعلب امام الكوفة في النحو توفي عام ٢٩١ هـ .

(٢) الشحوب : تغير لون الوجه من مرض أو هزال .

رَأَوْه فَازْدَرَوْه وَهُوَ خَرَقَ وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ

ومن أبيات الأول في أن قلة المال ليست عاراً قوله :

عَلَيْكَ بِرَاعِي ثَلَاثَةَ مُسَاحِبَةٍ يَرُوحُ عَلَيْهِ نَحْضُهَا وَحَقِيقَتُهَا
سَمِينُ الضَّوَاحِي لَمْ تُؤْرِقْهُ لَيْلَةٌ وَإِنْ عَمَّ أَبْكَارُ الْهُمُومِ وَعَوْنُهَا^(١)

وللسموأل^(٢) في أن قلة العدد ليس عيباً ولا سبة :

تُعْبِرُنَا أَذْنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقَلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ
وَمَا ضَرَرْنَا أَذْنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَكِيلٌ

فعدى هذا الشاعر عن الهجاء الذي عبرتهم به هذه المعيرة، واحتج فيه بما دل على أنه غير ضائر ، ثم وصف بعد ذلك نفسه وقومه بالأوصاف التي تليق بذكرنا إياها في هذا الموضع للمنفعة في تعليم الهجاء الجاري على الصواب فقال :

وإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ^(٣)
يَقْرَبُ حُبَّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرَّهَهُ أَجَالُهَا فَتَطُولُ^(٤)
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفَهُ وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ مَاتَ قَتْلُ^(٥)
لَنَا جَبِلٌ يَحْتَلُهُ مَنْ نُجَسِرُهُ مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ^(٥)

(١) العون : الكبيرة من البكر .

(٢) السموأل : شاعر جاهلي يهودي اشتهر بلاميته .

(٣) السبة : ما يسب به . وعامر وسلول : عامر بن صعصعة . وبنو

سلول هم بنو مرة بن صعصعة التي تنتهي الى قيس بن عيلان .

(٤) حَتَفَ أَنْفَهُ : وانما خص الانف بذلك لانه من جهته يقتضي الرمق

وحَتَفَ منصوبة على الحال . وَلَا طُلَّ مِنَّا الخ أي لم يبطل دم قتيل منا .

(٥) المراد بالجبل العز والسمو . الطرف : النظر والعين . والابيات

للسموأل ، ومات قبل البعثة (الاغانى ١٩ / ٩٨ - ١٠٢ ، طبقات ابن سلام

٢٣٥ - ٢٣٧ ، سبط اللاكبي ١ / ٥٩٥ ، معجم البلدان ١ / ٨٦ و ٨٧ ،

الشريشي ١ / ٣٩٠ ، معاهد التنصيص ١ / ٢٨٨ - ٣٩١) .

فأنتى في هذه الأبيات بالمدح من جهة الشجاعة والبأس والعز
ثم قال :

وننكرُ إنْ شئتَا على الناس قولَهُمُ ولا يُنكرون القولَ حينَ نقولُ
إذا سيّدُ منّا خلا قامَ سيّدُ قوْلُ لما قال الكرامُ فعولُ
سلى إن جهلت الناس عتاً وعنهم فليس سواء عالمٌ وجهولُ

فأنتى في هذه الأبيات بالوصف والمدح من جهة العقل والرأى
والفهم ، ثم قال :

فنحنُ كماء المزن ما في نصابتنا كهامٌ ولا فينا بُعدٌ بخيلُ (١)
فأنتى بالمدح من جهة الخود ، وهو أحد أقسام العدل كما
بيننا . ثم قال :

صفونا فلم نكدر وأخلص سرتنا إناثُ أطابت حملنا وفحولُ
فأنتى بالمدح من جهة العفة إذ كان في ذكره طيب الحمل
دليل على ذلك . أفلا ترى أن هذا الشاعر لما علم أن المعيرة لم
تأت بما يضرهم احتج في ذلك بما يزقل الظنة عنهم . ثم عمد
إلى الفضائل التي هي فضائل بالحقيقة فأوجبها ، فكأنه أرى بهذا
الفعل أن ما قالته المعيرة جارياً على غير الصواب . وأنشد أحمد بن
يحيى (٢) في هذا المعنى :

وإني لا أخزى إذا قيلَ مُملقٌ جوادٌ وأخزى أن يُقالَ بخيلُ (٣)

وبلغني أن ابن الزبير لما دخل الشام ناداه أهله يا ابن ذات
النطاقين فقال لأبن أبي عتيق : وتلك شكاة ظاهر عنك عارها .
فأبان بهذا القول أنه لا يلزمه ما يقال في أمه . فإذا توّمل ما
ذكرته في هذا الباب لم يبعد الوقوف على عيب الهجاء كيف
يتعرف .

(١) ماء المزن : المطر وهو أصفى المياه عندهم فشبه صفاء انسابهم
بصفاء ماء المطر والمزن : الابيض . الكهام : الكليل الحد .
(٢) ثعلب امام الكوفة في النحو توفي عام ٢٩١ هـ .
(٣) مملق : فقير من املق .

٣ - عيون المراثي

وأما المراثي ففي ما قدمته في باب نعوتها أيضاً ما أبان عن الوجه في باب عيوبها إذا كان النظر صحيحاً والفكر سليماً .

٤ - وأما عيب التشبيه

فذلك سبيله أيضاً لمن كان حافظاً لما تقدم من أقوالنا في باب نعوته .

٥ - وأما عيب الوصف

في المضادة في باب نعوته .

٦ - وأما الغزل

فالقول فيه كالقول في ما مر من هذه الأبواب إذ كان عيبه إنما هو مضادة ما قدمنا ذكره في باب نعته ، ومن الغزل الجاري على تلك المضادة وفيه - مع أنه مثال في هذا الموضع للعيب - تأكيد لما قدمناه في باب النعوت أقول إسحاق الأعرج مولى عبد العزيز ابن مروان :

فلماً بدا لي ما راعني نزعُ نزوعِ الأبي الكريمِ
وبلغني أن أبا السائب المخزومي لما أنشد هذا البيت قال :
قبحه الله ، لا والله ما أحببتها ساعة قط .

ومثله لنا بغي بني تغلب واسمه الحارث بني عدوان :
هجرت أمانة هجرأ طويلاً وما كان هجرُك إلا جميلاً
على غير بُغضٍ ولا عن قِلَى وليس حَيَاءٌ وليس ذُهولاً^(١)

(١) قلى الشيء أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

ولكن بخيلنا لبخلك عمداً فكيف يلومُ البخيلُ البخيلاً

ولما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة والشكل
والدمائة كان مما يحتاج فيه أن تكون الألفاظ لطيفة مستعذبة
مقبولة غير مستكرهة ، فإذا كانت بجاسية كان ذلك عيباً إلا أنه لما
لم يكن عيباً على الإطلاق أمكن أن يكون حسناً إذ كان قد يحتاج
إلى الحشونة في مواضع مثل ذكر البسالة والنجدة والبأس والرهبة ،
وكان أحق المواضع التي يكون فيها عيباً الغزل لمنافرته تلك
الأحوال وتباعده منها .

فمن الكلام المستثقل في الغزل قول عبد الرحمن بن عبد الله
القس :

إنّ تنأ دارك لا أملٌ تذكراً وعليك منّي رحمةٌ وسلام^(١)

ومن المستخشن قول هذا الشاعر :

سلامٌ ليت لساناً تنطيقين به قبل الذي ناله من صوته قطعاً

فما رأيت أغلظ ممن يدعو على محبوبته بقطع لسانها حيث
أجادت في غنائها له .

(١) تنأ : تجد .

فأما العيوب العامة للمعاني

من الأغراض التي ذكرناها وغيرها وعموم ذلك إياها
كعموم النعوت التي قدمنا وعدد في أبوابها .

فمنها : فساد الأقسام :

وذلك يكون إما بأن يكررها الشاعر أو يأتي بقسمين أحدهما
داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر . أو يجوز أن يدخل أحدهما
في الآخر في المستقبل ، وأن يدع بعضها فلا يأتي به . فأما
التكرير فمثل قول هذيل الأشجعي :

فَمَا بَرَحْتُ تُوْمِي إِلَيَّ بِطَرْفِهَا وَتُوْمُضُ أحياناً إِذَا خَصَمْتُهَا غَفْلَ

لأن تو مض وتومي بطرفها متساويان في المعنى .

وأما دخول أحد القسمين في الآخر فمثل قول أحدهم :

أَبَادِرِ إِهْلَاكَ مُسْتَهْلِكٍ لِمَالِي أَوْ عَيْتِ الْعَابِثِ

فعبث العابث دخل في إهلاك مستهلك .

ومثل قول أمية بن أبي الصلت :

لله نِعْمَتُنَا تَبَارَكَ رَبُّنَا رَبُّ الْأَنْعَامِ وَرَبُّ مَنْ يَتَأَبَدُ (١)

فليس يجوز أن يكون أمية أراد بقوله من يتأبد : الوحش
وذلك أن من لا تقع على الحيوان غير الناطق . وإذا كان الأمر
على هذا فمن لا يتوحش داخل في الأنعام أو يكون أراد
بقوله يتأبد أي يتقوت من الأبد . وذلك داخل في الأنعام

(١) يتأبد : يتوحش . وأمية شاعر جاهلي كان يتحنف في شعره وشهد
الرسالة ولم يسلم . وتوفي عام ٩ هـ .

وأما أن يكون القسمان مما يجوز دخول أحدهما في الآخر فمثل قول أبي عدي القرشي :

غير ما أن أكون نلت نوالاً من نذاها عفواً ولا مهشاً

فالعفو قد يجوز أن يكون مهشاً والمهش قد يجوز أن يكون عفواً وقد ضحك من أنك سأل مرة فقال علقمة بن عبدة جاهلي أم من تميم فإن الجاهلي قد يكون من بني تميم أو من بني عامر والتميمي قد يكون إسلامياً وجاهلياً .

ومن ذلك قول عبدالله بن سليم الغامدي :

فهبطت سرباً ما يُفرغ وحشه من بين سرب ناوى وكُنوس

ناوى سمين يقال ناوى أي سمن والسمين يجوز أن يكون كانسا والكانس يجوز أن يكون سميناً وهزيلاً . وأما الأقسام التي يترك بعضها مما لا يحتمل الواجب تركه .. فمثل قول جرير في بني حنيفة :

صارت حنيفة أثلاثاً فثلثهم من العبيد وثلث من مواليتها

فبلغني أن هذا الشعر أنشد في مجلس ورجل من بني حنيفة حاضر فقيل له من أيهم أنت ؟ فقال : من الثلث الملقى ذكره .

ومن عيوب المعاني : فساد المقابلات :

من كان حافظاً لما ذكرنا من صحة المقابلات في باب النعوت ظهرت له الحال في فسادها ظهوراً أكثر ، وهو أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بآخر إما على جهة الموافقة أو المخالفة فيكون أحد المعنيين لا يخالف الآخر أو يوافقه .

مثال ذلك قول أبي علي القرشي :

يا ابن خيرا الأختيار من عبد شمس أنت زين الدنيا وغيث الجنود

فليس قوله ونغيث الجنود موافقاً لقوله زين الدنيا ولا مضاداً وذلك عيب .

ومنه قول هذا الرجل في مثل ذلك :

رُحماءٌ لذي الصلاح وضراً بون قدماً لهامة الصنديد^(١)

فليس للصنديد في ما تقدم ضد ولا مثل ولعله لو كان مكان قوله الصنديد الشرير لكان جيداً لقوله ذي الصلاح ، وللعُدول عن هذا العيب غير الرواة قول امرئ القيس :

فلو أنها نفسٌ تموتُ سويّةً ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفُساً^(٢)

فأبدلوا في مكان سوية جميعه لأنه في مقابلة تساقط أنفساً أليق من سوية .

ومن عيوب المعاني : فساد التفسير :

من كان ذاكرأ لما قدمناه في باب نعت هذا المعنى عرف الوجه في عيه ، مثال ذلك إذ جاءني بعض الشعراء في هذا الوقت وأنا أطلب أمثلة في هذا الباب ليستفتيني فيه وهو :

فيا أيها الخيرَ ان في ظلم الدُّجى ومن خاف أن يلقاه بُغي من العدى
تعالى إليه تلق من نور وجهيه ضياء ومن كَفَّيْه بحرأ من الندى

وقد كان هذا الرجل يسمعي كثير الخوض في أشياء من نقد الشعر ، فيمي بعض ذلك ، ويستجيد الطريق التي أوضحها له ، فلما وقع هذان البيتان في قصيدة له ولاح له ما فيهما من العيب ولم يتحققه صار إلي ، وذكر أنه عرضهما على جماعة من الشعراء وغيرهم ومن

(١) الهامة : رأس كل شيء • الصنديد : السيد الشريف .

(٢) تموت سوية أي تموت مرة واحدة ، ولكنها بغير ذلك فان المرض ينقصها شيئاً فشيئاً .

ظن أن عنده مفتاحاً وأن بعضهم جوزهما وبعضهم شعر بالعيب فيهما
 فذكرت له الحال فيهما وأثبت البيتين في هذا الموضع مثلاً ، ووجه
 العيب فيهما أن هذا الشاعر لما قدم لي البيت الأول الحيرة في الظلم
 وبغي العدى كان الجعيد أن يفسر هذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق
 بهما فأتى بإزاء الظلام بالضياء وذلك صواب وكان الواجب أن يأتي
 بإزاء العدى بالنصرة أو بالعصمة أو بالوزر أو بما جانس ذلك مما يحتمى
 به الإنسان من أعدائه ، فلم يأت بذلك وجعل مكانه ذكر الندى ، ولو
 كان ذكر الفقر أو العدم لكان ما أتى به صواباً ، وقد يتفرع من هذا
 الباب خطأ إذا وقعاً فيه خرجا إلى آخرين من أبواب عيوب
 الشعر : أحدهما أن يكون هذا الشاعر لو لم يأت بخلاف القسم الثاني
 مثلاً بل تركه لدخل في باب الخلل ولو لم يتركه بل أتى به وزاد
 عليه لدخل في باب الحشو ، وقد ذكرنا هذين البابين في مواضعهما .

ومن عيوب المعاني : الإستحالة والتناقض :

وهو أن يذكر في الشعر شيء فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة
 واحدة ، والأشياء تتقابل على أربع جهات ، إما على طريق المضاف
 ومعنى المضاف هو الشيء الذي يقال بالقياس إلى غيره مثل الضعف إلى
 نصفه والمولى إلى عبده والأب إلى ابنه ، فكل واحد من الأب والابن
 والمولى والعبد والضعف والنصف يقال بالإضافة إلى الآخر ، وهذه
 الأشياء من جهة ما إن كان واحد منها يقال بالقياس إلى غيره ، هي
 من المضاف ، ومن جهة أن كل واحد منها بإزاء صاحبه كالتقابل له
 فهي من المتقابلات فإما على طريق التضاد مثل الشرير للخير والحار
 للبارد والأبيض للأسود ، وإما على طريق العدم والقنية مثل
 الأعمى للبصير والأصلع وذو الحمة . وإما على طريق النهي
 والإثبات مثل أن يقال زيد جالس وزيد ليس بجالس ، فإذا أتى

في الشعر جمع بين متقابلين من هذه المتقابلات وكان هذا الجمع من جهة واحدة فهو عيب فاحش غير مخصوص بالمعاني الشعرية بل هو لاحق بجميع المعاني ، وأعني بقولي من جهة واحدة أنه قد يجوز أن يجتمع في كلام منظوم ومثثور متقابلان من هذه المتقابلات ويكون ذلك الاجتماع من جهتين لا من جهة واحدة ويكون الكلام مستقيماً غير محال ولا متناقض ، مثال ذلك أن يقال في تقابل المضاف أن العشرة مثلاً ضعف وأنها نصف لكن يقال إنها ضعف الخمسة ونصف العشرين فلا يكون ذلك محالاً إذا قيل من جهتين ، كما لو قيل في إنسان واحد أنه أعمى العين بصيرها فلا محال ، وكذلك في التضاد أن يقال للفاتر حار بالنسبة إلى البارد وبارد بالنسبة إلى الحار فأما عند أحدهما فلا ، وفي النفي والإثبات أن يقال زيد جالس في وقته الحاضر الذي هو جالس وغير جالس في الوقت الآتي الذي يقوم فيه إذا قام فذلك جائز ، وأما في وقت واحد وحال واحدة جالس وغير جالس فلا ، ولهذا العلة يجوز ما يأتي في الشعر على هذه السبيل مثل ما قال خفاف بن ندبة :

إذا انتكثَ الحبلُ ألفَيْتَهُ صبورَ الخبر رزيناً خفيفاً (١)

فلو لم يرد أنه رزين من حيث ليس هو خفيفاً لم يكن يجوزاً .

ومثل ما قال الشنفرى :

فدَقَّتْ وجلتْ وأسبَكَرتْ وأَكَلَتْ فَأَوْ جُنْ إنسانٌ من الحسنِ جَنَّتْ (٢)

فإنه إنما أراد دقت من جهة وجلت من جهة أخرى ، فأما لو كان أراد أنها دقت من حيث جلّت لم يكن جائزاً ، وقد جاء في الشعر من الاستحالة والتناقض ما لا عذر فيه وما جمع في ما قيل فيه بين المتقابلات

(١) الخبر : ما لان من الأرض واسترخى .

(٢) دقت : ضؤلت وصغرت . جلّت : عظمت . والشنفرى شاعر جاهلي من الصماليك وهو صاحب لامية العرب .

من جهة واحدة ، ومنه ما تناقض فيه ظاهر يعلم في أول ما يلتقى إلى السمع ، ومنه ما يحتاج إلى تنبيه على موضع التناقض .

ومما جاء في ذلك على جهة التضاد قول أبي نواس في الخمر :

كَأَنَّ بَقَايَا مَا عَنَا مِنْ حَبَابِهَا تَفَارِقُ شَيْبَ فِي سَوَادِ عَذَارِ^(١)

فشبه حباب الكأس بالشيب وذلك قول جائر لأن الحباب يشبه به في البياض وحده لا في شيء آخر غيره ثم قال :

تَرَدَّتْ بِهِ ثُمَّ انْفَرَى عَنْ أُدْيِمِهَا تَقْرَى لَيْلَ عَنْ بَيَاضِ نَهَارِ^(٢)

فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل هو الذي كان في البيت الأول أبيض كالشيب والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العنراء هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار وليس في التناقض له منصرف إلى جهة من الجهات للعدر لأن الأسود والأبيض طرفان متضادان وكل واحد منهما في غاية البعد عن الآخر ، فليس يجوز أن يكون شيء واحد يوصف بأنه أسود وأبيض إلا كما يوصف الأدكن في الألوان بالقياس إلى واحد من الطرفين الذي هو واسطة بينهما ، فيقال إنه عند الأبيض أسود .

ولعل قوماً يحتجون لأبي نواس بأن يقولوا إن قوله « تقري ليل عن بياض نهار » لم يرد به لا أبيض ولا أسود لكن الذي أراده إنما هو ذات التفري وانحسار الشيء عن الشيء أسود كان أو أبيض أو غير ذلك من الألوان ، فنقول من يحتاج بهذه الحجة تبطل من جهات :

إحداها أن الرجل قد صرح بأنه لم يرد غير اللون فقط بقوله عن بياض نهار .

(١) الحباب : الفقاقيع تطفو كأنها القوارير .

(٢) انفري انشق : أديميا : جلدها .

والثانية تشبيهه الحباب لا يشبه الشيب من جهة من الجهات غير
البياض .

والثالثة أن الليل والنهار ليس هما غير الظلمة والضياء فيظن
بالجاهل هما في وصف من الأوصاف أنه أراد شيئاً آخر فإن القائل مثلاً
في شيء قد يتبرأ من شيء كما تتبرأ الشعرة من العجين .

وقد يجوز أن يصرف قوله هذا على وجهين :

أحدهما ^(١) أن يظن أنه أراد تبريء الأسود من الأبيض لأن في
الشعرة والعجين جسماً يجوز أن يتبرأ من جسم وسواداً وبياضاً ، فأما
الليل والنهار فليس هما غير سواد وبياض فقط ، فأما جسم يتبرأ من
جسم فلا .

ومما جاء من الشعر في التناقض على طريق المضاف قول عبد الرحمن
ابن عبد الله القس ^(٢) :

فلئنني إذا ما الموتُ حلَّ بنفسها يزال بنفسي قبلَ ذلكَ فأقبر

فقد جمع بين قبل وبعد وهما من المضاف لأنه لا قبل إلا لبعده
ولا بعد إلا لقبل حيث قال إنه إذا وقع الموت بها وهذا القول كأنه
شرط وصفة ليكون له جواب يأتي به وجوابه قوله « يزال بنفسه » قبل
ذلك ، وهذا شبيه بقول قائل لو قال إذا انكسرت البحرة انكسر الكوز
قبلها ، ومترلة هذا التناقض عندي فوق مترلة جمع المتقابلين في الشناعة ،
لأن هذا الشاعر جعل ما هو قبل ببعداً .

ومما جاء في الشعر على طريق القنية والعدم قول ابن نوفل :

لأعلاج ثمانية وشيخ كبير السن ليس بندي ضريب

(١) الوجه الثاني ساقط من الاصل .

(٢) محبوبته (سلامة) كانت تجيد الغناء وهما من العصر الاموي .

لفلظة ضرير إنما تستعمل وهي تصريف فعيل من الضر في الأكثر
 للذي لا بصر له ، وقول هذا الشاعر في هذا الشعر إنه ذو بصر وإنه
 ضرير تناقض من جهة القية والعدم ، وذلك أنه يقول إن له بصراً ولا
 بصر له فهو بصير أعمى .

فإن قال قائل : إنه ضرير راجع إلى البصر بأنه أعمى فالعرب أولاً
 إنما تريد بضرير الإنسان الذي قد لحقه الضر بذهاب بصره لا البصر نفسه ،
 أيضاً فليس البصر هو العين التي يقع عليها العمى بل ذات الإبصار
 وذات الإبصار لا يقال لها عمياء كما لا يقال إن حدة السيف كليلة بل
 إنما يقال السيف كليل لأن الحدة لا تكل وكذا البصر لا يعمي ولكنه في
 توسع اللغة وتسمح العرب في اللفظ جائز على طريق المجاز ، وقد جاء
 في أقوى المواضع حجة وهو القرآن في قوله عز وجل : « إنما لا تعمي
 الأبصار » ولكنه إذا جاز في البصر أن يقال أعمى فلا أراه يجوز أن يقال
 فيه مضرور .

وأرى أن مما يدخل في هذا البيت من التناقض قول ابن هرمة :

تراه إذا ما أبصر الضيف كلبه يكلمه من حبه وهو أعجم (١)

فإن هذا الشاعر ألقى الكلب الكلام في قوله يكلمه ثم أعدهم إياه
 عند قوله وهو أعجم من غير أن يزيد في القول ما يدل على أن ما ذكره
 إنما أجراه على طريق الاستعارة فإن عذر هذا الشاعر ببعض المعاذير إذا
 كانت الحجج كثيرة ، فهلا قال كما قال عنترة :

(١) ابن هرمة (٧٠ - ١٥٠ هـ) هو إبراهيم بن هرمة ، ساقه الشعراء
 وآخر من يحتج به منهم ، وهو من مخضرمي الدولتين (الشعر والشعراء
 ٧٢٩ - ٧٣١ - الأغاني ٤ / ١٠١ - ١١٣ - الخزائن ١ / ٢٠٣ و ٢٠٤ -
 سمط اللالي ١ / ٢٩٨ - والبيت في حماسة أبي تمام - وأمالي المرتضى
 ١٣ / ١٤ - وديوان المعاني ١ / ٢٣ - وخزانة الأدب ٤ / ٥٨٤ - والشعر
 والشعراء ٢ / ٧٢١ - الموشح ٢٢٢ - والشريشي ٢ / ٣٢١ - والحيوان
 ١ / ٣٧٨) .

فَازُورٌ مِنْ وَقَعَ الْقَتْلَا بَلْبَانِيَهٗ وَشَكَى إِلَى بَعْبَرَةٍ وَتَحْمَحُمُ^(١)

فلم يخرج الفرس عما له من التحمحم إلى الكلام ثم قال :
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي
ومما جاء من الشعر على طريق الإيجاب والسلب قول عبد الرحمن
ابن عبد الله القس :

أَرَى هَجْرَهَا وَالْقَتْلَ مِثْلِينَ فَاقْصِرُوا مَلَامَكُمْ فَالْقَتْلُ أَعْفَى وَأَيْسَرُ

فأوجب هذا الشاعر للقتل والهجر أنهما مثلان ثم سلبهما ذلك بقوله
القتل أعفى وأيسر ، فكأنه قال إن القتل مثل الهجر وليس هو مثله :

وأرى أن هذا الشاعر أراد أن يقول بل القتل أعفى وأيسر ، ولو
قال بل لكان الشعر مستقيماً لأن مقام لفظه بل مقام ما ينفي الماضي
ويثبت المستأنف لكنه لما لم يقلها وأتى بجمع الإثبات ونفيه استحالة
شعره وليس إذا علمنا أن شاعراً أراد لفظه تقيم شعره فجعل مكانها
لفظة تحيله وتفسده وجب أن يحسب له ما يتوهم أنه أراد ويترك ما
قد صرح به ولو كانت الأمور كلها تجري على هذا لم يكن خطأ .

وأرى أن مما يجري هذا المجرى قول يزيد بن مالك الغامدي حيث
قال :

أَكْفُ الْجَهْلِ عَنْ حُلَمَاءِ قَوْمِي وَأَعْرَضُ عَنْ كَلَامِ الْجَاهِلِينَ^(٢)
إِذَا رَجُلٌ تَعَرَّضَ مُسْتَخِفًّا لَنَا بِالْجَهْلِ أَوْشَكَ أَنْ يَحِينَا^(٣)

(١) ازور : اعوج • ولهذا اطلقوا على بغداد الزوراء لازورارها عن
القلة • الحممة : صوت الفرس اذا طلب العلف • أو رأى صاحبه فاستأنس
اليه والبيت من أجود الشعر وأروع •

(٢) الجهل : الظلم •

(٣) أن يحينا : أن يقتل •

فقد أوجب هذا الشاعر في البيت الأول لنفسه الحلم والإعراض
عن الجهال ونفي ذلك بعينه في البيت الثاني بتعديده في معاقبة الجاهل إلى
أقصى العقوبات وهو القتل .

ولأبي نواس أيضاً شيء يشبه هذا وهو قوله :

وَلِيَّ عَهْدٍ مَا لَهُ قَرِيبُنْ وَلَا لَهُ شَبَهٌ وَلَا خَدَيْنْ^(١)
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بَلَى هَارُونَ يَا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ
إِلَّا النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى الْمَأْمُونُ

فصير هارون شبيهاً بولي العهد ولم يستثن بهارون فكأنه خير منه
وليس خيراً منه لأنه شبيهه أو كشبيهه وليس بشبيهه لأنه خير منه
وهذا جمع بين النفي والإثبات .

ومما يجري هذا المجرى وقد أنكره الناس وعابوه قول زهير بن
أبي سلمى :

قف بالديار التي لم يَعْصِيهَا الْقِدَمُ بلى وغيرها الأرواح والديم^(٢)

ومن عيوب المعاني : إيقاع الممتنع فيها في حال ما يجوز وقوعه ويمكن
كونه . والفرق بين الممتنع والمتناقض الذي تقدم الكلام عليه أن المتناقض
لا يكون ولا يمكن تصوره في الوهم والممتنع لا يكون ولكن يمكن
تصوره في الوهم .

ومما جاء في الشعر وقد وضع الممتنع في ما يجوز وقوعه قول أبي
نواس :

يَا أَمِينَ اللَّهَ عَشْ أَبْـدَأْ دُمُ عَلَى الْأَيْسَامِ وَالزَّمَنِ

(١) الخدين : الصاحب .

(٢) لم يعفهما : لم يببها ويدرسها ويمح اثر قدمها .

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاعل لهذا المملوح بقوله
« عش أبداً » أمراً أو دعاء ، وكلا الأمرين مما لا يجوز ومستقيح .

ولعل معترضاً يعترض هذا القول منا في غذا الموضوع فيقول إنه
مناقضة لما استجزناه ورأيناه صواباً في صدر هذا الكتاب من الغلو ،
ويجعل قول أبي نواس هذا غلوّاً فيلزمنا تجويزه كما فصلنا تجويز الغلو
ونحن نقول إن هذا وما أشبهه ليس غلوّاً ولا إفراطاً بل خروجاً
عن حد الممتنع الذي لا يجوز أن يقع ، لأن الغلو إنما هو تجاوز
في نعت ما للشيء أن يكون عليه وليس خارجاً عن طباعه إلى ما لا
يجوز أن يقع له ، لأن الذي يكون قلنا إنه جائز مثل قول النمر بن
تولب :

نظالٌ تحضرُّ عنهُ إن ضَرَبَتْ به بعد الذراعين والسَّاقَيْنِ والمهادي^(١)

فليس خارجاً عن طباع السيف أن يقطع الذراعين والساقين
والمهادي وأن يؤثر بعد ذلك ويغوص في الأرض ولكنه مما لا يكاد
يكون . وكذلك ما قلناه في ما قال مهلهل^(٢) :

فلولا الريحُ أسمعَ مَنْ بحُجْرٍ صليل البيض تفرّع بالدُّكُور

فإنه أيضاً ليس يخرج عن طباع أهل حجر أن يسمعوا الأصوات
من الأماكن البعيدة ولا خارج عن طباع البيض أن تصل ويشد طينها
بقرع السيوف إياها ولكن يبعد بعد المسافة بين موضع الوقعة وحجر
بعداً لا يكاد يقع وليس في طباع الإنسان أن يعيش أبداً فلما كنا قد
قدمنا أن نخرج الغلو إنما هي على (يكاد) ، وليس في قول أبي
نواس « عش أبداً » موضع يحسن فيه لأنه لا يحسن على مذهب الدعاء
أن يقال أمين يكاد أن يعيش أبداً .

(١) تقدم البيت وشرحه في صفحة ٩٢ والنمر شاعر مخضرم توفي
عام ١٤ هـ .

(٢) مهلهل من قدامى الشعراء الجاهليين وأرقهم غزلاً ورتاء وكان
قبل امرئ القيس وهو خاله .

ومن عيوب المعاني : مخالفة العرف والإتيان بما ليس في العادة والطبع مثل قول المرار :

وخالٍ على خديك يبدو كأنه سنًا البرق في دجاء باد دجونها^(١)

فالتعارف المعلوم أن الخيلان سوداء وما قاربها في ذلك اللون والحدود الحسان إنما هي البيض وبذلك تنعت فأنتى هذا الشاعر بقلب المعنى .

ومن هذا الجنس قول الحكم الحضري :

كانت بنو غالب لأمتها كالغيث في كل ساعة يكف^(٢)
فليس المهود أن يكون الغيث واكفًا في كل ساعة .

ومن عيوب المعاني : أن ينسب إلى الشيء ما ليس له .

كما قال خالد بن صفوان^(٣) :

فإن صورة راقنتك فاجبر فرما أمرًا مذاقُ العود والعود أخضر

فهذا الشاعر بقوله « أمر مذاق العود والعود أخضر » كأنه يوصي إلى أن سبيل العود الأخضر في الأكثر أن يكون عذباً أو غير مر ، فهذا ليس بواجب لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر .

ولنتبع ما تكلمنا به في عيوب المعاني بما في الأقسام الأربعة المختلفة من ذلك .

(١) الدجاء : أو المحاق وهي ليلة ثمانية وعشرين • دجونها : الدجن : المطر الكثير .

(٢) يكف : يقطر .

(٣) من بلغاء الدولتين الاموية والعباسية وهو تميمي منقري ، كان من اعلام الخطباء ، توفي عام ١٢٢ هـ (١ مالي المرتضى ٢ / ٢٦١ - ٢٦٢ ، الوفيات ٢ / ٢٢٥ و ٢٢٦ ، المعارف ٤٠٣ ، نكت الهميان ١٤٨ و ١٤٩) .

عيوب انتلاف اللفظ والمعنى

فمنها : الإخلال :

وهو أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى ، مثال ذلك قول عبدا لله
ابن عبدا لله بن مسعود :

أعاذل عاجلُ مالي أحبُّ إليَّ من الأكثر الرأث

فلنما أراد أن يقول عاجلُ مالي مع القلة أحبُّ إليَّ من الأكثر
البطيء فترك مع القلة وبه يتم المعنى .

ومثل ذلك قول عروة بن الورد :

عجبتُ لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذراً

ولنما أراد أن يقول عجبتُ لهم أن يقتلون نفوسهم في السلم ومقتلهم
عند الوغى أعلن فترك « في السلم » .

ومن هذا الجنس قول الحارث بن حنظلة :

والعيشُ خيرٌ في ظلال النوك ممن عاش كدّاً^(١)

فأراد أن يقول « والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكد في
ظلال العقل » ، على أنه لو قال ذلك لكان في هذا الشعر خلل آخر ،
وهو أن الذي يظهر أنه أراده هو أن يقول : إن العيش الناعم في
ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل فأخل بشيء كبير .

ومن هذا الجنس نوع آخر ، وهو كما قال بعضهم :

(١) النوك : بالضم والفتح الحمق والجنون ، والحارث من شعراء
الملقات المشهورين .

لا يرمضون إذا حرّت مشافيرهم ولا ترى منهم في الطعن ميّالاً^(١)
 ويفشلون ، إذا نادى ربّهم ألاّ اركبن فقد آنست أبطالاً^(٢)

فأراد أن يقول ولا يفشلون فحذف « لا » فعاد إلى الضد .

★ ★ ★

ومن عيوب هذا الجنس^(٣) عكس العيب المتقدم ، وهو أن يزيد
 في اللفظ ما يفسد به المعنى .

مثال ذلك قوله :

فما نطفة من ماء نحض عذّية تمتّع من أيدي رُقاة نرومها
 بأطيب من فيها لو أنك ذقتها إذا ليلة أسجّت وغارت نجومها^(٤)

فقول هذا الشاعر « لو أنك ذقتها » زيادة توهم أنه لو لم يذقه لم
 يكن طيباً .

-
- (١) رمض النصل يرمضه جعله بين حجرين أمّلسين ثم دق ليرق .
 - (٢) الربىء : ما تقدم القوم وسار في طبيعتهم وعلا وارتفع عنهم .
 - (٣) وهو انتلاف اللفظ والمعنى .
 - (٤) أسجّت : مكنت .

عيوب ائتلاف اللفظ والوزن

منها : الحشو :

وهو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن .

مثال ذلك ما قال أبو عدي العشمي :

نحن الرؤوسُ ومآ الرؤسُ إذا سَمَتَ في المجد للأقوام كالأذَناب

فقوله « للأقوام » حشو لا منفعة فيه .

وقال مصقلة بن هبيرة :

أَلِكْنِي إلى أهل العراق رسالةً وخُصَّ بها حُبِّي بكر بن وائل^(١)

فقوله « حيت » حشو لا منفعة فيه .

ومنها : التثليم :

وهو أن يأتي الشاعر بأشياء يقصر عنها العروض فيضطر إلى ثلمها والنقص منها .

مثال ذلك قول أمية بن أبي الصلت :

مَا أَرَى مَنْ يُغِيثُنِي فِي حَيَاتِي غَيْرَ نَفْسِي إِلَّا بَنِي إِسْرَآلِ^(٢)

وقال في هذه القصيدة :

أَيْمًا شَاطِنٍ عَصَاهُ عُدَاهُ كَمْ تَلْقَى فِي السُّجْنِ وَالْأَكْبَالِ^(٣)

(١) الكنى : أرسلني .

(٢) أسرا ل : أي أسرائيل وأميه شاعر جاهلي كان يتحنف في شعره - أدرك الاسلام ولم يدخل فيه - مات عام ٩ هـ .

(٣) الأكبال : القيود .

وقال علقمة بن عبدة :

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظِيٌّ عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ^(١)

أراد بسباب الكتان فحذف للعروض .

ولليد :

درس المنا بمتالع فأبان

أراد بالمنا بالمتازل .

★ ★ ★

ومنها : التدنيب :

وهو عكس العيب المتقدم ، وذلك أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر
عن العروض فيضطر إلى الزيادة فيها ، مثل ما قال الكميّ :

لَا كَعْبِدَ الْمَلِيكِ أَوْ كِيْزِيْدُ أَوْ سُلَيْمَانُ بَعْدُ أَوْ كَهْشَامُ

فالملك والمليك إسمان لله عز وجل ، وليس إذا سمي إنسان بالتعبّد
لأحدهما وجب أن يكون مسمى بالآخر ، كما أنه ليس من سمي
عبد الرحمن هو كمن سمي عبدالله .

★ ★ ★

ومن هذا الجنس : التغيير :

وهو أن يحيل الإسم من حاله وصورته إلى صورة أخرى إذا
اضطره الوزن إلى ذلك .

كما قال بعضهم يذكر سليمان عليه السلام

ونسج سليم كل قصاء ذائل

(١) مقدم : من الفدام وهو السداد .

وكما قال آخر :

من نسج داودَ أبي سلام

★ ★ ★

ومنه : التعطيل :

وهو أن لا ينتظم نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض فيقدم ويؤخر كما قال دريد بن الصمة^(١) :

وبلغ نسيراً إن عرضت ابن عامر فأخ في الثآليل وصاحب

ففرق بين نمير بن عامر بقوله « إن عرضت »

وكما قال أبو عدي القرشي :

خير راعي رعية سره الله هشام وخير مأوى طريد

(١) سيد بني جشم وشاعرهم وفارسهم - قتل عام ٨ هـ (الاغانى
٢/٩ - ١٩ - الشعر والشعراء ٧٢٥/٢ - ٧٢٩ - الخزانة ٤٦١/٣
و ٤٦٢ - الروض الاتف ٢ / ٢٨٧) .

عيوب انتلاف المعنى والوزن معاً

منها : المقلوب :

وهو أن يضطر الوزن الشاعر إلى إحالة المعنى وقلبه إلى خلاف ما قصد به .

مثال ذلك لعروة بن الورد ^(١) :

فلو أني شهدت أبا سَعَاد غَدَاة غدا بمهجته يفوقُ
فَدَيْتُ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوكَ إِلَّا مَا أَطِيقُ
أراد أن يقول فديت نفسه بنفسه فقلب المعنى .

وللحطيئة :

فَلَمَّا خَشِيتُ الْهَوْنَ وَالْعَيْرُ مَمْسِكٌ عَلَى رَغْمِهِ مَا أَثْبَتَ الْحَبْلَ حَافِرَهُ
أراد الحبل حافرهُ فانقلب المعنى .

ومنها : المبتور :

وهو أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد فيقطعه بالقافية ويتمه في البيت الثاني .

مثال ذلك قول عروة بن الورد :

فلو كالיום كان عليّ أمري ومن لك بالتدبر في الأمور
فهذا البيت ليس قائماً بنفسه في المعنى ولكنه أتى بالبيت الثاني فقال :

إذاً ملكتُ عصمةً أم وهبٍ على ما كان من حسك الصدور ^(٢)
فالمعنى في البيت الأول ناقص فأتى به في البيت الثاني .

(١) من الشعراء الصعاليك الجاهليين المشهورين .

(٢) الحسك : نوع من النبات له ثمر كالحصا شائك وهذا كناية عن شدة الغيظ الكامن في نفسه .

عيوب ائتلاف المعنى والقافية

منها أن تكون القافية مستدعاة قد تكلف في طلبها فاستعمل معنى سائر البيت :

مثل ما قال أبو تمام الطائي (١) :

كالظبية الأدماء صافت فارتعت زهر القرار الغصن والجشجاثا

فجميع هذا البيت مبني على طلب هذه القافية وإلا فليس في وصف الظبية بأنها ترتعي الجشجاث كثير فائدة ، لأنه إنما توصف الظبية بأنها ترتعي الجشجاث إذا قصد نعتها بأحسن أحوالها ، بأن يقال إنها تعطو (٢) الشجرة لأنها حينئذ تكون رافعة رأسها وتوصف بأن ذعراً يسيراً قد لحقها ، كما قال الطرماح (٣) :

مثل ما عاينت محروفة نصها ذاعر روع مؤام

فأما بأن ترتعي الجشجاث فلا أعرف له معنى في زيادة الظبية لاسيما والجشجاث ليس من المراعي التي توصف بأن ما يرتعي يؤثره .

ومن عيوب هذا الجنس : أن يؤتى بالقافية لأن تكون نظيرة لأخواتها في السجع ، لا لأن لها فائدة في معنى البيت .

كما قال علي بن محمد البصري :

وسابغة الأذيال زغف مفاضة تكنفها مني البجاد المخطط

(١) من أشهر الشعراء الغباسيين (١٩٠ - ٢٢١ هـ) .

(٢) أي تتناول .

(٣) من شعراء الخوارج في العصر الاموي توفي عام ١٢٥ هـ وديوانه بتحقيق عزة حسن (طبع دمشق ١٩٦٨) .

فليس لأن يكون هذا البجاد (١) مخطئاً صنع في صفة السدوع
وتجويد نعتها ولكنه أتى به من أجل السجع .

ومن هذا الجنس قول أبي عدي القرشي :
ووقت الختوف من وارث وال وأبقاك صالحاً ربُّ هود

فليس نسبة هذا الشاعر الله عز وجل إلى أنه رب هود أجود من
نسبته إلى أنه رب نوح ، ولكن القافية كانت دالية فأتى بذلك للسجع
لا لإفادة معنى بما أتى به منه ..

والله أعلم .

إنهى كتاب « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر
المتوفى عام ٣٣٧ هـ - ٩٤٨ م

(١) البجاد : ثوب غليظ .

الكلمة الأخيرة .. بقلم المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لله وشكراً على ما أعان ووفق وسدّد ؛ له الحمد ، وله الشكر ، وله الثناء الحسن الجميل .

وصلاة وسلاماً على رسوله النبي العربي المبين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فهذا هو كتاب « نقد الشعر » لقدامة ، في ثوب جديد ، وتقديم طريف ، وتحقيق دقيق ، وتعليق مفيد .

أرجو بذلك كله أن أكون قد حققت الهدف الذي قصدت إليه وأصبت الغرض الذي ألقيت برحلي لديه .

والقارئ يعرف مدى الصعوبة في تحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه ، لأنه أصل من أهم أصول تراثنا في النقد القديم ، ولأنه أقام مذهباً جديداً في النقد ؛ فأسس منهجاً موضوعياً في الحكم على الشعر وتقييمه .

وأسأل الله التوفيق والسداد ، وما توفيقي إلا بالله .

المحقق

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣ - ٥٨	المدخل إلى الكتاب بقلم المحقق
٥	تصدير الكتاب
١٢	تمهيد حول النقد والنقاد
٢١	النقد الأدبي عند العرب
٢٦	النقد الأدبي في القرن الثاني
٣١	النقد الأدبي في القرن الثالث
٤٤	النقد الأدبي في القرن الرابع
٤٧	قدامة : جانب من حياته وتراثه النقدي
٥٣	كتاب نقد الشعر
٥٩ - ٢١١	كتاب نقد الشعر لقدامة
٦١	مقدمة المؤلف
٦٣ - ٧١	الفصل الأول
٧٣ - ١٧٠	الفصل الثاني : نعوت عناصر الشعر الأربعة المفردات :
٧٤	١ - نعت اللفظ
٧٨	٢ - نعت الوزن :
	(أ) سهولة العروض
	(ب) الترصيع
٨٦	٣ - نعت القوافي :
	(أ) عذوبة الحرف وسلاسة المخرج
	(ب) التصريع

الصفحة	الموضوع
٩١ - ١٥٣	٤ - باب المعاني الدال عليها الشعر
٩٥	نوعت أهم أغراض الشعراء في المعاني
٩٥	(١) نعت المديح
١١٣	(ب) نعت الهجاء
١١٨	(ج) نعت المرآئي
١٢٤	(د) نعت التشبيه
١٣٠	(هـ) نعت الوصف
١٣٤	(و) نعت النسيب
١٣٩	نوعت تعم جميع المعاني الشعرية :
١٣٩	(١) صحة التقسيم
١٤١	(٢) صحة المقابلة
١٤٢	(٣) صحة التفسير
١٤٤	(٤) التتميم
١٤٦	(٥) المبالغة
١٤٧	(٦) التكافؤ
١٥٠	(٧) الإلتفات
١٥٣	نوعت عناصر الشعر الأربعة المركبات :
١٥٣	١ - نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى :
١٥٣	(١) المساواة
١٥٤	(ب) الإشارة
١٥٧	(ج) الإرداف
١٥٩	(د) التمثيل
١٦٢	(هـ) المطابق
١٦٣	(و) المجانس

- ١٦٥ ٢ - نعت ائتلاف اللفظ والوزن
- ١٦٦ ٣ - نعت ائتلاف المعنى والوزن
- ١٦٧ ٤ - نعت ائتلاف القافية والمعنى :
- ١٦٧ (أ) التوشيح
- ١٦٨ (ب) الإيغال
- ١٧١ الفصل الثالث : عيوب الشعر
- ١٧١ عيوب ترجع إلى العناصر الأربعة المفردة
- ١٧٢ ١ - عيوب اللفظ
- ١٧٤ المعاظلة
- ١٧٨ ٢ - عيوب الوزن
- ١٨١ ٣ - عيوب القوافي :
- ١٨١ (أ) التجميع
- ١٨١ (ب) الإقواء
- ١٨٢ (ج) الإيطاء
- ١٨٢ (د) السناد
- ١٨٤ ٤ - عيوب المعاني :
- ١٨٤ عيوب ترجع إلى الأغراض الشعرية :
- ١٨٤ (أ) عيوب المديح .
- ١٨٧ (ب) عيوب الهجاء
- ١٩٠ (ج) عيوب المراثي
- ١٩٠ (د) عيوب التشبيه
- ١٩٠ (هـ) عيوب الوصف
- ١٩٠ (و) عيوب الغزل (النسيب)
- ١٩٢ العيوب العامة للمعاني :

- ١ - فساد الأقسام ١٩٢
- ٢ - فساد المقابلات ١٩٣
- ٣ - فساد التفسير ١٩٤
- ٤ - الإستحالة والتناقض ١٩٥
- ٥ - إيقاع المتنوع في المعاني في حال ما يجوز وقوعه ٢٠١
- ٦ - مخالفة العرف ٢٠٣
- ٧ - أن ينسب إلى الشيء ما ليس له ٢٠٣
- عيوب ترجع إلى العناصر الأربعة المركبة : ٢٠٣
- (أ) عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى : ٢٠٤
- ١ - الإخلال . ٢ - التطويل لغير فائدة .
- (ب) عيوب ائتلاف اللفظ والوزن : ٢٠٦
- ١ - الحشو ٢ - التثليم ٢٠٦
- ٣ - التذنيب ٤ - التغيير ٢٠٧
- ٥ - التعطيل ٢٠٨
- (ج) عيوب ائتلاف المعنى والوزن : ٢٠٩
- ١ - المقلوب ٢ - المبتور
- (د) عيوب ائتلاف المعنى والقافية : ٢١٠
- ١ - التكلف في طلب القافية ٢١٠
- ٢ - الإتيان بالقافية من أجل السجع ٢١١
- الكلمة الأخيرة ، بقلم المحقق ٢١٢
- فهرست الكتاب ٢١٣

طلب من: **دار الكتب العلمية** بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص: ١١/٩٤٢٤ : تليكس : Nasher 41245 Le

سازمان اسناد و کتابخانه ملی

تهران - تلفن: ۸۳۷۶۶۷ - ۸۳۷۴۴۹ - ۴۶۰۷۴۳